الباب الخامس

أحوال العالم.
الدعوة الإسلامية ومنطلقاتها الفكرية.
الفتوحات.

الفصل الأول

أحوال العالم.

الدعوة الإسلامية ومنطلقاتها الفكرية.

المبحث الأول

نظرة إلى أحوال العالم قبل الفتح الإسلامي

كان البشر وقت الفتوح الإسلامية منتشرين في العالم، وخاصة القارات الثلاث: آسيا وأوربا وأفريقيا، وهم من أجناس متنوعة، فالعرب في شبه جزيرة العرب والعراق والشام، والفرس في بلاد إير ان، والتتار والترك في بلاد ما وراء النهر وأواسط آسيا، والهنود في شبه جزيرة الهند، والجنس الأصفر في الصين واليابان وجنوب شرق آسيا، والروم في آسيا الصغرى (تركيا حالياً) وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقية، والانجلوسكسون في انجلترا، والفرنح في فرنسا وهولندا وألمانيا، والغوط في أسبانيا وإيطاليا، والسودان والحبشة في بلادهم المعروفة اليوم في أفريقية، وكانت القوى الكبرى المتحكمة في العالم آنذاك تتمثل في الفرس والروم، حيث سيطرت القوتان على مساحات شاسعة من الأرض، وحكمتا شعوباً عديدة امتد نفوذهما إليها، ولم يكن الفرس على دين صحيح، بل كانوا مجوساً يعبدون النيران، وكان الروم نصارى، ولكنهم لم يحافظوا على التعاليم التي جاء بها عيسى عليه السلام بل حرفوها، لذلك لم تكن القوتان الكبيرتان في العالم آنذاك قادرتين على توجيه البشرية نحو التوحيد والعدل والفضيلة والخير، وكانت بقية الشعوب في الصين واليابان والهند والتبت تدين بالبوذية، وهي ديانة وثنية ترمز لآلهتها بالأصنام الكثيرة، وتقيم لها المعابد، وتؤمن بتناسخ الأرواح. أما شعوب أوربا فكانت بربرية تعبدالأوثان وتقدس قوى الطبيعة..

وكانت تعيش في ذلك العالم أقليات يهودية مشتتة ما بين بلاد الشام والعراق والحجاز، وقد تحرفت تعاليم موسى عليه السلام، ودخلت فيها آراء كتبها الأحبار، ونسبوها إلى الدين، فجعلوا الله – سبحانه – إلهاً قوميّاً خاصّاً باليهود،

وافتروا الحكايات على أنبيائهم مما يشوه سمعتهم، وأحلوا التعامل مع غيرهم من الأميين بالربا والغش وحرموه بينهم، وأبوا دعوة الناس إلى دينهم، لئلا يحظوا - في زعمهم - بشرف الانتماء إلى شعب الله المختار، وتعاليم موسى عليه السلام قبل أن يحرفها اليهود، لا تُقر هذه الروح العنصرية البغيضة، ولا تعترف بنسبية الأخلاق في التعامل بين الناس.

ونخلص من هذا العرض الوجيز إلى القول: إن العالم يومذاك كان بحاجة إلى رسالة دينية جديدة، تعيد للتوحيد صفاءه، وللأخلاق قيمتها، وتأخذ بيد الإنسان نحو الحق والخير والعدل، بعد أن ساد الشرك والظلم والشر آماداً طويلة، وانحرف الناس عن تعاليم الأنبياء.

وقد جعل الله تعالى مهمة حمل الرسالة الخاتمة التي بعث بها رسوله محمداً ﷺ في أعناق العرب سكان شبه جزيرة العرب، وكانوا ضعفاء مقهورين، فقواهم الله، وفقراء مملقين، فأغناهم الله، وقبائل متفرقين، فوحَّدهم الله وأغماراً منسيين، فعرفتهم الدنيا بعد أن حملوا رسالة الإسلام، وقدموها للأمم الأخرى، فاستجاب لهم كثيرون من أمم الأرض، وساعدوهم على نشر الدعوة حتى امتد الإسلام إلى بلاد فارس والترك والهند وأطراف الصين شرقاً، وإلى البلاد الخاضعة للروم في الشام وشمال أفريقية، بل إلى الأندلس وجنوب فرنسا وإيطاليا، وهكذا عمَّ نور الإسلام معظم أرجاء المعمورة، وأزاح القوتين الكبيرتين، فقضى على فارس، وأضعف الروم في القرن الأول الهجري.

وسوف نستعرض فيما يلي الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والأخلاقية، التي كانت تسود في بلاد فارس والروم، ثم نعرض لهذه الأحوال في شبه جزيرة العرب، وذلك لنتعرف على الظروف العامة التي ظهر فيها الإسلام، ثم نتبين مقدار ما أحدثه من تغيير في تلك الأحوال.

دولة الفرس

الحالة السياسية و الاقتصادية:

كانت الدولة الساسانية تحكم بلاد إيران في القرن السابع الميلادي، ويكون الفرس مادة الإمبراطورية، ولكنها أخضعت الترك في بلاد ما وراء النهر، والعرب في العراق، وكانت حدودها الغربية غير مستقرة حسب قوتها، فأحياناً تغلب على أطراف بلاد الشام كما حدث سنة ٦١٤ م عندما اجتاحت بلاد الشام واستولت على بيت المقدس، ثم استولت على مصر سنة ٦١٦ م[١].

ولم يستسلم هرقل إمبراطور الروم، بل أعاد تنظيم بلاده وإعداد جيوشه، وهزم الفرس في آسيا الصغرى سنة ٦٢٢ م، ثم استعاد منهم سوريا ومصر سنة ٦٢٥ م، ثم هزمهم هزيمة ساحقة سنة ٦٢٧ م (٦ هـ) قرب أطلال نينوى، مما أدى إلى ثورة العاصمة المدائن ضد كسرى الثاني، وعقد خليفته شيرويه الصلح مع هرقل، على أن أحوال الدولة الفارسية لم تستقر بعد ذلك، إذ تكاثرت الثورات والانقلابات الداخلية، حتى تعاقب على عرش فارس في التسع سنوات اللاحقة أربعة عشر حاكماً، مما مزق أوصال دولة الفرس، وجعلها مسرحاً للفتن الداخلية، حتى أجهز عليها العرب المسلمون في حركة الفتح[٢].

هذا عن الأحداث السياسية والعسكرية التي مرت على بلاد فارس. وأما نظام الحكم فكان كسرويّاً مطلقاً، يقف على رأسه الملك، ولقبه كسرى، وصلاحياته مطلقة، وأحياناً يوصف بصفات الألوهية، فكسرى أبرويز وصف نفسه بـ «الرجل الخالد بين الآلهة، والإله العظيم جدّاً بين الرجال»[٣]. مما يدل

(١) د. سعيد عبدالفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى ١: ١٢٤.
(٢) توينبي: مختصر دراسة التأريخ ١: ٢٦٤.
(٣) كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين ٤٣٢.

على الغرور والتعاظم في حين وصفه المؤرخون بـ «الملك الحقود المرائي الجشع الرعديد»[١]، وبينوا اهتمامه الكبير بجمع أكوام الذهب والفضة والجواهر، التي ملأت خزائنه عن طريق المظالم، التي استغل بها بؤس رعيته[٢]. وكان يلجأ إلى المنجمين والكهان والسحرة لاستشارتهم في اتخاذ قراراته المهمة[٣].

أما الحياة الاقتصادية، فقد احتكر الأقوياء الثروة ومصادرها، وانهمكوا في مباهج الحياة وملذاتها، وزادوا من ثرائهم بالربا الفاحش والمكوس والضرائب الثقيلة التي فرضوها على الضعفاء من الفلاحين والعامة، فزادوها فقراً وتعاسة، وحرموا على العامة أن يشتغل الواحد منهم بغير الصناعة التي مارسها أبوه، وكان العامة من سكان المدن يدفعون الجزية كالفلاحين، ويشتغلون بالتجارة والحرف، وهم أحسن حالا من الفلاحين، الذين كانوا تابعين للأرض، ومجبرين على السخرة، ويُجرون إلى الحروب بغير أجر ولا إرادة[٤]. وكان الجباة للضرائب لا يتحرزون من الخيانة واغتصاب الأموال في تقدير الضرائب وجبايتها، وكانت الضرائب تفرض بصورة اعتباطية، وخاصة وقت الحروب.

الحالة الدينية و الفكرية:

لم يعرف الفرس الدين الحق، ولم تنتشر بينهم الأديان السماوية، التي سبقت ظهور الإسلام إلا بنطاق محدود جدّاً، وكان أكثرهم على المجوسية، فمنذ القرن الثالث الميلادي صارت الزرادشتية ديناً للدولة، وقد تدهورت أخلاق رجال الدين الزرادشتي، فوصفوا بالارتداد والحرص والاشتغال بحطام الدنيا، وحاول كسرى الثاني تجديد الزرادشتية، وإحياء معابد النيران، ونشر تفسير جديد لكتابها (الآفستا)، وكانت عقوبة من يخرج عليها الإعدام[٥].

(١) المرجع السابق ٤٣٧
(٢) نفسه ٤٣٧.
(٣) نفسه ٤٣٧، ٤٦٩.
(٤) كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين ٣٠٦.
(٥) كريستنسن: إيران ٤٧٠ - ٤٧٣.

وتقوم العقيدة الزرادشتية على الثنوية، أي وجود إلهين في الكون، هما إله النور (اهورا مزدا)، وإله الظلام (أهريمن)، وهما يتنازعان السيطرة على الكون، ويقف البشر الأخيار مع إله الخير، والأشرار مع إله الظلام.

وتقدس الزرادشتية النار، وقد أقيمت معابد النيران في أرجاء الدولة، ويعرف رجال الدين الزرادشتيون ب (الموابذة)، وكل منهم يرأس مجموعة يسمون (الهرابذة)، وهم الذين يخدمون نار المعبد في كل قرية.

وهذه المعتقدات الباطلة لا تقدر أن تهب النفوس البشرية الطمأنينة والراحة النفسية، ولا تشبع تطلعها إلى عبادة الله الواحد الحق، ولا تمنحها القيم الأخلاقية الرفيعة، ولا قواعد العدل الاجتماعي.

الحالة الاجتماعية والأخلاقية:

كانت الحياة الاجتماعية في إيران تقوم على عمادين: النسب والملكية. فكان لفصل النبلاء عن الشعب حدود محكمة، «وكان لكل فرد مرتبته ومكانه المحدد في الجماعة، وكان من قواعد السياسة الساسانية المحكمة ألا يطمع أحد في مرتبة أعلى من المرتبة التي يخولها له مولده»[١].

وتقوم الأسرة على أساس تعدد الزوجات، وشاع بينهم الزواج بين المحارم[٢]، وكان وضع المرأة يشبه وضع الرقيق، حيث بإمكان الزوج أن يتنازل عنها لزوج آخر دون رضاها، كما شاعت عادة التبني للأولاد[٣]. وقد انتشرت الإباحية وعم الفساد الخُلُقي والاجتماعي، خاصة عندما انتشرت المزدكية التي دعا إليها مزدك (ولد سنة ٤٨٧ م).

*****

(١) نفسه ٣٠٢.
(٢) كريستنسن: إيران ٣١٠ - ٣١١.
(٣) نفسه ٣١٦ - ٣١٨.

دولة الروم
(الإمبراطورية البيزنطية)
٣١٢ - ١٤٥٣م

الحالة السياسية و الاقتصادية:

كانت الإمبراطورية البيزنطية تضم الروم في آسيا الصغرى (تركيا حالياً)، وتتوسع فتحتل الأقطار الواقعة على حوض البحر المتوسط الشرقي والجنوبي، وبذلك جمعت أجناساً عديدة من البربر والقبط والعرب إلى جانب الروم، ولم يكن بين هذه العناصر تجانس في الجنس واللغة والثقافة والتقاليد، وبرغم انتشار النصرانية بين هذه الشعوب، لكنها لم تحقق لها الانسجام بسبب الخلاف المذهبي، الذي أضعف ولاء رعايا الإمبراطورية في الشام ومصر لها.

وكان نظام الحكم ملكيّاً مطلقاً، فالنصرانية لا تنظم المجتمع والدولة، بل تكتفي بتنظيم العلاقة بين الناس وخالقهم، وشعارها (**دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله**). وكانت الفكرة السائدة التي تدعمها الكنيسة النصرانية، هي أن الله اختار الإمبراطور لهذا المنصب، فأضحى بذلك موطن تبجيل وتقديس من رعاياه في أمور السياسة والدين، وكانت الطقوس والمراسيم تجري في البلاط بمشاركة الكنيسة ورجال البلاط، فإذا طلع الإمبراطور ركعوا أمامه جميعاً[١].

وبرغم النصرانية فإن القانون الروماني والحضارة اليونانية الوثنية كانا يسودان الحياة[٢].

---

(١) د. السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية ٢٦.
(٢) نفسه ٢٧.

إن الإمبراطور البيزنطي الذي عاصر ظهور الإسلام هو هرقل (٦١٠ - ٦٤١ م) ويعدُّ من أعظم الأباطرة في التأريخ البيزنطي، حيث سعى إلى تجديد الإمبراطورية، وإعادة تنظيم الدولة، وبناء جيوشها، وزيادة ثرائها بتنظيم الضرائب وطرق الجباية، وتمكن من إحراز النصر على الإمبراطورية الساسانية، التي كانت تتفوق عسكريّاً على الروم[١]. وقد أشار القرآن الكريم إلى النصر الرومي النصراني على فارس المجوسية، وفرح المسلمون في مكة به، وكانت حملات هرقل على فارس بين سنتي ٦٢٢ - ٦٢٨م من (سنة ١٢ بعد البعثة المحمدية إلى سنة ٥هـ).

أما الحالة الاقتصادية، فإن الربا والاحتكار هما أساسا النظام[٢]، وقد فرض هرقل ضرائب جديدة على أهالي الولايات المستائين من الحكم الروماني، لتسديد الدين الكبير لحروبه مع فارس، وقد أصيبت الإمبراطورية البيزنطية بانحطاط هائل، نتيجة المغالاة في المكوس والضرائب، والانحطاط في التجارة وإهمال الزراعة وتناقص العمران. ويكفي لبيان كيفية إدارة الإمبراطورية للولايات الخاضعة لها أن نستشهد بقول بتلر عن إدارة مصر: «إن الروم كانوا يجبون من مصر جزية على النفوس، وضرائب أخرى كثيرة العدد». ويقول: «مما لا شك فيه أن ضرائب الروم كانت فوق الطاقة، وكانت تجري بين الناس على غير عدل». ويقول: «إن حكومة مصر الرومية لم يكن لها إلا غرض واحد، وهو أن تبتز الأموال من الرعية، لتكون غنيمة للحاكمين»[٣]. وحتى الروم أنفسهم تعرضوا لثقل الضرائب، وخاصة الفلاحين الذين اضطرتهم الضرائب الباهظة إلى بيع أراضيهم والهجرة إلى المدن[٤].

(١) الباز العريني: الدولة البيزنطية ١١٦، ١٢٤ - ١٢٧، وجوزيف نسيم يوسف: تأريخ الدولة البيزنطية ١٠٥.
(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة ١٤: ١٧٧.
(٣) بتلر: فتح العرب لمصر ٤٧.
(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة ١٤: ١٧٤.

الحالة الدينية و الفكرية:

برغم أن الإمبراطورية البيزنطية تدين بالنصرانية، لكن تعاليم النصرانية لم تبق كما جاء بها عيسى عليه السلام. «بل إن تعاليم الكنيسة انطوت على قدر كبير من تفكير الفلاسفة الوثنيين، واستخدمت الكنيسة وسائلهم وأسلحتهم العقلية في شرح العقيدة المسيحية»[١].

وخلاصة القول: إن النصرانية الحقة فقدت روحانيتها ووحدانيتها، لما أدخله إليها داعيتها الكبير بولس من تعاليم وثنية نشأ عليها قبل تنصّره، ولما تنصر الإمبراطور البيزنطي قسطنطين أدخل إليها مزيجاً من الخرافات اليونانية والوثنية الرومانية والأفلاطونية المصرية والرهبانية، وبذلك تحرفت الديانة، وضاعت تعاليمها الأصلية، وانحدرت إلى عبادة القديسين والصور[٢].

وقد وقع الخلاف المذهبي الذي كان محوره تفسير طبيعة المسيح عليه السلام بين سكان الإمبراطورية، فقد تبنت الدولة مذهب الملكانية، الذي يرى أن للمسيح طبيعتين: إلهية وبشرية، في حين انتشر مذهب اليعاقبة والمنفوستية في بلاد الشام ومصر، وهو يرى أن للمسيح طبيعة واحدة إلهية، وقد أدى هذا الاختلاف إلى شقاق عنيف بين الدولة ورعاياها، وحاول هرقل توحيد مذهب الإمبراطورية، فعقد مجمعاً دينياً انتهى إلى إقرار عدم الخوض في طبيعة المسيح والاكتفاء بالقول: إن لله إرادة واحدة[٣]. لكن المصريين قاوموه فاضطهدهم بالتعذيب والتحريق، وفشلت محاولة التوحيد الديني، وضعف ولاء اليعاقبة والمنوفستية في الشام ومصر للإمبراطورية البيزنطية.

---

(١) الباز العريني: الدولة البيزنطية ٢٧.

(٢) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٤٢. وديورانت: قصة الحضارة ١٤: ١٥٤ - ١٥٥.

(٣) أرنولد توينبي: تأريخ البشرية ٢: ٥٩ - ٦١.

وهـذا الخـلاف المذهبـي يوضـح مـدى الانحـدار الفكـري والانحـراف العقـدي، الذي أصـاب شـعوب الإمبراطورية، حتى جعلوا عيسـى عليه السلام وهو عبدالله ورسوله إلهاً، سبحان الله عما يقولون.

وكانت طبقـات المجتمع البيزنطي جميعاً تؤمن بالتنجيـم، والتنبؤ بالغيب، والعرافة، والاتصال بالشياطين، والتمائم[١].

الحالة الاجتماعية و الأخلاقية:

انتقلت تقاليد المجتمع اليوناني والروماني إلى الدولة البيزنطية، فلا غرابة إذا ما شاع الفساد الأخلاقي والانحلال الاجتماعي[٢] داخل البلاط وفي أوساط الشعب.

وكان الإمبراطـور وقـادة الجيـش وكبار رجال الكنيسـة يعيشـون في أعلى السـلم الاجتماعي، في حين يقبع آلاف العبيـد في المزارع الضخمة حيث يعانون من سوء التغذية وتدني مستوى المعيشة. ويقترب من مستواهم المعيشي الأحرار الذين يشـتغلون في الصناعات، وهذه الطبقات من الفقراء كانوا يحسـون بسوء حالهـم، وكثيراً ما حاولـوا القيام بثورات لم يوفقوا فيها. وكان أصحاب الأعمال الذين يستخدمونهم يؤلفون من بينهم طبقة وسطى كبيرة العدد[٣].

وهكـذا فـإن الطبقيـة والإقطاع وفقـدان العدالـة الاجتماعيـة كانت تطبع المجتمع البيزنطي، كما كانت القسوة والعنف والتعصب والجهل والخرافة تطبع حياة الأفراد، وما ذلك إلا بسـبب ضعف الإيمان الصادق بالله ورسله، وطغيان المظاهر الخادعة على الحياة الدينية في الإمبراطورية[٤].

---

(١) ديورانت: قصة الحضارة ١٤: ١٧٠.
(٢) ديورانت: قصة الحضارة ١٤: ١٧٠.
(٣) المرجع السابق ١٤: ١٧٣ - ١٧٥.
(٤) ديورانت: قصة الحضارة ١٤: ١٨٧ - ١٨٨.

تنبيه:

وبرغم مظاهر الضعف والفساد في الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية في وقت ظهور الإسلام وقيام حركة الفتوح الإسلامية، فإن من الخطأ المبالغة في وصف ضعفهما، فقد تمكنتا من حشد جيوش جرارة أمام تقدم المسلمين، وكانت جيوشهما تتفوق عدداً وعدة على المسلمين، ولكن الإيمان الصادق وروح الجهاد ونصر الله للمسلمين، هو الذي أكسبهم المعارك الطويلة التي خاضوها ضد قوى منظمة وجيوش متمرسة وقلاع حصينة وأمم عريقة.

الهند و الصين و اليابان

كانت البوذية تنتشر في الصين، فكانت التماثيل الخزفية المزججة التي تمثل الخدم والخيل والجمال تدفن مع الأموات في القبور، ثم تحولت هذه العادة إلى ذبح العبيد والخيول الحيَّة ودفنها مع الملوك والرؤساء، لخدمتهم في عالم ما بعد الموت[1]، وكانت تماثيل بوذا (٥٦٣ - ٤٨٣ ق. م) تنتشر في الهند أيضاً.

وتتركز البوذية حول مفاهيم تقول بخلود الحياة المستمرة في دورة لانهائية من تناسخ الأرواح، وهي حياة تفيض بالألم الذي يمكن الهروب منه بفضل التثقيف الذاتي، والوصول إلى الاستنارة التي تسمو بالإنسان لتصل به إلى مرحلة (الرفانا)، أي التوحد مع الذات الإلهية، أو باندماج الذات الإنسانية اندماجاً بهيجاً مع الكون[2]. وكل فعل شرير عقابه في هذه الحياة بعد عودة الروح في جسد جديد، والألم يرجع إلى الشهوة، ولذلك فالحكمة أساسها قمع الشهوات جميعاً، ونهى بوذا عن قتل الكائنات الحية والسرقة والكذب والمسكر والدنس، ولم يهتم بالطقوس ولم يتكلم عن (الله) و(الآخرة)، بل هو لا يؤمن

(١) ولز: موجز تأريخ الإنسانية ٣: ٧٧٣.
(٢) ادوين رايشاور: اليابانيون ٦٨.

إلا بالمحسوسات، وإن كان يركز على إنكار الذات والإحسان إلى الآخرين، كما أنه لم يهاجم نظام الطبقات السائد في الهند هجوماً صريحاً وإن كان يرى المساواة بين الناس، وقد رفض الأضاحي والتعزيم والرقى والدعاء، لكنه لم يحرم عبادة الآلهة الشائعة بين الهنود. وكان يدعو إلى تحقيق السعادة عن طريق النرفانا بجمع مقوماتها السبعة، وهي: السيطرة على النفس، و البحث عن الحقيقة، و النشاط، و الهدوء، والغبطة، والتركيز، وعلو النفس[١].

وتزاحم الديانة البرهمية الديانة البوذية في بلاد الهند[٢]، وقد حمل الكوريون الذين هاجروا إلى اليابان الديانة البوذية ونشروها هناك[٣]، وكان اليابانيون قبل البوذية يعبدون إلهاً يدعونه كامي، ويتمثل في عبادة ظواهر من الطبيعة كالشمس أو الأجداد الأسطوريين، الذين هم ظواهر من الطبيعة حسب معتقدهم، وتعرف ديانتهم باسم (الشنتو)، أي الطريق إلى الآلهة[٤]، وعند ظهور الإسلام كانت البوذية قد انتصرت على الشنتو[٥].

وقد انتشرت البوذية في سيلان والملايو والتبت وتركستان وبورما وسيام وكمبوديا وكوريا إلى جانب الصين والهند واليابان[٦].

وأما في الهند فإن البرهمية هي التي سادت فيها بعد أن زاحمت الديانة البوذية، والبرهمية تقوم على نظام الطبقات، وزعامة البراهمة، وتقديس البقرة، وتناسخ الأرواح، وقد بلغ عدد الآلهة الهندوسية ثلاثين مليونا تزدحم بها مقبرة العظماء في الهند[٧].

---

(١) ديورانت قصة الحضارة ٣: ٦٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٥.
(٢) ولز: موجز تأريخ الإنسانية ٣: ٧٧٩.
(٣) تويبي: تأريخ البشرية ٢: ٧٦ - ٧٧.
(٤) ادوين رايشاور: اليابانيون ٦١.
(٥) المرجع السابق ٦٣.
(٦) ديورانت: قصة الحضارة ٣: ٢٠٠، ٢٠٧.
(٧) المرجع السابق.

وقد صورت هذه الآلهة بصور لا تراعى فيها حدود الأخلاق، واحتفظت خلال القرون بعبادات وحشية، مثل التضحية بأفراد من الإنسان، وإحراق الأرملة عند وفاة زوجها.. وصورت البرهمية الحياة على أنها شر لا مفر منه، وعملت على تثبيط الهمة عند أتباعها، وإشاعة الكآبة في نفوسهم، واستحالت الظواهر الدنيوية على يديها أوهاماً، فمحت بذلك الفوارق بين الحرية والعبودية، بين الخير والشر، بين الإفساد والإصلاح[١].

ومن هذا العرض السريع الشامل يتبين أن البشرية جمعاء كانت منحرفة عن توحيد الله تعالى، وجاهلة بكيفية عبادته، وأن مجيء الإسلام كان رحمة عظيمة لهذا العالم، حيث صحّح الإسلام الاعتقادات الباطلة بالتعريف الواضح بالخالق ﷻ وأسمائه وصفاته، ومعرفة جوانب العقيدة الأخرى مفصلة، والكشف عن مراده من العباد ببيان أحكام الحلال والحرام، وتفصيل الآداب والأخلاق، وبذلك صار بوسع الإنسان الاهتداء إلى الله الواحد القهار، وعبادته وفق ما بينه القرآن والسنة، وتطبيق منهجه الشامل في الحياة الإنسانية.

*****

المبحث الثاني

الدعوة الإسلامية ومنطلقاتها الفكرية

إن الخطاب الإسلامي موجه للناس كافة بشتى بقاعهم، ومختلف أزمانهم، وبكل أجناسهم وقومياتهم وألوانهم ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٣]، وهذا العموم في الخطاب

(١) المرجع السابق ٣: ٢٣٢ - ٢٣٣.
(٢) الأنبياء: ١٠٧.
(٣) سبأ: ٢٨.

للبشرية اقتضى أن يقوم الرسول ﷺ وأتباعه بدعوة الآخرين إلى الدخول في الإسلام ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[١] . وقد حفلت العصور الإسلامية المتعاقبة بنشاط دعوي في أوضاع الحرب والسلام كان له أثره البالغ في تكثير أعداد المسلمين وتوسيع رقعة دار الإسلام. وكان الباعث الرئيسي على الدعوة هو طلب مرضاة الله والحصول على مثوبته، ففي الحديث النبوي: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم**»[٢].

إن موضوع الدعوة هو الإسلام بشموله للعقيدة والشريعة والأخلاق أو بتعبير معاصر لجوانب الحياة المتنوعة فكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية، ولكن المحور الأساسي هو التوحيد الخالص لله تعالى، وأنه الرب الخالق والمنعم الرازق، وأنه خلق البشر لتحقيق العبودية له ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]، ويتم اختبار طاعتهم في هذه الدنيا، ويجازون على أعمالهم في اليوم الآخر، حيث يدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٤] ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[٥] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٦].

إن الدخول في الإسلام يبدأ بـ«أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»، وبها يعلن الإنسان إخلاصه في العبودية لله وحده، والتزامه باتباع أحكام الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ، وهكذا يدخل الإنسان مرحلة الوعي الديني..

---

(١) يوسف: ١٠٨.
(٢) البخاري: الصحيح ٤: ٥٨، ومسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة باب «رقم ٣٤» واللفظ له.
(٣) الذاريات: ٥٦.
(٤) التغابن: ٧.
(٥) الحديد: ٢١.
(٦) البقرة: ٣٩.

الوعـي بالهدف النبيل من الوجود، والوعي بضرورة الارتقاء الروحي والمادي، والوعي بوسائل الارتقاء من الإحساس بمعاني الإيمان والتدبر والتفكر والذكر والشـكر والعبـادات المتنوعة من صلاة وصـوم وحج، لتوثيـق الصلة بالخالق، الصـلاة معـراج المؤمن، ومـن الانتصار للحـق والعدل والخير والجـمال بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن تمثل القيم الإسـلامية في واقع حياته، ليكون مثـال «الإنسـان الصالح»، ومـن العطاء السـخي للآخرين عن طريـق «العمل الصالح»، الذي يقربه إلى الله تعالى.

إن دائـرة العمل الصالح واسـعة، وهو يهدف إلى الارتقـاء بالحياة الروحية والماديـة ومسـاندة قيـم الحق والخير والجـمال في الأرض.. وهي معـاني كبيرة لا يسـهل تحقيقها نسـبيّاً، وإن تحققت في جيل فليس ثمة ما يضمن تحققها في جيل لاحق، فالصعود والهبوط يتعاقبان في تأريخ البشر، وتجديد الدين وإحياء السنن وتوثيـق عرى الإيمان يرتبط بالدعوة الإسـلامية، ومدى وعـي الدعاة لمضامين الإسلام وشموليته، وقدرتهم على تمثل تعاليمه، وإقناع الآخرين بها.

إن القرآن هو أول كتاب باللغة العربية حرك وعي الإنسان قبل أربعة عشر قرناً، وفتح عقله على مكانه في الكون والحياة، وعرَّف بالحقوق والواجبات، التي تعمـق وعيه الاجتماعي ونظرته الإنسـانية، وقـد كان النبي ﷺ يوضح ذلك كله بأقواله وسـيرته الشـخصية، ونظراً لتمثله القرآن بعمق ووعي خاصين، وتأثيره الكبـير في جيلـه خاصة، فإن الرؤيـة القرآنية تحولـت إلى واقع إنسـاني معايش، تفاعل مع الوحي الإلهي - قرآناً وسنةً - وأثمر ارتقاءً عظيماً في الوعي الإنساني العام، عندما انتشر الإسلام في الزمان والمكان..

هدفت الدعوة الإسـلامية إلى تخفيف معاناة الإنسان في الحياة، التي يمكن أن تتضـاءل بازدياد وعيه في ظل الوحي الإلهي، في حين قد يؤدي ازدياد الوعي

إلى زيادة المعاناة عند غياب الإيمان، فقسوة الحياة تشتد عندما تفتقد المعنى، والدين هو الذي يعطيها المعنى.

وقصدت الدعوة الإسلامية إلى تحرير الإنسان من الأوهام والأساطير والخرافات والشعوذة، التي يقوم بها منتفعون يزعمون أنهم وسطاء بين الله والناس. وأحياناً اتخذ الإنسان وسطاء من الحجر والشجر والبشر يناجونهم ويسألونهم، فأعلنت الدعوة الإسلامية أنه محض الشرك، وأن لا وساطة بين الله والإنسان، وفي الحديث «**اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[1] مما يفتح بصيرة المؤمن على عاقبة ظلم الإنسان، ويرسي أساساً للعدل السياسي والاجتماعي.

وتحمل الدعوة الإسلامية ميزاناً دقيقاً للحقوق والواجبات حسب الشريعة، فلا يجوز التفريط بها أو التخلي عنها، فهي نفحة إلهية للبشرية، وقد اقتضى تطبيق تلك التعاليم جهاداً وبذلاً منذ نزول الوحي، حتى استقرت دولة الإسلام، فلولا الحركة الجهادية لما قضي على الشرك وطابع الحياة الجاهلية، ولما استقرت معاني العقيدة وقيم الإسلام الاجتماعية ومضامينه الخلقية في نفوس الملايين.

وحرصت الدعوة الإسلامية على بناء مجتمع العدل والقوة ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2] مما يوضح الأسس اللازمة لبناء مجتمع قوي متحضر، يقوم على العدل والقوة، فالكتاب والميزان لإقامة العدل، والحديد لإيجاد القوة التي تحمي العدل وتكفل استمراره. والعدل الشامل يمتد إلى المسلم والذمي والكافر، والأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، والرجال والنساء، حيث تتحدد حقوق الجميع

(١) البخاري: الصحيح ٧: ١٦٨، ومسلم: الصحيح ٤: ١٧٤٠
(٢) الحديد: ٢٥.

وفق موازين العدل، دون احتكار أو استغلال أو استئثار أو ظلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[١].

وتنطلق الدعوة الإسلامية من مبدأ المساواة بين البشر دون اعتبار للثروة والجاه ولا اللون أو العرق، «**الناس بنو آدم، وآدم من تراب**»[٢]. ويقتضي ذلك تحقيق تكافؤ الفرص أمام الناس، والتزام العدل المطلق بينهم، وهدم النظم الطبقية إذ لا مكان للعنجهية والصلف والكبرياء والاستعلاء على الناس، «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم**»[٣]. وهذا يفسر تجاوب الأمم المختلفة مع الدعوة الإسلامة ودخولها في دين الله أفواجاً. وربما من أجل ذلك كله قال الفيلسوف الألماني هيجل: «يعد المبدأ الإسلامي - أو روح التنوير في العالم الشرقي - أول مبدأ يقف في وجه البربرية»[٤].

وتعلن الدعوة الإسلامة الشورى أساساً للنظام السياسي والاجتماعي، انطلاقاً من الآية ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾، والآية ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾، وقد بيَّن عمر رضي الله عنه أن الحكم يخص الأمة، وأن من يسلبها هذا الأمر يكون غاصباً[٥].

وتوازن الدعوة الإسلامية بين المطالب الروحية والدنيوية، وتنظر إلى عمران الأرض وزينة الحياة وطيباتها نظرة متفائلة، فلا تطالب البشر بالتبتل والحرمان والنأي عن استثمار الطاقات المتنوعة لمصالحهم ﴿**قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ**﴾[٦]، ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ

(١) النحل: ٩٠.
(٢) الترمذي: الجامع حديث رقم ٣٩٥٦، و أحمد: المسند ٢: ٣٦١.
(٣) أبو داود: السنن حديث رقم ٢٧٥١.
(٤) هيجل: محاضرات في فلسفة التأريخ ٢٥٠.
(٥) يعقوب بن سفيان: المعرفة والتأريخ ١: ٣٥١ بإسناد صحيح.
(٦) الأعراف: ٣٢.

ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[1]، فالمطلوب أن يكون العمران والاستثمار في نطاق الإحساس دون الظلم، والانحراف عن الفطرة، وتسخير القوى نحو الشر والدمار والطغيان...

وهي في دعوتها إلى العمران تربي الأتباع على الإتقان، والإتقان يقابل بمصطلحات العصر (التكنولوجيا)، والإحسان مرتبة عليا فوق الإسلام والإيمان، وفيها تتفجر الطاقات الإنسانية، وتنفتح على عالم الغيب بتركيز عال من العبادة والرقابة واليقين «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تر اه فإنه يراك**»[2].

وقد أثمرت هذه الدعوة حضارة مادية رائعة في العصور الإسلامية الذهبية، شملت الفكر والعلوم والزراعة والصناعة.

وكان من مقاصد الدعوة الإسلامية حفظ النوع الإنساني واستمراره في الوجود، بتشريع الزواج، وتحصين الأسرة، وتحريم إتلاف النفس البشرية بالقتل أو الانتحار ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[3] معتبرة تحقيق الأمان الفردي أساساً لتحقيق الأمن الجماعي.

وتفتح الدعوة الإسلامية أبواب التوبة أمام العالمين، مهما بلغت معاصيهم دون الحاجة إلى الاعتراف أمام وسيط، أو كشف مستور للآخرين: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ

(١) القصص: ٧٧.
(٢) البخاري: الصحيح ١: ١٨.
(٣) المائدة: ٣٢.

﴿هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١] وبذلك تم التأكيد على قيم إيجابية تحارب اليأس والقنوط والتردي والعبثية والإحساس بمأساوية الحياة، وتمحو الصور القاتمة المظلمة الموحية بالاكتئاب والقلق، مثل الطِّيرة (التشاؤم) والخوف من المستقبل. سأل صحابي النبي ﷺ: منَّا رجال يتطيرون؟ فأجابه: «**ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم**»[٢].

وتكثر الصور المتفائلة، والمعالم المضيئة والمعاني الإيجابية الملطفة للحياة، والمجملة للاجتماع البشري بإشاعة السلام والمحبة بين الناس، والاهتمام بحسن المنظر والمظهر والنظافة وطيب الرائحة.

وأكدت الدعوة الإسلامية على التكافل والتعاون بين الناس ابتداءً بصلة الأرحام وانتهاءً بالمجتمع بالحث على السخاء والكرم والإيثار ومراعاة حقوق الجيران، حيث ينخلع الناس عن أموالهم التي يحبونها تحت شعار «**الصدقة برهان**»[٣]. يعني أنها دليل قاطع على تذوق حلاوة الإيمان.

وأعلنت الدعوة الإسلامة حماية الملكية الفردية، وحثَّت على دوام تداول الأموال بالاستثمار، ومنعت تبديدها حتى من قبل صاحبها، فحجرت عليه إذا كان سفيهاً لايدرك عواقب إتلاف الثروة، وحرمت الربا والاحتكار منعاً لانحصار المال بأيدٍ قليلة ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾[٤].

وكانت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر تحفز روح المغامرة الجهادية والعلمية والتجارية، وتدفع للبذل والتضحية لبناء الأمة وكيانها الحضاري.

(١) الزمر: ٥٣.
(٢) مسلم: الصحيح ١: ٣٨٢ حديث رقم ٥٣٧، وأبو داود: السنن ١: ٢٤٤ - ٢٤٥.
(٣) مسلم: الصحيح ١:٢٠٣.
(٤) الحشر: ٧.

وقد اهتمت الدعوة الإسلامية بالعلم، فهو فريضة على كل مسلم، ووعدت بالأجر العظيم على طلبه، وقد وردت كلمة العلم في ٤٢٦ موضع من القرآن الكريم، وأعلت مكانة العلماء حتى اعتبرتهم ورثة الأنبياء[١].

وأرست قيما ثقافية تضمن استمرار التقدم العلمي. فالعلم حق للجميع، وليس حكراً لفئة معينة، مما يؤدي للارتفاع بالمستوى الثقافي لجمهور الأمة، والعلم يجب أن يقترن بالعمل والسلوك، وهو دليل توفيق الله للإنسان: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»، وفقه الدين يقتضي فهم الحياة والنظر إلى أحداثها وقضاياها وفق مفاهيم الإسلام، الذي انتظم جوانب الحياة المتنوعة، فلا عجب إذا ما تفتحت بصيرة المسلم على جوانب الاجتماع والاقتصاد والحس والذوق وقيم الجمال بصورة أرحب وأعمق وأشمل، كلما ازداد بصيرة في دينه.

والعلم تترتب عليه مسؤولية دينية، فالعالم يسأل عن موقفه العلمي يوم القيامة: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال:... وعن علمه ماذا عمل فيه؟**»[٢]. والعالم مسؤول عن نشر العلم وعدم كتمانه: «**من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة**»[٣].

والعلم بحر لا ساحل له، ولا يمكن للفرد الإحاطة به، لذلك لا بد من الاستمرار في طلبه دون انقطاع، وقد أثمرت هذه القيم الثقافية حركة فكرية زاهرة، حيث صار «**التعلم المستمر**» و «**تراكم المعرفة**» و«**تجميع العلم**»، ودراسته بصورة منظمة من أبرز خصائص الحركة الفكرية في عصور الإسلام الذهبية.

وكانت الدعوة الإسلامية ترتكز على مفهوم أن العقل وحرية الفكر مناط التكليف، وطالبت أتباعها بالبحث الحر عن الدليل أو البرهان، وأنكرت تقليد

(١) أبو داود: السنن ٣: ٣١٧، والترمذي: الجامع ٥: ٤٩، وابن ماجة: السنن ١: ٨١.
(٢) أبو داود: السنن ٣: ٣٢٣، وابن ماجة: السنن ١: ٩٣.
(٣) أبو داود: السنن ٣: ٣٢١، والترمذي: الجامع ٥: ٢٩.

الآخرين، فلم يظهر في الإسلام كهنوت يدعي احتكار فهم الإسلام وحق تفسير نصوصه، كما حدث في تأريخ الأديان الأخرى، بل بوسع كل مسلم أن يرجع إلى القرآن والسنة، وأن يتضلع في علومهما، ويأخذ بعد ذلك عنهما، ويناقش الآخرين في صحة الدليل وطريقة الاستدلال.

إن التأمل في المنطلقات الفكرية للدعوة الإسلامية يكشف عن مبادئ أساسية، تتمثل في تحقيق العبودية لله والكرامة والحرية والعلم والعدل والمساواة والشورى للإنسان، الذي يتجه إليه الخطاب الإسلامي في مطلق الزمان والمكان.

الفصل الثاني

الفتوحات

المبحث الأول

فتوح العراق و المشرق

في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

كانت قبيلتا شيبان وسدوس - من بني بكر بن وائل - تسكنان في القسم الجنوبي من العراق، وكان المثنى بن حارثة الشيباني يتزعم قبيلة شيبان، ويغزو بها مناطق الحيرة، كما كان قطبة بن قتادة السدوسي يتزعم قبيلة سدوس، ويغزو بها أطراف الأبلة التي كانت الميناء الرئيسي للعراق على الخليج العربي، ولم تكن هذه الحركات مرتبطة بالمدينة، بل كانت مستقلة، ولذلك أرسل أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد وعياض بن غنم إلى العراق، ليتوليا قيادة الجيوش فيه، على أن يفتح عياض دومة الجندل، التي انتقضت على أبي بكر ثم يمضي إلى الحيرة، وأيهما دخل الحيرة قبل الآخر تولى القيادة العامة في العراق[1].

سبق خالد إلى العراق، وضم إليه جيش المثنى، وبدأ بتنظيم الحركات العسكرية، فكانت أولى الوقائع بينه وبين الفرس في منطقة الحفير قرب الخليج العربي، وقد انتصر فيها خالد على هرمز القائد الفارسي، وتسمى المعركة بذات السلاسل، لأن الفرس اقترنوا بالسلاسل، كما تسمى غزوة كاظمة باسم القرية التي دارت قربها[2].

وقد تملك الفرس في هذه المرحلة أردشير، فحشد جيشاً بقيادة قارن، فالتقى به خالد في المذار، وألحق به الهزيمة، وقتل من الفرس عدداً كبيراً[3]،

---

(١) الطبري: تأريخ ٣: ٣٤٧ عن سيف بن عمر التميمي، والبلاذري: فتوح البدان ٢٩٥ - ٢٩٦.
(٢) المصدر نفسه ٣: ٣٤٨ - ٣٤٩ عن سيف.
(٣) الطبري: تأريخ ٣: ٣٥١ عن سيف.

وحاول الفرس بعد موقعة المذار الاستفادة من القبائل العربية، وخاصة بكر بن وائل، فاحتشدوا في الولجة، وانضم إليهم الاندرزغز القائد الذي أرسله الملك أردشير، وتمكن خالد من هزيمتهم، فذهبت فلولهم إلى أُلَيّس[١]، فاجتمعت العرب بقيادة مالك بن قيس والفرس بقيادة بهمن جاذويه، لكن بهمن ترك جبهة القتال إلى العاصمة بسبب مرض أردشير حيث مات فيه، وترك جابان على الفرس، وتمكن خالد في أُلَيّس من تشتيت العرب والفرس، وفر جابان وقتل مالك بن قيس[٢].

ثم سارع خالد إلى أمغيشيا فهدمها وخربها[٣]، وكان الفرس منشغلين بالاضطراب في البلاط عقب موت أردشير، حيث تعاقب على العرش بعده عدد من الأمراء والأميرات. وقد استفاد خالد من هذه الظروف فقصد الحيرة عاصمة العراق العربي من أمغيشيا بالسفن، وقد سد آزاذبة. حاكم الحيرة الفارسي قناطر الفرات، ليمنع سير السفن، لكن خالد أعاد فتح السداد بالقوة وحاصر الحيرة، فتحصن سكانها العرب وقاوموا، وفر آزاذبة، وبعد حصار عنيف صالح خالد سكان الحيرة على الجزية، واتخذ خالد الحيرة معسكراً لجيشه، وأرسل حملات عدة إلى أطراف الحيرة لإقرار الأمن فيها، وقد صالحه الدهاقين في المنطقة[٤].

وبعد فتح الحيرة قصد خالد إلى الأنبار فحاصرها، وكانت محاطة بخندق، فرمى فيه الإبل ليجتاز إليها، لكن شيرزاد الحاكم الفارسي صالحه على أن يسمح له بمغادرتها[٥]. ثم قصد خالد إلى عين التمر على أطراف بادية الشام، حيث

(١) المصدر نفسه ٣: ٣٥٣.
(٢) المصدر نفسه ٣: ٣٥٥ عن سيف، والبلاذري: فتوح البلدان ٢٩٧، ٣٠٠باختصار.
(٣) الطبري: تأريخ ٣: ٣٥٨ عن سيف.
(٤) الطبري: تأريخ ٣ : ٣٥٨ - ٣٦٩ عن سيف، والبلاذري: فتوح البلدان ٢٩٧ - ٣٠٠.
(٥) الطبري: تأريخ ٣: ٣٧٣ عن سيف.

تجمعت قبائل تغلب والنمر وأياد والفرس بقيادة مهران بن بهرام جوبين، فحاصرها حتى نزلوا على حكمه، فقتل المقاتلة وغنم الأموال[١].

أما عياض بن غنم فبقي سنة كاملة لا يقوى على خصومه من كلب وبهراء وغسان، الذين نفروا إلى دومة الجندل بعد هزيمتهم أمام خالد بن الوليد، وكان زعيم أهل الدومة أكيدر بن عبدالملك الكندي، الذي سرعان ما تخاذل عندما علم بنجدة خالد لعياض، وقيل: إنه ترك الدومة قبل المعركة، أما القبائل العربية فقاتلت المسلمين خارج الحصن، ثم فرت فتحصنت به، ثم فتح خالد الدومة عنوة، وقتل من بداخلها من المقاتلين ٠ وكانت الدومة مفتاح بلاد الشام والعراق، لذلك حرص المسلمون على الاستيلاء عليها[٢].

وقد استغل العرب والفرس غياب خالد عن الحيرة فثاروا فيها، فلما رجع خالد أخضعها وباغت قبائل تغلب، وأرسل القعقاع إلى حصيد حيث تجمعات الفارين من الحيرة عرباً وفرساً فهزمهم[٣]، ولجأوا إلى بلدة الخنافس ففتحها المسلمون، كما باغت خالد قبائل هذيل في المصيِّخ، وبذلك أعاد سيطرة المسلمين على سائر العراق العربي[٤]. ثم قصد خالد إلى الفِراض وهو تخوم العراق والشام والجزيرة، فاجتمع عليه العرب والفرس والروم فقاتلهم وانتصر عليهم[٥]، ثم رجع إلى الحيرة حيث جاءه أمر أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يأخذ نصف الجيش ويتجه إلى الشام لمساعدة المسلمين هناك ضد الروم، وبقي المثنى بالنصف الآخر في العراق[٦].

---

(١) المصدر السابق ٣: ٣٧٦ عن سيف.
(٢) المصدر نفسه ٣: ٣٧٨ عن سيف.
(٣) نفسه ٣: ٣٨٠.
(٤) نفسه ٣: ٣٨١.
(٥) نفسه ٣: ٣٨٣.
(٦) نفسه ٣:٤٠٨، ٤١٥ - ٤١٧.

ملاحظات:

١ - لم يشرك الصديق رضي الله عنه أحداً من المرتدين في الفتوح، بل جردهم من السلاح، لأنه لم يأمنهم لحداثة عهدهم بالردة، وعقوبة لهم بإظهار الاستغناء عنهم، ثم لأنه لم يشأ أن يكونوا طلائع الفتح الإسلامي، فلا يعطون سكان المناطق المفتوحة المثل الصالح للجندي المسلم.

٢ - لم تستقر قدم الفاتحين في المناطق المفتوحة، بل كان السكان وخاصة نصارى العرب يثورون عليهم، فقد أعيد فتح الحيرة ثلاث مرات. وهذا يفسر أسباب تغير شروط الصلح مرات عديدة في مناطق السواد.

٣ - دارت سائر المعارك في العراق العربي[١].

في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

بعد مغادرة خالد بن الوليد العراق إلى الشام، اضطر المثنى إلى الانسحاب من المنطقة المفتوحة إلى الصحراء لعدم تمكنه من مواجهة الفرس بقواته القليلة، ولخشيته من ثورة سكان البلاد، فترك الحيرة إلى خفَّان في الصحراء.

ثم حدثت اضطرابات في البلاط الساساني، وتعاقب تسعة أمراء في أربع سنوات على العرش، وبدأ الاضطراب عندما قتل شيرويه أباه كسرى أبرويز، ثم قتل شيرويه، وتولى أمراء متعاقبون، ثم تولى شهريران بن أردشير، ثم مات فتولت أخته دخت زنان بنت كسرى، ثم خلعت وتولى سابور بن شهريران ثم قتل، وتولت آزر ميدخت بنت كسرى، ثم خلعت وتولت بوران بنت كسرى، وقد أطلقت يد رستم في شؤون الدولة والجيش[٢].

وبدأ رستم تنظيم مقاومة ضد المسلمين، وقد استمد المثنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأرسل عمر أبا عبيد بن مسعود الثقفي ومعه عشرة آلاف مقاتل،

(١) شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ٦٢، ٦٩.
(٢) الطبري: تأريخ ٣: ٤١٣ - ٤١٤، ٤٤٧.

ولما وصل العراق كان رستم قد استثار الدهاقين في السواد فثاروا بالمسلمين، كما أرسل ثلاثة جيوش: أحدها بقيادة جابان، والآخر بقيادة نرس، والثالث بقيادة الجالينوس، وتمكن أبو عبيد من هزيمة الجيوش الثلاثة قرب الحيرة وكسكر والسقاطية على التوالي، وأعاد احتلال السواد وصالح الدهاقين[١].

وقد حفزت هزائم الفرس رستم فعبأ جيشاً كبيراً بقيادة بهمن جاذويه ذي الحاجب، يساعده الجالينوس ومعهم الفيلة وراية كسرى «درفش كابيان»، والتقى الجيشان على الفرات بقس الناطف، وقد خيَّر الفرس أبا عبيد أن يعبر إليهم أو يعبروا إليه، فاختار العبور كي «لا يكونوا أجرأ على الموت منا»، لكنه فقد خصائص عديدة، فقد كان وراءه الصحراء، وبعبوره أصبح النهر وراءه، وكان في صحراء فأصبح في أعشاب ومستنقعات، وفي بدء المعركة رجحت كفة المسلمين، لكن الفيلة أرعبت خيلهم، وخبطت أبا عبيد فقتلته، وانهزم المسلمون، وقام أحدهم بقطع الجسر ليمنع الهزيمة، لكنه أخطأ وزاد خسائر المسلمين التي بلغت أربعة آلاف بين قتيل وغريق، ثم أصلح الجسر وعبر المسلمون. لقد كانت الهزيمة قاسية حتى لحق بعض المسلمين بالمدينة، وبقي بعضهم بالبوادي يغلبهم الحياء[٢].

وكان لا بد للمسلمين أن يثأروا للجسر، وبدأ الخليفة عمر رضي الله عنه يحشد الجيوش لهذا الغرض، وقد تثاقل بعض المسلمين عن الذهاب إلى جبهة العراق، ورغبوا في الالتحاق بالشام، حتى أكره عمر بجيلة بقيادة جرير بن عبد الله البجلي بالالتحاق بالعراق، وعوضهم ربع خمس ما أفاء الله عليهم. وكذلك سمح عمر رضي الله عنه للمرتدين بالاشتراك بالفتوح وأمد بهم المثنى، وقد قاد المثنى جيش المسلمين، والتقى بالفرس في البُويب مما يلي موضع الكوفة اليوم وعليهم

(١) الطبري: تأريخ ٣: ٤٥٠ - ٤٥٣.
(٢) الطبري: تأريخ ٣: ٤٥٤ - ٤٥٩ عن سيف.

مهـران، وقـد تمكن المثنى مـن حصر الفـرس والإيقاع بهـم وقتل مِهـران[١].. كما قام بتعقب الفارين، وبذلك اسـتعاد المسـلمون معنوياتهـم، وغلبوا من جديد على السـواد. وفي هذه المعركة اشـتركت بعض القبائل العربيـة ونصارى النمر وتغلب إلى جانـب المسـلمين ضـد الفـرس. وفي أعقـاب البويـب ازداد إحسـاس الفرس بالخطـر، فاجتمعـوا على يزدجرد بن شـهريار بن كسرى، ونهـض يزدجرد بالأمر، فجنَّد الكفاءات وحشد القوى، وأدرك المثنى خطورة الموقف فانسحب إلى ذي قار ينتظـر أمداد المدينة. وقام الفرس بتجنيـد عام وتوزيع الفرق في كل أنحاء الأرض التي احتلها المسلمون، وأثاروا السكان على المسلمين، فنقضوا الصلح وثاروا.

القادسية (١٥هـ):

أما المسلمون فقد قام المثنى باستنفار القبائل العربية لقتال الفرس، وأرسل عمـر رضي الله عنه الأمداد من المدينة، وأراد أن يقودها بنفسـه لولا نصيحة الصحابة له بالبقاء، وتولى القيادة سعد بن أبي وقاص، ويقال: إن جيشه بلغ بمن التحق به في طريقه إلى العراق ٣٠٠٠ و ٢٠ مقاتل، ولما وصل إلى العراق كان المثنى قد استشهد مـن جـراح أصابته، فضم إليه جيشـه البالـغ ٨٠٠٠ مقاتل، وأمـر عمر رضي الله عنه أبا عبيـدة بن الجراح قائد الجيش في الشـام أن يمده بالجيش الذي سـحبه خالد من العراق قبل اليرموك، فأعادهم وهم ٨٠٠٠ مقاتل بقيادة هاشـم بن عتبة بن أبي وقـاص، وأما الفرس فبلغ عددهم في بعـض الروايات ١٢٠٠٠٠ مقاتل معهم ٣٣ فيلاً، يقودهم رستم كبير القادة الفرس، وقد بدأت المفاوضات أولاً وأوضح رسـل المسـلمين ومنهم المغـيرة بن شـعبة والنعمان بـن مقرن أهداف المسـلمين لرسـتم الذي تصـور أن الأمر يمكن أن يسـوى بالمال، ثـم دارت رحى المعركة في القادسـية ثلاثة أيام هي أرماث وأغواث وعمواس، ولياليها الهدأة والسـواد

(١) الطبري: تأريخ ٣: ٤٦٠ - ٤٧٢ عن سيف وابن إسحاق.

والهرير وهي أشدها، وقد أفاد المسلمون من يوم الجسر، وتمكنوا من التخلص من الفيلة برمي عيونها، ففرت وقتل رستم وانهزم الفرس، وقتل منهم ألوف كثيرة، وخسر المسلمون ٦٠٠٠ مقاتل. واختلف في سنة الوقعة بين ١٤ و ١٥ و١٦ هـ، ولعل الراجح أنها سنة ١٥ هـ بعد اليرموك ودمشق وفحل[١].

المدائن:

وانطلق المسلمون بعد القادسية إلى المدائن بعد أن سقطت أمامهم بابل، ثم بهرسير وفر يزدجرد من المدائن إلى حلوان تاركاً حامية في المدائن... وقد اقتحم المسلمون نهر دجلة بجرأة نادرة، ولم يستطع الفرس صدهم، وسلمت الحامية على الجزية، ودخل المسلمون القصر الأبيض، الذي وعدهم الرسول ﷺ بفتحه[٢].

جلولاء (١٦ هـ):

وبدأ يزدجرد بتنظيم المقاومة من حلوان، ويتقدم نحو المدائن، لكن سعداً وجَّه هاشم بن عتبة على جيش من المسلمين، فالتقى بالفرس وهزمهم وفتح حلوان، وذلك في موقعة جلولاء التي يمثل سقوطها انهيار الخطوط الأولى للمقاومة الفارسية، وفي أعقاب جلولاء اعتنق دهاقين السواد الإسلام، فأقرهم عمر رضي الله عنه على مراكزهم ورفع عنهم الجزية[٣].

تكريت:

وبعد جلولاء أرسل سعد بن أبي وقاص جيشاً بقيادة عبدالله بن المعتم لفتح تكريت في ٥٠٠٠ مقاتل، فقاتل فيها الروم الذين كانوا يسيطرون عليها،

(١) الطبري: تأريخ ٣: ٤٧٧ - ٥٩٠.
(٢) المصدر السابق ٤: ٦ - ٢٤.
(٣) المصدر نفسه ٤: ٢٤ - ٣٤.

وسقطت بعد حصار أربعين يوماً. ثم وجه ابن المعتم ربعي بن الأفكل العنزي إلى الموصل، فصالح أهلها وأهل نينوى على الجزية[١].

بناء الكوفة (١٧ هـ):

وقد طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من سعد بن أبي وقاص أن لا يوغل في بلاد الفرس، وأن يبني مدينة للمسلمين، لأنهم استوخموا جو المدائن، ولعله خشي غلبة عادات أهلها وترفهم على المسلمين، فبنى سعد الكوفة التي لا يفصلها عن الصحراء ماء، لتكون قاعدة الجيوش الإسلامية في العراق[٢].

بناء البصرة (١٦ هـ أو ١٧ هـ):

وقريباً من ذلك الوقت بنى عتبة بن غزوان البصرة في منطقة الأبلة، التي فتحها عتبة بن غزوان سنة ١٤ هـ، حيث وجهه عمر لغزو الجنوب حين وجه سعد بن أبي وقاص إلى القادسية[٣]. وقد فتح عتبة الأبلة وهي مرفأ عظيم للسفن بعد قتال مع الفرس، ثم بنى البصرة، وهكذا أصبحت الكوفة والبصرة المنطلقين الرئيسيين للجيوش الإسلامية، التي فتحت المشرق. وهكذا أيضا أصبح الاستقرار طابع الفتوحات في خلافة عمر رضي الله عنه.

لقد فُتح أكثر العراق عنوة، وانتقض مرات عديدة، حتى إن عهود الفتح وشروط الصلح تغيرت مرات عديدة، ويترتب على الفتح عنوة استملاك المسلمين للأرض، لكنهم دعوا المغلوبين للبقاء فيها على أن يدفعوا الخراج، وأفاد هذا الإجراء في عدم تحول الفاتحين إلى فلاحين، وفي ربط الفلاحين القدامى بأرضهم وولائهم لبلدهم، وساعد ذلك على ازدهار الزراعة في السواد، وما

(١) الطبري: تأريخ ٤: ٣٥ - ٣٧.
(٢) المصدر السابق ٤: ٤٠ - ٤٨.
(٣) المصدر نفسه ٣: ٥٩٠ - ٥٩٥.

كان بوسع الفاتحين استثمار الأرض لنقص الخبرة، أما موقف السكان فقد قاوم العرب الفاتحين مقاومة عنيفة وخاصة نصارى بكر بن وائل، أما الفلاحون فقد ساعدوا الفاتحين الذين أبقوا الأرض بأيديهم، لكن الجند من أهل السواد قاوموا بعنف، فهم يرتبطون بالدولة، وأما الدهاقين فكانوا مع الغالب، ولما رجحت كفة المسلمين أسلموا وتولوا أعمالهم السابقة على الفتح. أما إسلام السكان فقد استجابت العامة للدين السمح والدهاقين للحفاظ على مصالحهم، وأسلمت بعض القبائل العربية مثل ربيعة، وحافظت بكر بن وائل على النصرانية، وأسلم بعض الفرس، واشتركوا في القادسية مع المسلمين، لكن عددهم كان محدوداً[1].

ونتيجة عدم تعقب المسلمين لفلول الفرس في بلاد إيران حسب خطة عمر رضي الله عنه، تمكن بعض قادتهم كالهرمزان وملكهم يزدجرد من إعادة تنظيم الجيش، وتصوروا أن المسلمين خافوهم فلم يتعقبوهم، وبدأ التجمع الفارسي في مكانين، نهاوند ويتولى يزدجرد أمر حشد الجيوش فيها، والأحواز ويتولى الهرمزان الذي كان قد فرَّ من القادسية أمر الفرس فيها.

ونتيجة قرب الأحواز من البصرة، بدأت تحرشات الفرس بالمسلمين هناك، فلنرجع قليلاً إلى الوراء لنتبين ظروف البصرة وعلاقتها بالأحواز. وكان عتبة قد مات فولاها عمر رضي الله عنه المغيرة بن شعبة، الذي كان قد تمكن من قهر سكان الأحواز وصالحهم على الجزية، ثم عزل عمر رضي الله عنه المغيرة على إثر شغب بعض أهل البصرة عليه واتهامهم له بالزنا، ولم تثبت التهمة، لكن عمر عيَّن أبا موسى الأشعري على البصرة، وفي طريق أبي موسى إلى البصرة ثار الفرس بالأحواز ورفضوا دفع الجزية، وزاد في طمع الفرس فشل المغامرة التي قام بها العلاء ابن الحضرمي، حيث تقدم بالمسلمين من البحرين بالسفن إلى إقليم فارس،

(١) شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ١٠٠ - ١٠٥.

متجهاً إلى اصطخر عاصمة الإقليم، فقطع عليه الفرس طريق الرجعة، وأنقذت حاميات البصرة والكوفة العلاء بن الحضرمي وعزل عن البحرين.

فتح الأحواز:

ولما اطلع أبو موسى على تحرشات الفرس وطمعهم دفع قواته إلى مدينة الأحواز، ففتحها بعد أن كانت قد فتحت مناذر ونهر تيري، وقد فر الهرمزان من الأحواز إلى رامهرمز، وبدأت الحشود تتجمع من فارس حوله بتحريض من يزدجرد، فطلب عمر رضي الله عنه من سعد بن أبي وقاص أن يوجه النعمان بن مقرن من الكوفة إلى رامهرمز[١].

فتح رامهرمز:

كما طلب من أبي موسى الأشعري أن يوجه سهيل بن عدي من البصرة إلى رامهرمز، وقد تمكن النعمان من فتح رامهرمز قبل وصول سهيل[٢].

فتح تستر:

وفرَّ الهرمزان إلى تستر، ولحقه النعمان وسهيل، فحاصرا تستر، ولكثرة جيوش الهرمزان وحصونه تستر لم يتمكن المسلمون من فتحها إلا بعد وصول أمداد كثيرة من البصرة بقيادة أبي موسى الأشعري، ومن الكوفة بقيادة عمار بن ياسر واليها، ودار قتال عنيف خارج تستر، التي كانت عاصمة خوزستان وأكثر مدنها منعة، ثم اضطر الفرس إلى الاعتصام بحصونها، وقد دلَّ رجل من أهل تستر المسلمين على مدخل مائي إلى المدينة، فدخل منه مئتان وأربعون مقاتلاً في الليل وفتحوا أبواب المدينة، ودخلها المسلمون، فاعتصم الهرمزان بقلعته، ثم سلم على أن يحكم فيه عمر رضي الله عنه، وكفت المدينة عن المقاومة[٣].

(١) الطبري: تأريخ ٤: ٧٢ - ٧٦.
(٢) المصدر السابق ٤: ٨٣.
(٣) الطبري: تأريخ ٤: ٧٧، ٨٣.

فتح السوس و جندى سابور:

ثم اتجه المسلمون إلى السوس، فحاصروها حتى نفد قوتها وصالحتهم، وأسلم سياه الأسواري بشرط أن يلحق هو وجيشه بإشراف العطاء، وصالحت جندى سابور المسلمين، وبذلك تم خضوع إقليم فارس للمسلمين[١].

نهاوند (٢١ هـ):

وأما يزدجرد فاستمر يحشد الجيوش في نهاوند من مختلف المقاطعات بقيادة الفيرزان، حتى قيل: إن جيشه بلغ ١٥٠,٠٠٠ مقاتل، وتغيرت وجهة نظر الخليفة عمر رضي الله عنه في منع الانسياح في بلاد إيران بعد أن شرح له الأحنف بن قيس الموقف، وأن الفرس سيستمرون بالمقاومة مادام يزدجرد حيّاً، وهمَّ عمر أن يتوجه إلى العراق لقيادة الجيش بنفسه، لولا نصيحة الصحابة له بالبقاء، فعيّن النعمان بن مقرن على الجيش وبعده حذيفة بن اليمان، وقيل: إن جيش المسلمين بلغ ٣٠,٠٠٠ مقاتل، وكانت نهاوند حصينة، وكان الفرس يخرجون منها فيقاتلون ثم يحتمون بحصونها، فلم يتمكن منهم المسلمون حتى استدرجوهم بعيداً عنها، ثم قاتلوهم وهزموهم وقتل الفيرزان، واستشهد النعمان، وفتح المسلمون نهاوند، وتسمى فتح الفتوح، فلم تقم للفرس بعدها قائمة. وفي أعقابها صالحت همذان ثم الدينور ثم السيروان ثم الصيمرة ثم ماه... [٢].

وتتمثل خطة عمر رضي الله عنه بعد نهاوند بالانسياح السريع في بلاد إيران، كي لا يجتمع للفرس فل، لذلك عقد بنفسه سبعة ألوية، فجعل لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس، ولواء أردشير وسابور إلى مجاشع بن مسعود السلمي، ولواء اصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي، ولواء درابجرد إلى سارية بن زنيم

(١) المصدر السابق ٤: ٨٩ - ٩٤.
(٢) الطبري: تأريخ ٤: ١١٤ - ١٣٩، ١٤٢ - ١٤٣.

الكناني، ولواء كرمان إلى سهيل بن عدي، ولواء سجستان إلى عاصم بن عمرو، ولواء مكران إلى الحكم بن عمرو التغلبي.

فتح أصبهان:

وجه عمر عبدالله بن عبدالله بن عتبان إلى أصبهان، وبعد قتال عنيف خارج المدينة صالحت أصبهان على الجزية. وتوضح الروايات التي يسوقها أبو الشيخ الأنصاري أن بعض أصبهان فتح صلحاً وبعضها فتح عنوة، ومما فتح صلحاً مدينة جي أصبهان وشقها، ومما فتح عنوة شق التيمرة من أصبهان، ورستاق الشيخ، ورستاق بوحوار، ورستاق جرم قاشان[١].

إعادة فتح همذان:

ثم انتقضت همذان، فأعاد فتحها صلحاً نعيم بن مقرن، واجتمعت جيوش المقاطعات الشمالية من الديلم وأهل الري وأذربيجان بقيادة اسفنديار الرازي أخي رستم قائد القادسية، فهزمهم نعيم بن مقرن في واج روذ[٢].

فتح الري:

لكنها عادت فاجتمعت في الري بقيادة ملك الري سياوخش، والري عاصمة الشمال الحصينة، وجاءتهم الأمداد من أهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان، فإن سقوط الري بيد المسلمين يجعل الخطر مباشراً على هذه المناطق، وكذلك لأهمية الري الدينية، حيث فيها معابد النار الكثيرة، وقد لقي المسلمون مقاومة عنيفة انتهت بفتح الري عنوة، ومع ذلك فقد أجراه نعيم صلحاً، ولعل خطورة الوضع وعنف العدو في هذه المناطق جعله يفكر في تهدئة أهل الري.

وبسقوط الري صالحت قومس المسلمين، وكذلك فعلت دنباوند، ولم يبق من بلاد الفرس أمام المسلمين سوى جرجان وطبرستان وأذربيجان، وبذلك

(١) الطبري: تأريخ ٤: ١٣٩ - ١٤١، و أبو الشيخ: طبقات ١٨٩.
(٢) الطبري: تأريخ ٤: ١٤٦ - ١٥٠.

يصلون إلى شواطئ قزوين، وقد كاتب سويد بن مقرن ملوك هذه المقاطعات، فصالحه ملكا طبرستان وجرجان، وتقدم عتبة بن فرقد وبكر بن عبدالله في بلاد أذربيجان، ولقيا اسفنديار فهزماه وأسراه، فصالحهما على الجزية، كما دان للمسلمين شهريراز أمير الباب، وبذلك وصل المسلمون إلى أقصى بلاد الفرس، واتصلوا بديار الترك من الشمال[١].

أما في الجنوب من بلاد إيران فقد تقدم المسلمون من البحرين ومن البصرة لغزو ولاية فارس، ففتح عثمان بن أبي العاص توَّج بمعاونة مجاشع بن مسعود الذي كان على جيش البصرة[٢].

فتح إقليم فارس:

ثم سار مجاشع إلى سابور وأردشير ففتحهما بعد قتال، وسار عثمان بن أبي العاص إلى اصطخر عاصمة الإقليم ذات الأهمية السياسية والدينية، ودافع عنها الهربز، ودخلها المسلمون بالقوة، ثم صالحوا الهربز على الجزية، وقد انتقضت بعد ذلك مرتين وأعيد فتحها، ويذكر البلاذري أن أبا موسى الأشعري قدم من البصرة، واشترك في فتوح إقليم فارس مع عثمان بن أبي العاص، ففتح أرجان وشيراز وسينيز صلحاً، وفتح عثمان درابجرد صلحاً، ويخالفه الطبري، فيذكر أن سارية بن زنيم فتح بسا ودرابجرد[٣].

فتح كرمان و مكران:

وكذلك فتح سهيل بن عدي كرمان بالقوة، كما فتح الحكم بن عمرو التغلبي مكران بالقوة، وكان يزدجرد في كرمان، ففر إلى مرو خراسان... [٤].

(١) الطبري: تأريخ ٤: ١٥٠ - ١٦٠.
(٢) الطبري: تأريخ ٤: ١٧٤.
(٣) المصدر السابق ٤: ١٧٥ - ١٧٩.
(٤) المصدر نفسه ٤: ١٨٠ - ١٨١.

فتح سجستان:

وتمكن عاصم بن عمرو من فتح سجستان بعد حصار عاصمتها زرنج على الجزية[١].

فتح خراسان:

وتمكن الأحنف بن قيس من التوغل في خراسان الإقليم الشمالي الشرقي من بلاد إيران، ففتح هراة عنوة ثم صالح أهلها، وأرسل القوات إلى نيسابور وسرخس، وسار بنفسه إلى مرو، حيث يقيم يزدجرد الذي فر منها إلى مرو الروذ، ثم منها إلى بلخ، وتبعه الأحنف فسقطت بلخ وفر يزدجرد إلى سمرقند لائذاً بخاقان الترك، وجمع خاقان جيشاً من فرغانة والصغد، وجاءت أوامر عمر إلى الأحنف أن لا يتقدم في بلاد الترك، فقد اتسعت الفتوح، ولا يؤمن انتقاض الفرس في البلاد المفتوحة، مما يهدد خطوط رجعة المسلمين. وقد تقدم خاقان بجيوش الترك لحرب الأحنف، لكنه عرف أن المسلمين لن يتقدموا في بلاده فرجع عن قتالهم. أما يزدجرد فقد فقد أمله بتراجع خاقان، وكان قد تقدم مع خاقان إلى مرو، فلما انسحب خاقان حاول أخذ خزائنه من مرو والالتحاق بخاقان، فرفض سكان المدينة ذلك، فلما أصر ثاروا به وقتلوه[٢].

وهكذا تم فتح بلاد إيران في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقام المسلمون المسالح في شتى أرجائها متوقعين انتقاض الفرس في هذه الديار، لقد كانت فتوح المشرق عنيفة اقتضت من المسلمين تضحيات جسيمة بسبب اختلاف الدم، فسكان إيران فرس لاتربطهم بالعرب لغة ولا جنس ولا ثقافة، وكان الشعور القومي عند الإيرانيين يذكيه التأريخ الطويل والثقافة المتأصلة، كما أن القتال كان يدور

(١) المصدر نفسه.
(٢) الطبري: تأريخ ٤: ١٦٦ - ١٧٣.

في صميم الوطن الإيراني، ويشترك رجال الدين المجوس في تأليب السكان على المقاومة، يضاف إلى ذلك بعد هذه المناطق عن مراكز الجيش في البصرة والكوفة، وطبيعة الأرض الجبلية التي تمكن السكان من المقاومة، ولذلك فقد انتقضت معظم هذه المراكز، وأعيد فتحها في خلافة عمر أو في خلافة عثمان رضي الله عنهما[١].

في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه:

انتقضت بعض الولايات الإيرانية على المسلمين، فأعادوا فتحها في خلافة عثمان رضي الله عنه، ففي سنة ٣١ هـ انتقضت خراسان، فتقدم إليها عبدالله بن عامر بجيش من البصرة، وأعاد فتح مدنها مرو ونيسابور ونسا وهراة وبوشنج وباذغيس ومرو الشاهجان. ثم وجه الأحنف بن قيس إلى طخارستان، فاجتمع عليه أهل مرو الروذ والجوزجان والطالقان والفارياب والصغانيان، ففتح هذه البلاد بعضها صلحاً وبعضها عنوة، وحاول فتح بلخ فلم يتمكن، ثم عبر نهر جيحون فصالحه أهل بلاد ما وراء النهر، ثم استخلف عثمان قيس بن الهيثم بدل الأحنف، فتوغل في طخارستان وفتح مدنها، وكذلك فتح سعيد بن العاص بلاد طبرستان، وصالحه ملك جرجان، وثارت أذربيجان فغزاها الوليد بن عقبة وأعادها إلى الطاعة، وكذلك تم فتح أرمينية في خلافته[٢].

في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

تأثرت فتوح المشرق في أواخر حكم عثمان بما كان من فتن واضطراب في المدينة، فحدث هدوء نسبي في هذه الجبهات الشرقية، بل إن بعض المدن نقضت صلحها مع المسلمين في أواخر خلافة عثمان مثل بلخ وهراة، ولم تمكن الفتن الداخلية في خلافة علي من متابعة الفتح في المشرق[٣].

(١) شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ٢٢٠ - ٢٢٥.
(٢) الطبري: تأريخ ٤: ٢٤٦ - ٢٤٧، ٢٦٩ - ٢٧١، ٢٨٦ - ٢٨٧، ٢٩٣ - ٣٠٣، ٣٠٩ - ٣١٦.
(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٥٠٥.

المبحث الثاني

فتوح الشام ومصر والمغرب

• فتوح الشام في خلافة الصديق رضي الله عنه:

كان النبي ﷺ قد لفت أنظار المسلمين إلى فتح الشام منذ مؤتة سنة ٨ هـ ثم تبوك سنة ٩ هـ ثم حملة أسامة سنة ١١ هـ، التي كتب لها أن تتأخر إلى خلافة الصديق رضي الله عنه. ثم بدأ الصديق رضي الله عنه بتوجيه الحملات إلى الشام في سنة ١٣ هـ بعد أن رجع من الحج، فوجه خالد بن سعيد بن العاص إلى تيماء، ليتخذها معسكراً يستنفر الناس إليها. ثم توغل خالد في بلاد الشام وأمده أبو بكر بالوليد بن عقبة ثم بعكرمة بن أبي جهل، وقد تمكن القائد الرومي باهان من استدراج خالد، وهو يتظاهر بالتراجع إلى دمشق حتى طوقه وقاتله في موقعة مرج الصفر، وفر خالد بن سعيد والوليد بن عقبة، وتراجع عكرمة بالجيش، حيث انضم إلى الجيوش التي وجهها أبو بكر إلى الشام، وقد حدد أبو بكر لقادة هذه الجيوش وجهتهم، فيتجه أبو عبيدة إلى حمص، ويزيد بن أبي سفيان إلى دمشق، وشرحبيل بن حسنة إلى الأردن، وعمرو بن العاص إلى فلسطين، ولم تكن الجيوش تحت قيادة واحدة[١].

الصدمات الأولى:

وقد اصطدمت مع الروم في بعض جهات الشام، حيث التقى يزيد بن أبي سفيان بالروم بقيادة سرجيوس وانتصر عليه في وادي عربة، كما التقى عمرو ابن العاص وشرحبيل بن حسنة بأرطبون (أريطيون) في أجنادين بفلسطين، واضطراه إلى التراجع إلى القدس[٢].

---

(١) الطبري: تأريخ ٣: ٣٨٧ - ٣٩٤.

(٢) الطبري: تأريخ ٣: ٤٠٦، ٤١٧، ٤١٨ عن ابن إسحاق، ٦٠٥. والبلاذري: فتوح البلدان ١٣٥ - ١٣٦.

ولكـن المسـلمين أخذوا يواجهون عقبات كبيرة تمثلـت في التفوق العددي الهائل للروم، حيث حشـدوا جيشـاً كبيراً بقيادة تيودريك أخي هرقل، اتخذ من منطقة على اليرموك معسـكراً له، لذلك اقترح عمرو بن العاص تجميع الجيوش الإسلامية في اليرموك فتم ذلك.

اليرموك (في الطبري سنة ١٣ هـ):

ووجـه أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد مع نصف الجيش الذي كان في العراق لمسـاعدة المسـلمين في الشـام، وقد قطع خالد الصحراء بسرعة خارقة، واتصل بجيـوش المسـلمين في اليرمـوك بعـد أن فتـح في طريقـه إليهم بـصرى وبعض الواحـات التـي مر بهـا. وقد اجتمعـت جيوش المسـلمين تحت قيـادة خالد بن الوليـد ثم دارت رحى معركة هائلة، وقد استبسـل المسـلمون واستشـهد عكرمة ابـن أبي جهـل، وقاوم الروم بعنف ثم هرب بعضهم، ومعظمهم هوى في وادي الواقوصـة، فـكان قتلاهـم ألوفاً عديـدة. وكان جيش المسـلمين يضـم ألفاً من الصحابـة بينهـم مئة بدري[١]. وقد غـادر هرقل على إثر الموقعـة مدينة أنطاكيا، وودع سـوريا الوداع الأخير، وفتحت الطريق أمام المسـلمين للانسـياح في بلاد الشـام، وفي أعقـاب اليرمـوك توفي أبو بكـر رضي الله عنه[٢]، وتـولى الخلافة عمر رضي الله عنه، وقيل: إن ذلك كان عقب حصار دمشق[٣]، بل هناك رواية أخرى مخالفة هي أن اليرموك حدثت عقب فتح دمشق، ومعنى ذلك أنها كانت في خلافة عمر رضي الله عنه.

• **في خلافة عمر رضي الله عنه:**

عزل خالد:

بدأ عمر خلافته بعزل خالد بن الوليد عن القيادة العامة في الشـام، وولاها أبا عبيدة عامر بن الجر اح، ويرجح البعض السبب إلى موقف خالد من مالك بن

(١) ابن عساكر: تأريخ دمشق ١: ٥٢٩ (ط. المنجد).
(٢) الطبري: تأريخ ٣: ٣٩٤ - ٤٠٨.
(٣) البلاذري: فتوح البلدان ١٤٤.

نويرة، أو إلى عداء شخصي منذ الجاهلية بين الاثنين، أو إلى كراهية عمر لمجازفة خالد بالمسلمين في المعارك، والصواب أن عمر رضي الله عنه يمتاز برغبته في الإشراف على الولاة والقادة، وكان يخطط حتى للمعارك التي تدور في جبهات العراق والشام، وتروي المصادر تفاصيل ذلك، وخالد امتاز بطبيعته التي تدعو إلى الاستقلال والتصرف الحر، فكان لا بد من عزله لتحقيق الانسجام بين الخليفة وقيادة الجيش، وكذلك ليس بعيداً أنه عزله كي لا يفتتن به الناس، فيحسبون أن النصر لايتحقق إلا بوجوده.

فتح دمشق (في الطبري أوائل سنة ١٤ هـ):

واستشار أبو عبيدة الخليفة: هل يتجه إلى دمشق أم إلى فحل بالأردن؟ فأشار بالاتجاه إلى دمشق، فحاصرها المسلمون ستة أشهر، ثم فتح خالد الباب الشرقي عنوة، وفتح أبو عبيدة باب الجابية صلحاً، وأجرى أبو عبيدة الصلح مع دمشق. وقد استقر المسلمون داخل مدينة دمشق أكثر من ضواحيها وملحقاتها الإدارية[١].

ثم اتجه المسلمون بقيادة شرحبيل إلى فحل، حيث التقوا بالروم هناك وهزموهم، لذلك صالحهم أهل طبرية وبيسان وأذرعات وعمان وجرش ومآب وبصرى على مثل صلح أهل دمشق، (يقاسمهم المسلمون الأموال والمنازل، وعلى جزية مقدارها دينار واحد سنويّاً على كل فرد)[٢].

حمص وحماة واللاذقية وقنسرين وحلب:

وتمكن المسلمون بعد فتح دمشق وفحل من بسط نفوذهم على سوريا والجزيرة وفلسطين والأردن، فقد اتجه أبو عبيدة إلى حمص وحاصرها، ثم فتحها صلحاً على إثر زلزال وقع فيها. وقد صالحت حماة على مثل صلح حمص.

(١) ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة ص ٣٩٣، برغم أن الجدول يخص توزيع العلماء وحدهم، ولكن الشريحة الاجتماعية تصلح للقياس عليها، فإن العلماء إنما يعيشون وسط الجمهور الذي يوجهونه.

(٢) الطبري: تأريخ ٣: ٤٣٤، ٤٣٧ - ٤٤٤، والبلاذري: فتوح البلدان ١٤٤ - ١٤٧.

ثـم اتجه أبو عبيـدة إلى اللاذقيـة فحاصرها، وأطال سـكانها الحصار لإنقاذ أنطاكية، لكنه تمكن من فتحها بالقوة.

ثم اتجه خالد إلى قنسرين قرب حلب ففتحها عنوة، وطلب سكانها الصلح، فرفـض خالد، لكـن أبا عبيدة أقرهم على الصلح، ومع ذلك ثارت عندما تركها المسلمون لفتح حلب، فأعادوا فتحها وتركوا فيها حامية.

وكذلـك أرسـل أبـو عبيـدة عيـاض بن غنـم ففتح حلـب صلحـاً بعد أن حاصرها[1].

أنطاكية:

وبقيـت أنطاكية التي تعد عاصمـة الإمبراطورية في الشرق، وقد تخلى عنها هرقل إلى الرها، فحاصرها أبو عبيدة وفتحها صلحاً، ثم ثارت فأعاد عياض بن غنم فتحها وترك فيها حامية.

وفي الوقت الذي عمل أبو عبيدة وخالد بن الوليد وعياض بن غنم على فتح سوريا والجزيرة، كان عمرو بن العاص يتقدم في أرض فلسطين، فعلى إثر موقعة أجنادين (١٣ هـ) اعتصم أرطبون بحصون بيت المقدس، فاتجه المسلمون إلى فتح مدن الساحل ففتحوا رفح وغزة وسبسطية ونابلس واللد وعمواس وبيت جبرين ويافا، بعضها عنوة وبعضها صلحاً.

بيت المقدس:

ثم اتجه عمرو بن العاص إلى بيت المقدس فحاصرها طويلاً، ولما أدرك أهل القدس قوة الحصار وانقطاع الإمداد عنهم لاستيلاء المسلمين على مدن الساحل رغبوا في الصلح، واشـترط سـفرونيوس بطريق المدينة أن يتولى الصلح الخليفة

(١) الطبري: تأريخ ٤: ٥٠ - ٥٦، والبلاذري: فتوح البلدان ١٥٦، ١٥٧، ١٦٢، ١٧٢، ١٧٤ - ١٧٥.

عمر رضي الله عنه بنفسه ليكون أوكد، فقدم عمر بنفسه إلى الجابية، وكتب كتاب الصلح للقدس، وسلمت مفاتيحها إليه... أما أرطبون قائد حامية القدس فانسحب إلى مصر[١].

وهكذا تم فتح بلاد الشام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه «وقد غادر البيزنطيون ولحق بهم أتباعهم من أهل البلاد... وكان عدد أفراد الجاليات العربية يتجاوز كثيراً عدد الجيش الفاتح، فعدد جيش الفتح كما تقول المصادر كان يبلغ من ٢٤,٠٠٠ إلى ٢٧,٠٠٠ محارب، ثم ازداد إلى ٤٠,٠٠٠ في نهاية عهد الخلفاء الراشدين، وإلى ٦٠,٠٠٠ أيام معاوية الأول، تضاف إليهم عائلاتهم. وهذا العدد يماثل عدد أفراد قبيلة واحدة من تلك التي استوطنت هذه المنطقة قبل الإسلام، كقبيلة غسان التي شكلت دولة في حوران في القرن الخامس الميلادي[٢]، حيث يذكر البلاذري أن الأمير الغساني جبلة بن الأيهم ترك الشام بعد الفتح مع ٣٠,٠٠٠ من رجاله»[٣]. ويلاحظ أن المؤرخين اقتضبوا أخبار فتح الشام وفصلوا فتوح العراق، ولكن هناك تفاصيل عن اليرموك وفتح دمشق والقدس، أما موقف عرب الشام من الفتح والإسلام، ففي حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقدم إليه وفد منهم ليبايعه على الإسلام، وإن كان أهل جرباء وأذرح ودومة الجندل قد صالحوه في غزوة تبوك. وقد وقفت كثير من القبائل العربية مثل بهراء وكلب وسليم وتنوخ ولخم وجذام وغسان إلى جانب الروم، وقاتلت ضد المسلمين، كما أن بعض العرب من لخم وجذام ساندوا المسلمين فيما بعد في اليرموك لكنهم لما رأوا جد القتال فروا، لكن نصف جيش الروم كان عربيّاً بقيادة جبلة بن الأيهم الغساني.

(١) الطبري: تأريخ ٣: ٦٠٧ - ٦١٢.
(٢) ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية الإسلامية ص ٥٨.
(٣) البلاذري: فتوح البلدان ١٦١.

وقد قاوم نصارى الشام الجيوش الإسلامية لأسباب دينية، فلما رأوا انتصار المسلمين جنحوا إلى مصالحتهم. ويرى نولدكة وتريمنكهام أن قيام القبائل المتنصرة بمقاومة الفتح الإسلامي ماكانت نابعة عن التزام ديني بقدر ماكانت المصالح تقتضي مثل هذا الموقف، فلما زالت هذه المصالح ورفض الروم دفع المبالغ المقررة لتلك القبائل التي كانت تحمي مداخل الصحراء، حتى بدأت تغير من موقفها مع المسلمين(١).

أما الروم فقاتلوا بعنف في ميادين عديدة، وأطالوا القتال، وحسبوا حركة الفتح غزواً ينتهي بانسحاب العرب بعد إحرازهم على الغنائم، ونسوا أن العرب تغيروا، وأصبحت لهم مثل وقيم ومبادئ دونها كنوز الأرض كلها. وأنهم عندما قدموا ألوف الشهداء على أرض الشام ابتغوا نشر الرسالة والتمكين لها، وليس نهب البلاد المفتوحة، وهذا سر استمرار وجودهم هناك(٢).

فتح مصر:

كانت دوافع فتح مصر عند المسلمين قوية، فهناك العقيدة التي يريدون التمكين لها في كل مكان، ومصر تتصل بفلسطين، فمن الطبيعي بعد فتح فلسطين أن يتجه المسلمون إلى مصر، وقد شطر المسلمون الإمبراطورية البيزنطية إلى شطرين، لا يصل بينهما سوى البحر، وذلك باستيلائهم على الشام، وفي مصر وشمال أفريقية جيوش ومسالح رومية، ولبيزنطة أسطول قوي في البحر، ولن يأمن المسلمون في الشام ومصر تحت النفوذ الرومي، ومصر غنية، وهي مصدر لتموين القسطنطينية، فإذا احتلها المسلمون ضعف نفوذ بيزنطية كثيراً، وأمن المسلمون في الشام والحجاز، حيث يسهل اتصال الروم بالحجاز عن طريق مصر.

---

(١) د. محمد عبدالقادر خريسات: دور العرب المتنصرة في الفتوحات ص ٢، ضمن بحوث المؤتمر الدولي الرابع لتأريخ بلاد الشام – 1985 م. Trimingham، christianty among the arabs in pre - islamic time long man London and New york، P. 56 - 1979.

(٢) شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ٤٤ – ٥٥.

العريش:

وقد استأذن عمرو بن العاص عمر بن الخطاب في فتح مصر، واتجه بجيشه إلى العريش واحتلها دون مقاومة، ثم سار إلى الفرما، وقاومه الروم شهراً أو شهرين، ثم تمكن من احتلالها، واتجه إلى بلبيس[1]. شمال شرق القاهرة فاحتلها، واصطدم بعد ذلك بأرطبون وهزمه.

حصن بابليون:

وتقدم إلى حصن بابليون، حيث تعتصم قوات الروم بقيادة ثيودورس ورئاسة المقوقس، الذي عينه الروم بطريركاً على الأسكندرية ووالياً على مصر، وعسكر المسلمون في عين شمس (هيليوبوليس)، وجاءهم مدد الخليفة بقيادة الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت، فتقدموا إلى حصن بابليون وحاصروه، وطال الحصار لمناعته، وكان الروم يخرجون منه فيقاتلون ويعودون، ثم غلبهم المسلمون خارجه، وفر ثيودورس إلى الأسكندرية، واحتمى المقوقس بالحصون، وبعد حصار سبعة أشهر فاوض المسلمين على الصلح على الجزية للقبط والخيار للروم، وخلال حصار بابليون تمكن عمرو بن العاص من الاستيلاء على الفيوم وجنوب الدلتا، كما استولى على أم دنين إحدى مسالح الروم المهمة.

وبعد سقوط حصن بابليون فتح الطريق أمام المسلمين للاستيلاء على مصر السفلى، حيث لم يلقوا مقاومة عنيفة، كما اتجهوا نحو الأسكندرية في الشمال، والأسكندرية حصينة كما أن موقعها البحري يمكن الروم من إيصال الأمداد إليها بحراً، وقد لقي الجيش الإسلامي في طريقه إليها مقاومة من الروم حتى وصل إليها، ودافع الروم عنها وضربوا المسلمين بالمجانيق، وطال حصارها،

(١) شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ١١٨ - ١٢٠، وبتلر: فتح العرب لمصر ١٩١ .

وكان الإمبراطور هرقل قد عزل المقوقس عن مصر، ونفاه على إثر مصالحته المسلمين في بابليون، ومات هرقل فرجع المقوقس إلى ولايته على مصر، فرأى الإسكندرية محاصرة، فصالح المسلمين عليها، على الجزية لمن شاء البقاء، ولا يمنع من يريد الالتحاق بالروم. وهكذا سيطر المسلمون على الإسكندرية، وبدأوا بإنشاء الفسطاط، وحفر قناة بين النيل والبحر الأحمر، ثم اتجه عمرو بن العاص نحو الغرب، ففتح برقة صلحا سنة ٢١ هـ، وفتح طرابلس عنوة سنة ٢٢هـ.

ويمكن أن نلاحظ أن موقف الروم في مصر يتميز بالمقاومة العنيفة، لأن المسلمين يسلبونهم سلطانهم، ومنهم من سالم رغبة في الاستفادة من المسلمين، كالمقوقس بعد أن نفض يده من بيزنطة.

أما القبط فقد ساعدوا المسلمين بإصلاح الطرق وإقامة الجسور وإمدادهم بالمؤونة، وكان اضطهاد البيزنطيين لهم دينيّاً وإجحافهم لهم بالضرائب، وصورة الحرية الدينية التي أتاحها المسلمون لنصارى الشام تجعلهم يرحبون بالمسلمين[1].

• **في خلافة عثمان** رضي الله عنه:

إعادة فتح الأسكندرية:

عزل عثمان رضي الله عنه عمرو بن العاص عن مصر وولى عبدالله بن سعد بن أبي سرح سنة ٢٧ هـ، فثارت الإسكندرية على المسلمين، وأرسل الإمبراطور قسطنطين أسطولاً حربيّاً بقيادة منويل الخصي الأرمني، فاحتل الإسكندرية وتقدم في الأرض المصرية، فأعاد عثمان عمرو بن العاص على قيادة الجيش، فتمكن من طرد الروم و احتلال الإسكندرية ثانية وهدم أسوارها[2].

(١) الطبري: تأريخ ٤: ١٠٤، وشكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ١٣٧ - ١٤٥.
(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٧ - ٢٦٣.

السودان:

وقد توجه عقبة بن نافع الفهري إلى بلاد النوبة (السودان)، لكنه لم يتمكن من التوغل فيها، ثم صالحهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وتبادل معهم الهدايا.

أفريقية:

وقد أرسل عبدالله بن سعد بن أبي سرح يستأذن عثمان بغزو أفريقية (تونس)، فأرسل عثمان جيشا من المدينة فيه أعيان الصحابة، وتولى قيادته ابن أبي سرح أولا، ثم ولي عليه الزبير بن العوام، فتمكن من إحراز النصر على جرجير[١] ملك أفريقية، وأحرز غنائم وعاد، فلم تكن غزوته فتحاً منظماً[٢]. وكان البربر بأفريقية والمغرب تحت ملك الفرنجة، ويدينون بالنصرانية[٣].

ذات الصواري:

وقد اهتم المسلمون ببناء الأسطول البحري، مستفيدين من خبرة سكان الإسكندرية، وتمكن الأسطول الإسلامي من إحراز نصر على أسطول الروم في موقعة ذات الصواري في البحر المتوسط على مقربة من الإسكندرية سنة ٣٤ هـ وقد استولى المسلمون على بعض سفن الروم فأضافوها إلى أسطولهم[٤].

الجيش ونظام القتال:

لم يظهر الجيش النظامي في عصر الخلافة الراشدة بالصفة التي نجدها في الدولة العباسية، بل كانت الأمة كلها مقاتلة حين تدعى إلى الجهاد، حيث

(١) هو جرجوريوس القائد من الإفرنج الذين غلبوا على إفريقية بعد انحسار نفوذ الروم، وقد اتخذ من سبيطلة عاصمة له لمناعتها بدلا من قرطاجنة، وكان في البدء نائبا عن بيزنطة، ثم استقل عنها (حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب ٩٦ هامش رقم ٢، والزاوي: تأريخ الفتح العربي في ليبيا ٢٤، والسلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١: ٧٥).

(٢) الطبري: تأريخ ٤: ٢٥٣ - ٢٥٦، والبلاذري: فتوح ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٣) سعد زغلول: تأريخ المغرب ١ - ١٢٦.

(٤) الطبري: تأريخ ٤: ٢٨٨، ٢٩٠ - ٢٩٢.

كان كل قادر على حمل السلاح ومسجل في ديوان العطاء يهب للانخراط في الحملة العسكرية[١]. لذلك لم تكن التدريبات اليومية تحت إشراف الدولة، وإنما اعتمدت جيوش الفتح على المتطوعين، الذين كانوا يتدربون بأنفسهم على السباحة والرماية والمبارزة والفروسية بصورة مستمرة، استعداداً للجهاد مما وفَّر للدولة أعداداً كبيرة من الرجال القادرين على القتال العارفين بأساليبه وفنونه في ذلك العصر.

«لقد أرسى الرسول القائد ﷺ القواعد العسكرية الإسلامية، ووضع تعاليمها النظرية والتطبيقية، وحذا الخلفاء الراشدون حذوه في تطبيق هذه التعاليم، ولذلك استطاعوا تحقيق أكبر الانتصارات على أقوى جيوش فارس والروم، وفتحوا البلدان في وقت قياسي قصير»[٢].

وكانت القبيلة هي الوحدة العسكرية في ميدان القتال، كما كانت أساساً للتنظيم الاجتماعي والإداري في الأمصار[٣]. وبرغم أن الروابط القبلية ظلت فاعلة في علاقات القبائل ببعضها وبالدولة، وكانت الدولة تحسب لها حساباً، إلا أن تغلغل الإسلام في المجتمع وقوة العقيدة الإسلامية في النفوس أدى إلى إضعاف الروح القبلية شيئاً فشيئاً، فظهرت معايير جديدة وروابط جديدة على أساس المساواة والتقوى بصرف النظر عن الأصل، كما أن ظهور الفرق العديدة التي كانت تجمع أناساً من أوساط مختلفة وقبائل متباينة ساعد على إيجاد روابط فكرية وسياسية ودينية على حساب الروابط القبلية القديمة[٤].

---

(١) فاروق عمر فوزي: النظم العسكرية، نشأة الجيش النظامي في الإسلام ٢: ٢٢٩. (وقائع ندوة النظم الإسلامية، أبو ظبي ١٤٠٥ هـ).
(٢) المرجع السابق ٢: ٢٣٥.
(٣) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ٣٨ - ٤٠.
(٤) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ١٣٧، وفاروق عمر فوزي: النظم العسكرية ٢: ٢٣٩.

وكذلك فإن استقرار - العرب في الأمصار أدى إلى امتزاج القبائل وتداخلها اجتماعيّاً بالزواج واقتصاديّاً بوحدة مصالح المصر، وكانت الروابط الاجتماعية والاقتصادية الجديدة تقوى على مر الزمن على حساب الروابط القبلية.

وكان الجيش عربيّاً في البدء، ثم استسلمت أعداد من قوات الفرس والروم، ودخلت في الإسلام، ورغبت في الالتحاق بالقوات الإسلامية.

وقد عاملتهم الدولة الإسلامية بمرونة، فألحقتهم بقواتها مع احتفاظهم باستقلال وحداتهم وفرقهم، وسمح لهم - إذا رغبوا - بالتحالف والارتباط بالقبائل العربية، كما أدخلوا ديوان العطاء، ومن هؤلاء «الحمراء» من الروم، و«الأبناء» من أهل صنعاء، و«الديالمة» و«القيقانية» و«الأساورة» من الفرس[١].

وقد عرف الجيش الإسلامي عدة رتب عسكرية، تتمثل في أمير الجيش ونائبه وأمراء الكراديس وأمراء التعبئة والنقباء والعرفاء[٢]، وكان الجيش يرفع لواءً أبيض ورايةً سوداء[٣] كما كان عليه الأمر في عهد النبوة[٤]. وكان المقاتلون فرساناً ومشاة، وكانت الدولة حريصة على تربية الخيل لأغراض الجهاد، كما كانت تحثُّ الناس على تربيتها، وتقيم لها السباقات، وتحدد لها الحمى. ويعطى الفارس من الغنيمة سهمان وللراجل سهم واحد[٥].

وكانت التعبئة العربية تعتمد على نظام الصفوف ونظام الكراديس ونظام الخميس، فكان الجيش يقسم إلى خمسة أقسام: الميمنة، والميسرة - ويطلق عليهما

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٣٦٦ - ٣٧٩، وابن عبدالحكم: فتوح مصر ١٢٩، وصالح العلي: التنظيمات ٥٩، وفاروق عمر: النظم العسكرية ٢: ٢٤٢.
(٢) محمد فرج: المدرسة العسكرية ٤٢٥، وعبدالعزيز السلومي: ديوان الجند ٢٩٤.
(٣) البلاذري: فتوح البلدان ١٣٢ - ١٣٣، والطبري: تأريخ ٤: ٥١٤.
(٤) ابن حجر: فتح الباري ٦: ١٢٦. وتسمى الراية «العقاب».
(٥) عبدالعزيز السلومي: ديوان الجند ٣٤٣ - ٣٤٦.

الجناحان -، والقلب، و الساقة، والمؤخرة. وكل قسم يضم عدة كراديس، ويتألف كل كردوس من ألف مقاتل، وله قائده وحاشيته ورایاته. وبين كل كردوس وآخر فسحة من الأرض مناسبة تسمح لها بحرية الحركة والقتال.

وكانت الدولة تمون الجيش بما يلزمه من الطعام والسلاح والخيول والجمال[1].

(١) عبدالعزيز السلومي: ديوان الجند٣٦٢ - ٣٨٠.

البَابُ السَّادِسُ

الفتن الداخلية

الفصل الأول

الردة

تمهيد

انتشار الإسلام خارج المدينة [1]

لم يقتصر انتشار الإسلام على أهل المدينة، فقبل قيام الدولة فيها قام بعض المسلمين من خارج مكة بتبليغ الدعوة إلى قبائلهم، كما فعل أبو ذر الغفاري مع قبيلته غفار، والطفيل بن عمرو الدوسي مع قبيلة دوس من أزد اليمن.

ولما قامت دولة الإسلام بالمدينة اهتمت بإرسال الدعاة إلى البوادي لدعوة القبائل برغم الأخطار التي كان تحدق بالوفود، كما حدث في الرجيع وبئر معونة، كما أن الرسائل الدعوية التي وجهها النبي ﷺ في العام السادس بعد الحديبية إلى الملوك والأمراء شملت عدداً من حكام المناطق العربية في البحرين وبصرى.

وكانت «أول جمعة جمعت - بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ - في مسجد عبدالقيس بجواثى من البحرين»[2].

وقد دخلت مكة في الإسلام عام ٨ هـ بعد فتحها، وأسلم أهل الطائف عام ٩ هـ، وقد شكل محور المدينة - مكة - الطائف مركز الثقل الإسلامي في حروب الردة. وكان يضم الأنصار والمهاجرين وبقية قريش وثقيف ومزينة وغفار وجهينة وبلي وأشجع وأسلم وكعب، وفي نجد ثبت على الإسلام طوائف من بني سليم وطيء وهذيل وتميم - ثبت منها على الإسلام في حركة الردة عدد من بطونها، هم عوف والأبناء والرباب وبهوى، وارتد بنو حنظلة ومقاعس والبطون[3] - وعبس وذبيان وقضاعة وكلب وأسد وغطفان[4] وهوازن وعامر[5]، وهذه الطوائف وقفت ضد المرتدين، وتعرضت للقتل أو الأذى.

---

(١) راجع صالح العلي: الدولة في عهد الرسول ﷺ، المجلد الثاني منه، ومهدي رزق الله أحمد: الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجمعة باب ١١ (فتح الباري ٢: ٣٧٩).

(٣) الطبري: تأريخ:٣: ٢٦٨، ٢٦٩ .

(٤) الكلاعي: حروب الردة ٤١، ٤٢، ٤٩، ٥١، ٦٧، ٦٩. والطبري: تأريخ ٣: ٢٤٢، ٢٤٣ وابن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح ١: ٧.

(٥) الطبري: تأريخ ٣: ٦٤.

وهكذا انقسمت القبائل على نفسها بسبب الولاء للإسلام والارتداد عنه. كما امتد الإسلام في شمال شبه الجزيرة العربية فأسلم بنو شيبان وبنو عذرة في عصر السيرة[١].

وأرسل النبي ﷺ الأمراء والدعاة إلى اليمن مثل معاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب، ثم أرسل أبا موسى الأشعري فكان على الأشعريين[٢] بزبيد ورمع وعدن والساحل. وقد واجهوا الوثنية في معظم قبائل اليمن، كما واجهوا النصرانية التي تدين بها بنو الحارث بن كعب، واليهودية التي يدين بها حمير وكثير من كندة[٣]. وقد أثمرت جهودهم، فأسلم ملوك حمير، شرحبيل والحارث ابني عبد كلال ونعيم بن عبد كلال قيل ذي رعين[٤].

وأسلم باذان حاكم صنعاء من قبل الفرس، وأسلم معه الأبناء[٥]، وأرسلت اليمن وفودها عام ٩ هـ، منهم وفد كندة، ووفد الأشعريين، ووفد همدان، ووفد دوس[٦]، مما يدل على انتشار الإسلام في اليمن، وقد كان لثبات قبائل ذي مران وذي الكلاع وذي ظليم وبجيلة وزبيد والنخع وجعفي والأبناء والسكون والسكاسك على الإسلام أثره في إحباط ردة الأسود. وكان في القبائل المرتدة مثل بني عقيل بن ربيعة وعك وخثعم طوائف من المسلمين ثبتت على الإسلام،

(١) ابن أعثم: كتاب الفتوح ٤٥ وابن حجر في الإصابة ٣: ٤٣٨ .
(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٨: ٦١).
(٣) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٤٩١.
(٤) ابن سعد الطبقات ١: ٢٦٥، ٢٨٢، ٣٥٦ وابن هشام السيرة النبوية ٢: ٥٨٨ - ٥٩٠، والبلاذري فتوح البلدان ٩٥.
(٥) الطبري تأريخ ٢: ٦٥٥ والبيهقي دلائل النبوة ٢: ٤٥٢
(٦) أحمد: المسند ٣: ١٠٥ بإسناد صحيح، و ١٥٥ بإسناد فيه ضعف من جهة يحيى الغافقي، و١٥: ٢١١، ٢١٢ حديثين بمتن واحد، تفرد بهما مسلم بن هيصم العبدي مقبول، فيحتاج إلى متابعة، والبخاري: الصحيح (فتح الباري ٨: ٩٦ - ١٠٠)، والبيهقي: السنن الكبرى ٢: ٣٦٩ بإسناد قال البيهقي: إنه على شرط البخاري، وليس كما قال، فإن فيه أبا عبيدة بن أبي السفر صدوق يهم، و ليس من رجال البخاري ولا مثلهم.

ووقفت ضد الأسود العنسي، بل إن قبيلة مذحج التي ينتسب الأسود إليها ثبت عدد كبير من رجالها على الإسلام، وحاربوا الأسود، لكن جهال القبيلة كانوا معه[١].

أما في حضرموت فقد انتشر الإسلام في طوائف من قبيلة كندة، إلا أن حركة الردة وجدت أنصاراً كثيرين لها في أوساط هذه القبيلة، مما يدل على الانقسام داخل كندة[٢]. ولكن بقيت قبائل نجران على نصرانيتها[٣]. وخضعت للدولة الإسلامية، وحافظت على علاقاتها معها خلال أحداث ردة الأسود العنسي[٤]، وكان عمرو بن حزم والياً على نجران.

وانتشر الإسلام في اليمامة، وقد ثبت الكثيرون من المسلمين أمام حركة الردة التي قادها مسيلمة، وكان في بني حنيفة - قبيلة مسيلمة - عدد كبير من المسلمين، وقد قاوموا مسيلمة بقيادة ثمامة بن أثال الحنفي[٥]، وقد انتشر الإسلام في عمان والبحرين في بني جديد وبني ناجية وبني عبدالقيس وكعب ابن ربيعة[٦]، ولم ينتشر الإسلام في قبيلة ربيعة بنطاق واسع، يكشف عن ذلك مسارعتها إلى الردة[٧]، وانتشر الإسلام في أوساط قبائل مهرة وخاصة

(١) ابن سعد: الطبقات ٥: ٥٢٥ - ٥٢٦، والطبري: تأريخ ٣: ٢٢٩، ٢٣٠، ٣٢٧، والكلاعي: حروب الردة ٩٠، ٢١٦، ٢٢٠.

(٢) الطبري: تأريخ ٣: ٣٣٩ - ٣٤٢، والكلاعي: حروب الردة ٢٢٣، ٢٢٦ - ٢٢٩، وابن أعثم: الفتوح ١: ٥٧.

(٣) البخاري: الصحيح ((فتح الباري ٨: ١٠١).

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية ٤: ٥٩٤، وخليفة بن خياط: تأريخ ٩٤.

(٥) ابن سعد: الطبقات ٥: ٥٥٠ - ٥٥١، والكلاعي: حروب الردة ١١٦، ١١٧، والطبري: تأريخ ٣: ٢٧٢.

(٦) خليفة: تأريخ ١١٦، والطبري: تأريخ ٣: ٣١٥ - ٣١٦، والكلاعي: حروب الردة ١٩٤، ٢٠٨ - ٢١٠، وابن أعثم: الفتوح ١: ٤٥، ٤٧، وابن كثير: البداية والنهاية ٦: ٣٧٢، وابن حجر: الإصابة ١: ٤٢٣ - ٤٢٤ و ٢: ١٠٣.

(٧) الكلاعي: حروب الردة ٢٩٦.

أهـل النجد، وأهل رياض الروضة، وأهل السـاحل، وأهـل الجزائر، وأهل المر واللبـان، وأهـل جـيروت، وظهور الشـحر والصـبرات وينعـب وذات الخيم، وبعض بني محارب[١].

*****

المبحث الأول

حركات الردة

يعـد تأريخ الطـبري أهم مصـادر حركة الـردة، فمجموع الروايـات التي أوردهـا عـن حركة الـردة يبلغ ١٠٤ روايـة، معظمها من طريق سـيف بن عمر التميمـي (٧٣ روايـة)، ويليـه ابـن إسـحاق (١٤ روايـة). ثـم أبـو مخنـف (٥ روايـات)، ثم هشـام الكلبي (٤ روايـات)، ثم المدائني (٣ روايـات)[٢]. وهذه الأرقـام قد تؤدي إلى لبـس حول حقيقة اهتمام الإخباريـين المذكورين بأحداث الردة، فقد تكون رواية الطبري عنهم بصورة محدودة ترجع إلى فقدان مؤلفاتهم مبكراً، أو عدم وقوفه عليها، أو عدم وثوقه بها، وقد سـمت المصادر لأبي مخنف كتاب الردة، ولهشـام الكلبي كتاب مسـيلمة الكذاب وسجاح وللواقدي كتاب الردة، وللمدائني كتاب الردة[٣].

وعـلى أي حال، فإن المصادر اللاحقة أمدتنا بمعلومات واسـعة، مصدرها هـؤلاء الإخباريون أنفسـهم. حيث خصـص الكلاعي[٤] (ت ٦٣٤ هـ) قسـماً

(١) الطبري: تأريخ ٣: ٣١٧، ٣٢٧.
(٢) عبدالعزيز محمد نور ولي: حركة الردة في اليمن وحضرموت وعمان في خلافة أبي بكر الصديق ص ١٠.
(٣) عبدالعزيز نور ولي: حركة الردة ١١٦ - ١١٩.
(٤) أبو الربيع سليمان بن موسى من أئمة الحديث في عصره (الذهبي: سير أعلام النبلاء٢٣: ١٣٤).

كبيراً من كتابه «الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا» لحروب الردة[١]. وهو ينقل عن ابن إسحاق وله تأريخ الخلفاء، والواقدي وله كتاب الردة، وهما مفقودان، ويحتمل أن نقله عنهما بواسطة شيخه ابن حبيش[٢] (ت ٥٨٤ هـ)، الذي اعتمد عليهما كثيراً في كتابه «الغزوات الضامنة الكاملة».

وتزداد أهمية كتابي ابن حبيش والكلاعي بسبب إيرادهما روايات يعقوب الزهري ووثيمة، والأخير عرف بكتابه عن الردة وهو مفقود[٣]. ويورد خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) (٤٢ رواية) تتعلق بالردة، معظمها من طريق ابن إسحاق (١٩ رواية)، والمدائني (١٦ رواية)، ومعظم الروايات تتعلق بردة بني حنيفة. ولابد من ذكر مصدر آخر مبكر هو فتوح البلدان للبلاذري (ت ٢٧٥ هـ)، حيث نقل عن الإخباريين (٨ روايات)، واستعمل عبارة «قالوا» في بقية الروايات (١١ رواية).

إن الردة عن الإسلام في عصر الرسالة حركة واسعة جرت في أوساط القبائل العربية الكبيرة، وهي قبيلة أسد وتزعمهم طليحة بن خويلد الأسدي، وبنو حنيفة وتزعمهم مسيلمة بن حبيب، وقبائل عنس ومراد وسعد العشيرة - وكلهم من مذحج - وتزعمهم الأسود العنسي. وتنفرد ردة بني أسد بقربها الجغرافي من عاصمة الإسلام «المدينة»، مما يشكل خطراً كبيراً على الدولة الناشئة. أما ردة بني حنيفة في اليمامة وردة مذحج وديارها منتشرة في شمال شرق وجنوب شرق ووسط وغرب اليمن، فتبدو خطورتها بسبب الكثافة السكانية، حيث يمكن تقديم الألوف العديدة من المقاتلين بالإضافة إلى الإمكانيات الاقتصادية في المنطقتين، بسبب النتاج الزراعي الواسع، فضلاً عن النشاط التجاري والصناعي.

---

(١) نشره د. أحمد غنيم.

(٢) عبدالرحمن بن محمد بن حبيش الأندلسي، له كتاب المغازي (الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١: ١١٨).

(٣) جمع المستشرق الألماني وهلم هونرباخ ونشرت مبيضته - ١٩٥١ م.

وترجع عوامل الردة إلى عدم تغلغل الإيمان في القلوب، لتأخر إسلامهم وبسبب قصر الزمن الذي تم فيه تبليغ الدعوة، وطبيعة الأعراب المتسمة بالجفاء مع ضعف المستوى الثقافي مما جر إلى ضعف فقه تعاليم الدين، وخاصة بالنسبة للزكاة التي اعتبرها البعض ضريبة مهينة، واستثقلوا الصلاة والعبادات الأخرى، كما أن العصبية القبلية مازالت عميقة في تلك البلاد النائية ووسط نجد، حيث ترى القبائل أنها أضخم عدداً وعُدداً من قريش، ومن ثم فهي أولى بالزعامة، وعلى الأقل لم تكن ترضى بالخضوع لحكم قريش. وقد ظهر زعماء طموحون تطلعوا إلى القيادة مقلدين الرسول ﷺ في أسلوب العمل والدعوة، ولم ينتبهوا إلى الفروق الكبيرة بين النبوة الصادقة وانتحالها لأغراض شخصية. ومن هنا كان ادعاء النبوة من قبل زعماء الحركات الانشقاقية.

ولا تقدم كتب الحديث النبوي معلومات مفصلة عن حركة الردة، بل تقتصر على إثبات وقوع الردة، وامتناع بعض القبائل عن دفع الزكاة، وما دار من نقاش بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حول قتال مانعي الزكاة، قال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله»؟. فقال أبو بكر: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها». قال عمر: «فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق»[1]. وذكر وقوع ردة مسيلمة وردة الأسود العنسي، وإخبار النبي ﷺ بظهور ثلاثين كذاباً من مدعي النبوة

(١) البخاري: الصحيح (فتح الباري ١٢: ٢٧٥)، ومسلم: الصحيح حديث رقم ٢٠، ومالك: الموطأ ١: ٢٦٩، و أبو داود: السنن ٢: ١٩٨، وا لترمذي: السنن ٥: ٣، والنسائي: السنن ٥: ١٤.

منهم الأسود ومسيلمة[١]، وقدوم مسيلمة المدينة في بشر كثير من قومه[٢] واشتراطه حتى يسلم أن يكون الأمر له بعد الرسول ﷺ، وإجابة الرسول ﷺ له وفي يده قطعة جريد: «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك[٣] الله، وإني لأراك الذي أريتُ فيك مارأيتُ»[٤].

وحديث رؤيا الرسول ﷺ: «بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحي إليَّ في المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان، فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة»[٥]. وقتل مسيلمة على يد وحشي الذي يروي الخبر: «فخرج مسيلمة الكذاب، قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة، قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان، قال: فإذا رجل قائم في ثلمة جدار، كأنه جمل أورق ثائر الرأس، قال: فرميته بحربتي، فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه. قال: ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته». قال ابن عمر: «فقالت جارية على ظهر بيت: وا أمير المؤمنين، قتله العبد الأسود»[٦]. وذكر أنس عدد شهداء الأنصار باليمامة وأنهم سبعون[٧].

---

(١) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٦: ٦١٦) ويبدو أنه قال ذلك بعد أن كثر الكلام عن مسيلمة بالمدينة (أحمد: المسند ٥: ٤٦).

(٢) ذكر الواقدي أنهم سبعة عشر نفساً (ابن حجر: فتح الباري ٨: ٩٠).

(٣) يعقرنك: يهلكك.

(٤) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٦: ٦٢٧ و ٨: ٨٩، ٩٢ و ١٢: ٤٢٠ و ١٣: ٤٤٢). ومسلم: الصحيح ٤: ١٧٨٠ - ١٧٨١. والترمذي: الجامع ٤: ٥٤٢. و أحمد: المسند ١: ٢٦٣ و ٣: ٣٤٥ و ٦: ٣٤٤.

(٥) المصادر السابقة.

(٦) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٧: ٣٦٨)، و أحمد: المسند ٣: ٥٠١، ويذكر ابن أبي شيبة أن عبدالله بن زيد الأنصاري هو الذي قتل مسيلمة (المصنف ١٢: ٥٤٧).

(٧) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٧: ٣٧٤).

ووصف أبو رجاء العطاردي التميمي أحوال قومه الدينية، وأنهم كانوا يعبدون الحجر، فإذا وجدوا أحسن منه ألقوه، وقد يصنعونه من تراب ولبن، ثم يطوفون به، وأنهم ينزعون الحديد من السلاح في شهر رجب إشارة إلى ترك القتال في الأشهر الحُرُم[١]. وأن قومه لما بلغهم ظهور الإسلام التحقوا بمسيلمة وهو معهم[٢].

وتذكر رواية أن عبدالله بن مسعود في إمارته على الكوفة أول خلافة عثمان رضي الله عنه استتاب أتباعاً لمسيلمة من بني حنيفة، كانوا لا يزالون على إيمانهم به، وأنه قتل منهم ابن النواحة فقط، وكان رسولا لمسيلمة في عهد النبوة، وامتنع النبي ﷺ عن قتله «لأن الرسل لا تقتل»، فلما ظفر به عبدالله بن مسعود هذه المرة قتله[٣]. وكانوا ثمانين رجلاً، ومعهم مصحف فيه قراءة مسيلمة[٤]. وخبر هزيمة بني أسد أمام خالد بن الوليد يوم بزاخة[٥].

وتشير روايات عديدة إلى بطولات ثابت بن قيس بن شماس يوم اليمامة، والبراء بن عازب قاتل الطفيل محكم اليمامة، «وكان عظيماً جسيماً». وأن شعار المسلمين كان: «يا أصحاب سورة البقرة»، وصيام بعض المقاتلين المسلمين

(١) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٨: ٩٠).
(٢) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٨: ٩٠).
(٣) أبو داود: السنن ٣: ٨٤ (ط. محيي الدين عبدالحميد)، والخبر فيه عنعنة أبي إسحاق السبيعي، وهو يخالف رواية مسند أحمد، لأن الذي اطلع على حال أتباع مسيلمة هو حارثة بن مضرب فأبلغ عنهم وليس ابن معيز كما هو في رواية أحمد، وفي سند أبي داود محمد بن كثير فإن كان الثقفي فهو صدوق كثير الغلط، وإن كان العبدي فهو ثقة، و أبو داود يروي عن الاثنين، وهما يرويان عن الثوري.. و أحمد: المسند ١: ٣٩١، ٣٩٦، ٤٠٤، ٤٠٦ و ٣: ٤٨٨ والحديث عند الإمام أحمد من طريق عبدالله بن معيز وهو تابعي مجهول الحال. وقد ذكر الحاكم النيسابوري بإسناد صحيح مسلسل بأبناء وأحفاد ابن مسعود (المستدرك ٣: ٥٣) والطحاوي: شرح معاني الآثار ٣: ٢١١.
(٤) الحاكم: المستدرك ٣: ٥٣ بإسناد صحيح.
(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ١٢: ٥٥.

خلال المعركة، وإجهاز الزبير بن العوام على بعض القتلى ممن بهم رمق. وسجود أبي بكر رضي الله عنه شكراً لله عند فتح اليمامة[١]. ومجيء بني أسد وغطفان يسألون أبا بكر الصلح، فخيَّرهم إما حرب مجلية وإما سلم مخزية ومبينا لهم أن ذلك يعني: «تدون قتلانا ولا ندي قتلاكم، وتشهدون على قتلاكم أنهم في النار، وتردون إلينا من أخذتم منا، ولا نرد إليكم ما أخذنا منكم، وننزع منكم الحلقة والكراع - أي السلاح والخيل - وتتركون تتبعون أذناب الإبل، حتى يري الله خليفة رسول الله والمؤمنين رأيا يعذرونكم عليه. فقال عمر: أما ما قلت فكما قلت، لكن قتلانا قتلوا في الله، أجورهم على الله لا دية لهم»[٢]. وذكر ردة بني سليم، وجمع خالد بن الوليد لناس منهم في حظيرة حرقها عليهم بالنار، واقتراح عمر عزله، ورفض أبي بكر: والله لا أشيم سيفاً سلَّه الله على عدوه.. وأمره فمضى من وجهه ذلك إلى مسيلمة...[٣].

مراكز المرتدين

اليمن:

كانت اليمن تابعة اسميّاً للإمبراطورية الساسانية، وكان قد أصبح للساسانيين نفوذ في اليمن منذ أن استعان بهم سيف بن ذي يزن لطرد الأحباش، فلما توفي سيف أصبح قائد الحامية الفارسية أميراً على اليمن، وتزوج الفرس من أهل اليمن وسمي أولادهم بالأبناء. ولكن نفوذ الحاكم الفارسي كان محصوراً بصنعاء وما حولها. في حين يتقسم بقية البلاد الأذواء والأمراء المحليون ورؤساء العشائر، وهم في نزاع مستمر، وخاصة القبائل الكبيرة أزد شنوءة (بنو الحارث

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٢: ٥٤٧ - ٥٥٢.
(٢) سعيد بن منصور: السنن ٢: ٣٣٣ وبعضه في صحيح البخاري (فتح الباري ١٢: ٢٠٦)، وفيه إبراهيم بن بشار الرمادي حافظ له أوهام (التقريب ١٥٥).
(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ١٢: ٥٥٠.

والنخع وبجيلة وخثعم وعك والأشاعرة)، وتسكن عند الساحل، ومذحج وهمدان، وتسكن الهضبة في الداخل.

وكان خروج الأسود العنسي - على الصحيح - قبل حجة الوداع في العام العاشر[١]، وكانت أول ردة في الإسلام، ودامت أربعة أشهر[٢] . وقد فصل سيف بن عمر أخبارها، معتمداً على شهود عيان، مثل فيروز الديلمي وجشيش الديلمي. وينتسب الأسود إلى عنس من مذحج، التي تعد أكبر القبائل اليمانية، وكان من كهف خبان قرب نجران[٣]، وعرف بذي الخمار وبرحمن اليمن، وكان كاهناً، وادعى النبوة، وأيدته بعض قبائل مذحج، واحتل نجران ثم صنعاء، حيث قتل واليها شهر بن باذام، وتظاهر زعماء الأبناء بالانضمام إليه.

وقد اضطر معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري وأتباعهما إلى الانسحاب إلى حضرموت، كما أخرج أهل نجران عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص حيث عادا إلى المدينة. وأخرج قيس بن المكشوح أحد قادة قبيلة مراد عامل المسلمين فروة بن مسيك، وانضم قيس بن المكشوح إلى الأسود العنسي، كما انضم إليه عمرو بن معديكرب الزبيدي أحد زعماء مذحج. وانسحب من بقي على الإسلام من أهل اليمن مع الولاة المسلمين.

وتكمن قوة الأسود في ضخامة جسمه وقوته وشجاعته، واستخدم الكهانة والسحر، والخطابة البليغة «كان الأسود كاهناً شعباذاً، وكان يريهم الأعاجيب، ويسبي قلوب من سمع منطقه[٤]، كما استخدم الأموال للتأثير على الناس. ومثل هذه الصفات تجعله مشهوراً في قومه، ويبدو أن انتشار الإسلام كان يضعف مركزه، لأن الإسلام يحرم الكهانة، ويمنع الناس من استشارة الكهان.

(١) البخاري: الصحيح، كتاب المغازي باب ٧٠، ومسلم: الصحيح حديث رقم ٢٢٧٢.
(٢) الطبري: تأريخ ٣: ٢٣٩ - ٢٤٠.
(٣) ابن حبيش: المغازي ٤٠، والكلاعي: حروب الردة ٢١٣.
(٤) الطبري: تأريخ ٣: ١٨٥.

وقد أثار الأسود موضوع أخذ الزكاة من اليمن، فكتب إلى العمال المسلمين في مناطق اليمن «أيها المستوردون علينا أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا، ووفروا ماجمعتم فنحن أولى به، وأنتم على ما أنتم عليه»[١]. وقد طلب النبي ﷺ من المسلمين المجتمعين في نجران وحضرموت أن يقاوموا الأسود، وقد أفاد معاذ بن جبل من الانشقاق في حركة الأسود، حيث إن الأبناء لم يكونوا مخلصين له، وكذلك قيس ابن المكشوح فتمكنوا من قتله في قصره، وإعلان العودة إلى الإسلام[٢].

ردة اليمامة:

تقع اليمامة في شرقي الجزيرة العربية، وهِي واد خصب تتوافر فيه المياه الغزيرة، وتزرع فيه الحنطة والشعير والذرة والنخيل، وتقوم فيه القرى حيث يستقر فيها بعض السكان، الذين ينتمي معظمهم إلى بني حنيفة، وبعضهم ينتمي إلى بني بكر أو إلى بني تميم، وخاصة شمال اليمامة، وقد قامت فيها صناعة السيوف والنصال.

وكان في قطر مركز مطرنة للمبشرين النصارى النساطرة، الذين أقصاهم البيزنطيون، فاحتموا بالساسانيين ومن فارس مدوا دعايتهم إلى اليمامة[٣]. وقد دخلت بنو حنيفة في الإسلام، وقدم وفدها إلى النبي ﷺ في المدينة في العام التاسع للهجرة ومنهم مسيلمة بن حبيب، وقد أعلن مسيلمة نبوته في حياة الرسول ﷺ، ولعله فعل ذلك بعد عودته من الوفد، وكان قد تعاظم نفوذه بعد وفاة هوذة بن علي زعيم اليمامة عقب فتح مكة[٤].

---

(١) الطبري: تأريخ ٣: ٢٢٩.
(٢) عبدالعزيز نور ولي: حركة الردة ١٨٢ - ٢٠٧.
(٣) إحسان صدقي العمد: حركة مسيلمة الحنفي ص ٣١ - ٣٢ (بحث في حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية العاشرة - ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م).
(٤) البلاذري: فتوح البلدان ١: ١٠٥ .

وادعى أنه يوحى إليه، واتخذ له محراباً ومؤذناً اسمه حجير، وجعل الصلاة ثلاثة أوقات في اليوم في الصبح والظهر والعشاء[١] وحدد النسل بابن واحد، ويروي الجاحظ أن مسيلمة كان قبل ادعاء النبوة يدور في أسواق العرب يتعلم الحيل والنيرنجات واختيارات النجوم والمتنبئين، حتى أحكم حيل السدنة والحواة وأصحاب الزجر والحظ ومذهب الكاهن العياف والساحر وصاحب الجن الذي يزعم أن معه تابعه[٢]. وقد نقلت المصادر عن مسيلمة ما ادعاه من آيات عارض بها القرآن، وأسلوبها ينم عن ركاكة، ولعلها من وضع الإخباريين، لذلك من الصعب اعتمادها لمعرفة مبادئه العقدية[٣]. وقد التف حوله أكثر بني حنيفة، فمنهم من تبعه جهلاً وتصديقاً وهم العوام، ومنهم من تبعه عصبية وهم الخاصة، (ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر).

وتعاظم أمره بعد قدوم الرجَّال بن عنفوة من المدينة إلى اليمامة، وكان الرجَّال قد تعلم القرآن وتفقه بالدين، فلما رأى بني حنيفة يتابعون مسيلمة انسلخ من الإسلام، وأظهر تصديقه لمسيلمة، فكانت فتنته للناس أعظم من فتنة مسيلمة.

وراسل مسيلمة النبي ﷺ في أواخر العام العاشر بعد حجة الوداع قائلا: «إني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض»[٤]، ولما توفي الرسول ﷺ زاد نفوذ مسيلمة، وتحالف مع سجاح التميمية، وقيل: إنه تزوجها، لكن هذا التحالف لم يدم طويلاً، حيث انسحبت سجاح بقواتها من اليمامة بعد أخذ نصف خراجها[٥].

(١) البلاذري: فتوح البلدان ١: ١١٨، و أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٢١: ٣٧، وابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ٧٤.
(٢) الجاحظ: كتاب الحيوان ٤: ٣٦٩، ٣٧٠.
(٣) انظر عنها إحسان صدقي العمد: حركة مسيلمة الحنفي ٣٦ - ٤٠.
(٤) ابن هشام: السيرة النبوية ٦٠٠، وابن سعد: الطبقات الكبرى ١: ٢٧٣. ويقصد بنصف الأرض أي نصف خراج اليمامة (إحسان صدقي العمد: حركة مسيلمة الحنفي ٤٨).
(٥) الطبري: تأريخ ٣: ٢٧٢.

وقد أدرك أبو بكر الصديق رضي الله عنه خطر ردة بني حنيفة لقوتهم وكثرتهم ورخائهم واجتماعهم على مسيلمة.

ردة طليحة الأسدي:

كانت قبيلة غطفان التي تسكن شرقي خيبر تسيطر على شمال الحجاز بتحالفها مع قبيلة طيء ويهود خيبر، فلما سقطت خيبر سنة ٧ هـ بيد الرسول ﷺ، وأخذ الرسول ﷺ يوجه الحملات إلى الشمال، ضعف نفوذ غطفان، وحاول طليحة بن خويلد الأسدي أن يسيطر على شمال شبه الجزيرة عن طريق المحالفات بين قبيلة أسد وطيء وفزارة (وهي أهم فروع غطفان)، ثم ادعى النبوة في أواخر حياة الرسول ﷺ وأن ملكاً يدعى ذو النون يأتيه بالوحي، وروت التواريخ بعض الآيات ذات الأسلوب الركيك التي كان يقرأها. وقد سعى إلى مفاوضة الرسول ﷺ، وكان انشغال الرسول ﷺ عنه سبباً في تعاظم نفوذه، فلما كانت خلافة الصديق رضي الله عنه اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة، وأرسلت وفداً إلى المدينة يطلب من الصديق أن يعفيهم من الزكاة، لكنه رفض وقال: «لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه»[1] ولعله أدرك أن مطالب الأعراب لن تقف عند حد، كما أنه ليس بوسعه إعفاؤهم من أحد أركان الإسلام. وقد اطلع الوفد على ضعف القوة العسكرية في المدينة عقب خروج حملة أسامة، لذلك تجرأت هذه القبائل على غزو المدينة.

انتشار الردة:

أدت وفاة الرسول ﷺ إلى تهديد وحدة الدولة الإسلامية الناشئة، حيث توسعت حركة الردة في أنحاء الدولة ماعدا الحجاز، وكان أخطرها حركة مسيلمة الحنفي، لكن بعدها عن المدينة وقرب حركات الردة الأخرى التي

(١) الطبري: تأريخ ٣: ٢٤٤.

ابتـدأت بوصول خبر وفـاة النبي ﷺ إلى البوادي، فارتدت جموع غفيرة من بني أسد وغطفان وتميم والبحرين وعمان وحضرموت، كما تجددت الردة في اليمن..

وكانت وقفة الصديق رضي الله عنه أمام حركات الردة تتسم بالحزم وعدم التفريط بمصلحـة العقيـدة والدولة، فلـم يتأخر في حشـد الجيوش، ولم يقبل المسـاومة في أحكام الإسـلام، ومحـاولات بعض القبائل التخلص من دفـع الزكاة. وكان عمـر رضي الله عنه يحـاول أن يقنعه بالترفـق في معاملة مانعـي الزكاة ليفـرغ لأصحاب الـردة الشـاملة، ممن عـادوا إلى عبـادة الأوثان، أو اتبعـوا أدعيـاء النبوة فرفض أبـو بكر رضي الله عنه وجهة نظره بشـدة، وأوضح للصحابة رضـوان الله عليهم: «والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا - أي معزة - كانوا يؤدونها إلى رسـول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»[1]. وكان أن انشرحت صدور الصحابة رضوان الله عليهم للقتال، وعرفوا أنه الحق.

وهـذا الوضوح في فهم ارتباط الأحـكام الشرعية ببعضها، ورفض تعطيل أي حكـم منهـا كان مهـمّاً لقتـال مانعـي الـزكاة بصـورة خاصة، حيـث تنقدح شـبهة بقائهم على الإسـلام، ومـن ثم حصانة دمهم بالشـهادة، وهـذا ما عالجه الصديـق رضي الله عنه بالبيـان والحجـة. ولـو خضع لمسـاومات الأعـراب فربـما كانوا سـيطالبونه بإسـقاط أحـكام والتزامات شرعيـة أخرى.. ولو أجابهم لأحسـوا بضعفه وزاد طمعهم فيه..

وقـد وصفت عائشـة رضي الله عنها وضع الدولة وبناتها مـن الصحابة «كأنهم معزى في حش في ليلة مطيرة بأرض مسـبعة»، وهو تصوير دقيق لحالة الخطر القصوى لإحاطـة الأعداء بهم مـن كل جانب، ووصفت أبا بكر رضي الله عنه وهو ممسـك بزمام

(١) البخاري: الصحيح (فتح الباري ١٢: ٢٧٥)، ومسلم: الصحيح ١: ٥١.

القيادة.. واضح الرؤية قوي العزيمة شديد المضاء صائب الرأي: «فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وسنانها»[١].

ومن المؤسف أن ينفرد الإخباريون برسم صورة أحداث الردة في أرجاء الجزيرة دون مشاركة مهمة من المحدِّثين، مما يفقدنا القدرة على نقد أسانيد الروايات.. وتظهر مصادر المعلومات المحلية والقبلية..

والصورة التي نقدمها تبين أن حركات الردة كانت مختلفة في تصوراتها العقدية، فمنها ما كان استمراراً للحركات التي ظهرت في العام العاشر من العصر النبوي مثل ردة بني حنيفة – أحد فروع بكر بن وائل – في اليمامة بزعامة المتنبئ مسيلمة، ومنها ما كان مرتبطاً بأدعياء نبوة جدد كما هو شأن ردة بني أسد وفزارة المرتبطين بالمتنبئ طليحة بن خويلد الأسدي. وردة بني يربوع من تميم بزعامة المتنبئة سجاح، في حين التف آخرون منهم حول مالك بن نويرة، وكان قد امتنع عن دفع الزكاة لأبي بكر. وتحالف بنو عطارد التميميون مع مسيلمة باليمامة..

وانقسمت على نفسها قبيلة سُليم العدنانية في عالية نجد قرب خيبر، فمنهم من حافظ على إسلامه، ومنهم من ارتد، ويبدو أن قرْب ديارها من المدينة ومشاركة الكثير من رجالها في فتوح مكة وحنين والطائف أدى إلى ثبات فروع منها أمام المرتدين الآخرين من رجالها.

وتحالفت فزارة – من فروع غطفان العدنانية – بنجد بزعامة عيينة بن حصن الفزاري مع طليحة الأسدي.

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٤: ٥٧٢ بإسناد صحيح، وابن كثير: البداية والنهاية ٦: ٣٠٩ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. وانظر الهيثمي: مجمع الزوائد ٩: ٥٠ عن الطبراني في الأوسط والصغير، وابن حجر: المطالب العالية ٤: ٣٩٠٦، وابن هشام: السيرة النبوية ٤: ٦٦٥، وخليفة: التأريخ ١٠٢. والألفاظ مختلفة ومؤداها واحد.

وارتدت فروع أخرى من بني بكر بن وائل بالبحرين بزعامة الحطم بن ضبيعة، وثبتت قبيلة عبدالقيس على الإسلام بزعامة الجارود بن المعلى العبدي، لكن الغلبة في البحرين كانت للمرتدين قبل وصول القوات الإسلامية من المدينة.

وانقسمت الأزد في عمان ودبا بين زعماء القبيلة، فمنهم من بقي على الإسلام بقيادة جيفر وعباد ابني الجلندي، ومنهم من اتبع المتنبئ ذي التاج لقيط بن مالك الأزدي، الذي غلب على عمان وطرد جيفر وعباد إلى الجبال والساحل.

وأما قبائل حضرموت وهم قبائل كندة والسكاسك والسكون، فقد حافظ بعضها على ولائه للإسلام، وبايع الوالي زياد بن لبيد البياضي، في حين التف البعض الآخر منهم حول الأشعث بن قيس الكندي، الذي امتنع عن دفع الزكاة. ولم تستقر الاضطرابات في حضرموت، إلا بعد قدوم الجيوش الإسلامية إليها.

وبرغم أن حركة الأسود العنسي تم القضاء عليها في عصر السيرة، إلا أن وفاة الرسول ﷺ أدت إلى انقسام خطير بين قبائلها.. فمنهم من التف حول الوالي فيروز – من الأبناء – ومنهم من خرج على سلطة الوالي مثل قيس بن عبد يغوث المكشوح، الطامح إلى الزعامة، الذي استعان بفلول حركة الأسود العنسي.

وهكذا توسعت حركات الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه في شمال الجزيرة وشرقها وجنوبها، حتى كادت أن تقضي على الدولة الإسلامية الفتية.

*****

المبحث الثاني

القضاء على الردة

اعتمد أبو بكر رضي الله عنه على أهل المدينة ومكة والطائف وما حولها من قبائل في تجهيز الجيوش للقضاء على المرتدين، فضلاً عن مساندة من بقي على الإسلام في مراكز الردة.

ولاتوجد إشارة إلى أن أحداً من أهل المدينة فكر بالردة، وكذلك ثبت أهل مكة، وربما همَّ بعضهم بالردة، فاختفى عتَّاب بن أسيد بن أبي العاص - عامل مكة - ووقف سهيل بن عمرو موقفاً مشرفاً، كان له أثره في تثبيت الناس على الإسلام، حيث خاطبهم بقوله: «إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه».

كذلك ثبت أهل الطائف على الإسلام، وربما همَّ بعضهم بالردة، فخطب فيهم عثمان بن أبي العاص - عامل الطائف - فقال: «يا أبناء ثقيف كنتم آخر من أسلم، فلا تكونوا أول من ارتد».

ولعل الصلات الوثيقة بين مكة والطائف جعلت ثقيفاً تخلد إلى الهدوء، كما فعلت مكة.

إن سكان المدن الثلاثة نالوا حظّاً من التربية الإسلامية والتوجيهات النبوية أكثر من سواهم، وتعرفوا على تعاليم الإسلام عن كثب، وتفقهوا فيه، لذلك كان سكان محور (المدينة - مكة - الطائف) هم القائمون على أمر الإسلام وحرب المرتدين، وساعدهم في ذلك من ثبت على دينه من المسلمين في مناطق الردة نفسها.

وكان أول صدام مع المرتدين في خلافة الصديق رضي الله عنه مع قبائل فزارة وأسد، التي استغلت غياب حملة أسامة عن المدينة، وحاولت غزو المدينة، وقد نظم أبو بكر رضي الله عنه حراسة المدينة، وألزم المسلمين بحضور الصلاة في المسجد النبوي استعداداً للطوارئ، ثم خرج بالمسلمين إلى ذي القصة (على بريد من المدينة من ناحية نجد) حيث صدَّ أول هجوم قامت به عبس وذبيان على المدينة بعد أكثر من شهر من خروج أسامة من المدينة.

وبعد أيام قدم أسامة فاستخلفه أبو بكر رضي الله عنه على المدينة، وخرج لملاقاة عبس وذبيان بالربذة فهزمهم، ولما استراح جند أسامة عقد أبو بكر رضي الله عنه أحد عشر لواءً لقتال المرتدين، وأمَّر عليها الأمراء، وهم:

١ - خالد بن الوليد[1]، ووجهه إلى طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد ثم إلى مالك بن نويرة في تميم.

٢ - عكرمة بن أبي جهل، إلى مسيلمة بن حبيب الكذاب في اليمامة، ففشل في مهمته، فأمره بالتوجه إلى عمان.

٣ - المهاجر بن أبي أمية، على اليمن للقضاء على قيس بن عبد يغوث (المكشوح)، ثم إلى حضرموت للقضاء على ردة كندة بقيادة الأشعث بن قيس.

٤ - خالد بن سعيد بن العاص، إلى مشارف الشام.

٥ - عمرو بن العاص، إلى قضاعة.

٦ - حذيفة بن اليمان الغلفاني، إلى دبا.

٧ - عرفجة بن هرثمة، إلى مهرة.

٨ - شرحبيل بن حسنة، لمساعدة عكرمة.

---

(١) حديث: «**نعى رسول الله ﷺ أهل مؤتة على المنبر، ثم قال: فأخذ الراية خالد بن الوليد وهو سيف من سيوف الله**». أخرجه الحاكم: ٣: ٢٩٨ وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: لم يسمع أيوب - وهو السختياني - من أنس - وهو ابن مالك الصحابي - لكنه رآه.

٩ - طريفة بن حاجز، إلى بني سُليم.

١٠ - سويد بن مقرن، إلى تهامة اليمن.

١١ - العلاء بن الحضرمي، إلى البحرين[١].

وأرسل أبو بكر رضي الله عنه الرسائل إلى سائر المرتدين، فسبقت الرسل الجيوش، وتضمنت الرسائل تذكيراً ونصحاً وترهيباً، وأن الأمان لمن أجاب ورجع إلى دينه.

القضاء على ردة طليحة الأسدي:

اجتمعت عبس وذبيان بعد هزيمتها في ذي القصة إلى طليحة بالبزاخة والتحق به رجال من طيء، فلما وجه الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد للقضاء على طليحة قام عدي بن حاتم الطائي بمحاولة ناجحة، فأقنع طيء بالعودة إلى الإسلام والانضمام إلى خالد مما أضعف طليحة، وكان عيينة بن حصن الفزاري يقود جيش طليحة، ومعه (٧٠٠) من فزارة، فلما التقى خالد بن الوليد بجيش أسد وفزارة وحمي القتال، أيقن عيينة بكذب طليحة، فانسحب مع فزارة من المعركة... وفر طليحة إلى الشام، حيث عاد فأسلم وحسن إسلامه.

القضاء على مالك بن نويرة:

بعد قضاء خالد بن الوليد على ردة بني أسد اتجه إلى ديار تميم، ولما علم مالك بن نويرة بقدوم المسلمين طلب من قومه التفرق إلى دورهم، إذ لا قبل لهم - وكانوا في تنازع وانقسام - بالمسلمين، فدخل المسلمون ديار تميم، وأسروا مالك بن نويرة فجادله خالد بن الوليد، ولما تبين له أنه مرتد عن دفع الزكاة أمر بقتله فقتل، وقد تزوج خالد من ليلى زوجة مالك بعد انقضاء عدتها.

---

(١) الطبري: تأريخ ٣: ٢٤٩ من رواية سيف.

وقد لفقت روايات في كتب التأريخ والأدب تشير إلى أن خالداً قتل مالكاً وهو على الإسلام، أو أن قتل مالك كان عن سوء فهم، لقول خالد: «أدفئوا أسراكم». وهي في لغة القوم تعني القتل فقتلوا، ولم يقصد خالد ذلك. وقد كره أبو بكر رضي الله عنه زواج خالد من ليلى، وكانت العرب تكره الزواج في الحروب[١].

القضاء على ردة مسيلمة الكذاب:

بعد قضاء خالد على ردة بني تميم اتجه إلى اليمامة للقضاء على ردة بني حنيفة، وكان عكرمة بن أبي جهل قد اندحر أمام بني حنيفة، فأمره أبو بكر رضي الله عنه أن يتجه إلى عمان، وكذلك فشل شرحبيل بن حسنة في حربهم، ثم انضم إلى خالد، وجمع مسيلمة أربعين ألفاً من قومه[٢]، وتقدم بهم لمواجهة خالد ابن الوليد، فكانت موقعة عقرباء العنيفة، التي أبدى فيها المهاجرون والأنصار بسالة منقطعة النظير، وأبدى بنو حنيفة مقاومة وجرأة شهد بها خالد بن الوليد، وكان جيش المسلمين نحو ١١,٠٠٠ مقاتل[٣]، فيهم ألفان وخمس مئة من المهاجرين والأنصار[٤] وبقيتهم من أهل البوادي ممن ثبتوا على إسلامهم.

وفي بداية اللقاء تراجع المسلمون أمام قوة أعدائهم وكثرتهم، حتى وصلوا رحالهم، فصرخ شجعانهم وقادتهم بهم، وطلب الأنصار من خالد بن الوليد أن يمتاز الناس فتقاتل كل قبيلة على حدة، فأجابهم إلى ذلك فقاتل المهاجرون في جبهة، وقاتل الأنصار في جبهة، وقاتلت كل قبيلة في جبهة، ليتبين القوي من الضعيف، ويعرف من أين يؤتى المسلمون. فتنافس الجميع في القتال، وتمكنوا أن يصدوا بني حنيفة إلى حديقة الموت، ثم اقتحموها عليهم، وقتلوا مسيلمة

(١) راجه صادق إبراهيم عرجون: خالد بن الوليد.
(٢) تبالغ الروايات في تقدير عدد جيش مسيلمة، فقد ذكر ابن كثير مرة أنهم قريب من مئة ألف أو يزيدون، كما ذكر أنهم أربعون ألفا (البداية والنهاية ٦: ٢٦٨).
(٣) يذكر ابن كثير أنهم كانوا أحد عشر ألفاً (البداية والنهاية ٦: ٢٦٨).
(٤) الديار بكري: تأريخ الخميس ٢: ١٦٠.

والرجَّال بن عنفوة ومحكم اليمامة، وهم زعماء بني حنيفة. وقد أسفرت المعركة عن استشهاد عدد كبير من المسلمين، قدرتهم الروايات مابين ١٤٥٠ [١] إلى ١٧٠٠ شهيد[٢]، وثمة روايات ذكرت أنهم ١٢٠٠ شهيد[٣]، فيهم ثلاثون أو خمسون من حملة القرآن[٤]، مما اعتبر حافزاً لجمع القرآن في خلافة أبي بكر.

أما قتلى بني حنيفة فقد بلغت بهم بعض الروايات ١٠,٠٠٠ قتيل[٥]، بينما أوصلتهم روايات أخرى إلى ٢١,٠٠٠ قتيل[٦]. ومازالت آثار قبور الشهداء من الصحابة ظاهرة على مقربة من بلدة الجبيلة القريبة من حديقة الموت[٧].

وقد انتهت المعركة بالصلح بعد أن كادت بنو حنيفة أن تفنى، وبعد أن أنهكت الحرب قوات المسلمين، وأتت على صفوة من خيارهم، وأثخنت بالجراح بقيتهم، وعقد خالد الصلح مع مجاعة بن مرارة الحنفي - وكان قد أسره قبل المعركة - على أن يعود بنو حنيفة إلى الإسلام، ويسلمون حصونهم ونصف أموالهم وسلاحهم ونصف السبي (أو ربعه) وبعض مزارعهم[٨].

(١) خليفة بن خياط: التأريخ ١١١.
(٢) البلاذري: فتوح البلدان ١: ١١١.
(٣) البلاذري: فتوح البلدان ١: ١١١، والطبري: تأريخ ٣: ٢٩٦، وابن أعثم: كتاب الفتوح ١: ٤٠، ٤٤، والكلاعي: الاكتفا ١٧٦، والديار بكري: تأريخ الخميس ٢: ٢٢٠ في حين ينفرد برواية أخرى تذكر أنهم ١٨٠٠ شهيد.
(٤) خليفة: التأريخ ١١١.
(٥) الطبري: تأريخ ٣: ٢٩٤، وابن كثير: البداية والنهاية ٦: ٣٢٥، والديار بكري: تأريخ الخميس ٢: ٢٢٠.
(٦) الطبري: تأريخ ٣: ٢٩٧، وابن كثير: البداية والنهاية ٦: ٣٢٥. وانظر الجدول الذي عمله إحسان صدقي العمد في بحثه: حركة مسيلمة الحنفي ص ٦٧ - ٦٨.
(٧) الكلاعي: الاكتفا (حروب الردة) ص ١٨٠ حيث نقل الكلاعي عن كتاب يعقوب الزهري أنهم أكثر من سبعة آلاف، منهم سبع مئة من صلب بني حنيفة، وإحسان العمد: حركة مسيلمة الحنفي ٧١.
(٨) الزركلي: الأعلام ٨: ١٢٥ وإحسان صدقي العمد: حركة مسيلمة الحنفي ٦٢.

وقد استعرض أحد الباحثين المعاصرين آراء بعض المستشرقين وتقويمهم لحركة مسيلمة، ثم قال: «وقد يتفق الباحث مع كثير من آراء الباحثين السابقين عن طبيعة حركة مسيلمة، من حيث كونها حركة لبست مسوح الدين، وادعت النبوة لتحقيق أغراضها في الاستقلال، في ظل فراغ، سياسي كان يخيم على الجزيرة العربية، وتعزيز المكانة القبلية لبني حنيفة ومنافستهم لقريش، وعدم قبولهم الخضوع والتبعية للمدينة، وتطلعاتهم إلى إقامة كيان قوي مماثل لكيان المدينة، يحافظ على مصالحهم السياسية والزراعية والتجارية، لكن حركة مسيلمة تظل مع ذلك حركة مصطنعة ضحلة الفكر والعقيدة، وبخاصة إذا ما قورنت بالإسلام وسمو مبادئه وشمول عقيدته وشريعته، التي تخطت كثيراً القبلية والإقليمية والقومية، وجاوزتها إلى الإنسانية العالمية، وبذلك هزمت تلك الحركة وأمثالها بالفكر والعقيدة، قبل أن تهزم في ميادين الجهاد والاستشهاد، فكانت أقرب ما تكون بذلك إلى حركة رد فعل متسرع ومفتعل ضد حركة إسلامية صادقة وأصيلة»[1].

القضاء على ردة البحرين:

كان بنو بكر وبنو عبدالقيس من قبائل ربيعة يقيمون بالبحرين، وكان ملكهم المنذر بن ساوى أسلم على يد العلاء بن الحضرمي في سنة ٩ هـ، ومات المنذر في الشهر الذي مات فيه النبي ﷺ فارتد أهل البحرين عن الإسلام إلا بنو عبدالقيس، تمكن سيدهم الجارود من إقناعهم بالثبات على الإسلام، وتزعم الردة الحطم بن ضبيعة وحاصر الجارود في جواثى، وبينما هم محاصرون قدم العلاء بن الحضرمي إلى البحرين على رأس جيش واتصل بالجارود، ومكث يقاتل الحطم شهراً دون التحام فاصل، وعرف المسلمون أن المرتدين سكروا

(١) إحسان صدقي العمد: حركة مسيلمة الحنفي ٧٨.

في إحدى الليالي فهاجموهم وقضوا عليهم، وقتل الحطم وفر بعض المرتدين إلى جزيرة دارين المواجهة للبحرين على الشراع، فاقتحم المسلمون الماء بخيولهم إلى الجزيرة، وقتلوا بقية المرتدين، وغنموا غنائم عظيمة، وعادوا إلى البحرين.

القضاء على ردة عمان ومهرة:

كانت عمان على عهد النبي ﷺ خاضعة لفارس، ثم أسلم جيفر أميرها، وأرسل إليه النبي ﷺ عمرو بن العاص يعلمهم الدين، فاتفقا على قسمة أموال الزكاة بين فقراء البلاد، فلما توفي الرسول ﷺ ارتد أهل عمان بقيادة ذي التاج لقيط بن مالك الأزدي، وادعى النبوة، ففر جيفر إلى الجبال.

وقد أشارت رواية إلى تذمر أهل عمان من الزكاة، فقد قال قرة بن هبيرة لعمرو بن العاص منصرفه من عمان: «يا هذا إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالأتاوة، فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع، وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم»[1].

وأرسل أبو بكر رضي الله عنه عرفجة بن هرثمة البارقي إلى مهرة، وحذيفة بن محصن الغلفاني إلى عمان، ثم أتبعهما عكرمة بعد هزيمة بني حنيفة له، وجعل القيادة لعكرمة على عرفجة وحذيفة، وقد تمكن عكرمة من القضاء على لقيط الأزدي وإعادة عمان إلى حظيرة الإسلام بالتعاون مع جيفر ومع بني عبدالقيس التي أمدته من البحرين. ثم اتجه عكرمة إلى مهرة حيث ارتد أهلها أيضاً، فلما وصلهم وجدهم منقسمين فانضم إليه بعضهم، وقاتل بعضهم الآخر فغلبهم، وسار نحو حضرموت واليمن للتعاون مع المهاجر بن أبي أمية في القضاء على الردة هناك[2].

---

(١) الطبري: تأريخ ٣: ٢٥٩.

(٢) يوجد اختلاف كبير في تفاصيل الأحداث بين روايتي سيف بن عمر عند الطبري (الطبري: تأريخ ٣: ٣١٤ - ٣١٦) ورواية الواقدي عند الكلاعي (الكلاعي: الاكتفا ٢٠٨ - ٢١١، ٢١٧). وكلتا الروايتين واهية السند، واختلاف المتن بينهما كبير.

القضاء على ردة اليمن:

ما إن علم أهل اليمن بوفاة الرسول ﷺ حتى ارتد قيس بن عبد يغوث عن الإسلام، وقتل داذويه، وكاتب أتباع الأسود، واستعان بهم، وسيطر على صنعاء، وطرد الأبناء منها، كذلك ارتد عمرو بن معديكرب في نجران. وعيَّن أبو بكر رضي الله عنه فيروز والياً على اليمن، فاستعان بأخواله خولان، وساعدته قبائل عك وعقيل، فتمكن من طرد قيس من صنعاء. واتحد قيس مع عمرو بن معديكرب، واستمرت الاضطرابات حتى قدم عكرمة بن أبي جهل من عمان والمهاجر بن أبي أمية من المدينة، وقاما بتطهير اليمن من المرتدين، وتمكنا من توثيق عمرو بن معديكرب وقيس بن عبد يغوث، وإرسالهما إلى أبي بكر رضي الله عنه، حيث استتابهما وعفا عنهما.

وهكذا انتهت أحداث الردة الثانية باليمن[1]، وقد تمثلت فيها الصراعات القبلية، والطموحات الشخصية، ولعل مما أثار القبائل أن الأبناء - حكام اليمن - ليست أصولهم عربية.

القضاء على ردة حضرموت:

منع بنو عمرو بن معاوية بقيادة الملوك الأربعة الزكاة، واعتصموا بمحاجرهم، وخرج من بقي على الإسلام منهم إلى عامل المسلمين زياد بن لبيد البياضي، الذي واجه المرتدين، وتمكن من قتل الملوك الأربعة، وأمده أبو بكر رضي الله عنه بالمهاجر بن أبي أمية وعكرمة بن أبي جهل لمواجهة كندة بزعامة الأشعث بن قيس، وقد تمكن المسلمون بعد معارك طويلة من هزيمة كندة،

(١) الطبري: تأريخ ٣: ٣٢٠، ٣٢٩ عن سيف، وانظر ملخصاً لها عند الكلاعي. حروب الردة ٢٢٨، وانظر روايات مخالفة في الإصابة لابن حجر ١: ٢٥.

وإرسال الأشعث إلى المدينة حيث رجع إلى الإسلام[١]. وذكرت روايات ضعيفة أن أبا بكر رضي الله عنه زوَّجه من أخته أم فروة[٢].

وقد نتج عن حركة الردة والقضاء عليها إعادة وحدة الدولة الإسلامية، وتجريد البدو من سلاحهم وخيلهم خلال خلافة أبي بكر رضي الله عنه، ولا شك أنها أكسبت المسلمين المزيد من الخبر ات القتالية والمعرفة بجغرافية الجزيرة العربية مما أفادهم في حشد الجيوش في حركة الفتح الإسلامي.

*****

(١) الطبري: تأريخ ٣: ٣٣٤ - ٣٣٩ والكلاعي: حروب الردة ٢٢٥ - ٣٤١.
(٢) الطبراني: المعجم الكبير ١: ٢٣٧ والكلاعي: حروب الردة ٢٣٨، والطبري: تأريخ ٣: ٣٣٩ والمزي: تهذيب الكمال ٣: ٢٩٠.

الفصل الثاني

فتنة مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه

فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه

تعد فتنة مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه من أخطر الأحداث التي مرت بها الدولة الإسلامية في عصر الخلافة الراشدة، وقد تركت من الاختلاف والانقسام في صفوف الأمة ما كاد يودي بها، وقد أعقبتها فتن داخلية أخرى، تتصل بها وتتفرع عنها، وهي موقعة الجمل وصفين والنهروان، كما استمرت آثارها متمثلة في أحزاب المعارضة للدولة الأموية، وهما الخوارج والشيعة. كما استمر الحزبان في التأثير على الحياة السياسية خلال العصر العباسي الأول خاصة، بل يمكن أن نعد الانقسامات الكبرى الناجمة عن الفتنة مؤثرة في الأمة حتى الوقت الحاضر.

ومثل هذه الفتنة لا بد أن تختلف فيها الآراء وتتلاعب في نقل أخبارها الأهواء، وقد شحنت مصادرنا التأريخية بألوف الروايات المتعارضة، وهي تمثل الاتجاهات المختلفة السائدة وقت الرواية، ثم في عصر التدوين.

ومن هنا تظهر أهمية نقد الروايات، والتعرف على اتجاهات الرواة، والظروف التي أحاطت بشاهد العيان الذي يرتقي إليه الإسناد مع فحص المتون، ومعرفة سلامتها من العلل مثل التناقض والاضطراب، وتقدم كتب علم الرجال المعلومات الأولية عن الرواة، كما يقدم مصطلح الحديث منهج التعامل النقدي مع المعلومات الأولية تلك، ومع الرواية سنداً ومتناً.

وتقدم الروايات الصحيحة والحسنة - لذاتها ولغيرها - صورة مغايرة إلى حدٍّ كبير للصورة التي يُقدمها الإخباريون من خلال مانقلته عنهم المصادر التأريخية، وإن كانت تلتقي معها في بعض التفاصيل أحياناً.

فما هي معالم الأحداث من خلال الروايات الصحيحة والحسنة؟

لماذا نقم المعارضون على عثمان رضي الله عنه؟

يبدو أن المعارضة كانت تتذرع بأسباب دينية وسياسية واقتصادية، فمما أثاروه من القضايا الدينية قضية تدوين المصحف، واعتماد النسخة المدونة، وإحراق ما سواها من النسخ، ولا يرد ذلك على لسان المعارضة، ولكن توحي به الرواية الآتية:

قال سويد بن غفلة - مخضرم من كبار التابعين (ت ٨٠ هـ) وعمره ١٣٠ سنة - : والله لا أحدثكم إلا شيئاً سمعته من علي بن أبي طالب، سمعته يقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله مافعل الذي فعل إلا عن ملأ منا جميعاً، فقال: ما تقولون في هذه القراءة، فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً؟

قلنا: فما ترى؟

قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلاف.

قلنا: فنعم ما رأيت.

قال - يعني علي رضي الله عنه - : فقيل: أي الناس أفصح؟ وأي الناس أقرأ؟

قالوا: أفصح الناس سعيد بن العاص، وأقرأهم زيد بن ثابت.

فقال: ليكتب أحدهما، ويملي الآخر. ففعلا، وجمع الناس على مصحف. قال علي: واللهِ لو وُلِّيتُ لفعلت مثل الذي فعل[1].

وقد عهد عثمان اعتماد النسخة الموحدة من المصحف إلى أربعة من الصحابة هم: زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن

(١) ابن أبي داود: المصاحف ٢٨ - ٢٩ بإسناد صحيح، وابن عساكر: تأريخ دمشق، ترجمة عثمان ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩ (ابن حجر: فتح الباري ٩: ١٨).

الحارث بن هشام، وقال لهم: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم». ففعلوا، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[1]. وإذا تأملنا في النص فإنه يدل على وجود معارضة لاعتماد نسخة واحدة من المصحف، وإحراق ما سواها، منعاً لاختلاف القراءات والزيادة والنقص في كتاب الله تعالى.

ويبدو أن المعارضة أثارت هذه القضية، وأن عليّاً رضي الله عنه دافع عن موقف عثمان رضي الله عنه مبيناً أنه فعله عن إجماع من الصحابة، وليس لدى المعارضة علماء كبار يدركون مغزى هذا العمل العظيم، بل ربما أدرك بعضهم فائدة ذلك، ولكن الغضب والحقد أعمى بصيرته، فاستغل القضية ضد الخليفة، وليس العامة بقادرين على تمييز الأمور وتمحيص الدعاية، بل هم يتبعون كل ناعق، وكلام علي رضي الله عنه يدل على أن المعارضة غلت في دعايتها، وقلبت الحق باطلاً، والمعروف منكراً.

ويُستشف من الرواية أنه كان يتكلم في ظروف الفتنة قبل توليه الخلافة. ويحتمل أنه تكلم بذلك بعد وقوع الفتنة ومقتل الخليفة وتوليه الأمر، وأراد أنه لو ولي قبل إنفاذ الجمع لجمعه.

ومن المسائل التي أثيرت ضد عثمان رضي الله عنه بعد مقتله وتبناها الخوارج: عدم شهوده بدراً، وعدم ثباته يوم أحد وعدم اشتراكه في بيعة الرضوان، فقد سأل أحد الخوارج – قيل: إنه العلاء بن عرار – عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في المسجد الحرام بمكة عن مواقف عثمان هذه، فبين له ابن عمر ذلك معللاً بأن عدم شهود عثمان بدراً كان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لمرض زوجته رقية، وأنه وعده: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً

(١) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٩: ٩، ١١).

وسهمه»[١]. وأما فراره مع الفارين يوم أحد فقد عفا الله عنهم جميعاً[٢] وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلأن النبي ﷺ أرسله من الحديبية إلى مكة رسولاً، ووقعت البيعة بسبب حجز قريش له، وضرب النبي ﷺ بيده وقال: «هذه لعثمان»[٣]. وبذلك قطع ابن عمر على الخارجي سبيل التلبيس على الناس بأمور لا يعلمون حقيقتها.

ومن المحتمل أن المعارضة استغلت هذه القضايا في دعايتها ضد الخليفة، وأنها استمرت تثيرها بعد مقتله، ولكن ليس ثمة ما يقطع بذلك.

ومن القضايا التي أثيرت ضد الخليفة: أنه أتم الصلاة بمنى أواخر خلافته خلافاً لسنة النبي ﷺ وعمل أبي بكر وعمر[٤]، وكان عثمان يتأول ذلك، ويرى أن له حكم المقيم، كذلك كانت عائشة رضي الله عنها تتم الصلاة بمنى[٥]، بل إن عبدالله بن مسعود فعل ذلك وهو لا يراه صحيحاً - فقهيّاً - لأنه لم يشأ أن يخالف فعل عثمان - وهو الخليفة الشرعي[٦] وكان ابن عمر إذا صلى مع الإمام صلى أربعاً، وإذا صلاها وحده صلى ركعتين[٧].

وقد أثار وفد مصر عندما استقبلهم عثمان بالمدينة حمايته الحمى، فوضَّح لهم أن عمر حماه قبله لإبل الصدقة، وأنه زاد فيه لما زادت إبل الصدقة[٨].

---

(١) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٧: ٥٤، ٣٦٣).

(٢) إشارة إلى الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (آل عمران ١٥٥).

(٣) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٩: ٩، ١١).

(٤) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٢: ٥٦٣ و ٣: ٥٠٩).

(٥) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٢: ٥٦٩)، ومسلم: الصحيح ١: ٤٧٨.

(٦) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٢: ٥٦٣)، ومسلم: الصحيح ١: ٤٨٣.

(٧) مالك: الموطأ ١٤٩، ومسلم: الصحيح ١: ٤٨٢.

(٨) خليفة بن خياط: التأريخ ١٦٨ - ١٦٩ بإسناد حسن، ينتهي إلى شاهد عيان، هو أبو سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري مختلف في صحبته، لكنه أدرك خلافة أبي بكر، وشهد مقتل عثمان

وورد في كلام لعائشة ﵂ مع الثائرين ما يحدد أهم الانتقادات التي وجهوها إلى سياسة عثمان ﵁، قالت: «اسمعوا نحدثكم عما جئتمونا له، إنكم عتبتم على عثمان في ثلاث خلال: في إمارة الفتى، وموضع الغمامة - تريد الحمى - وضربه بالسوط والعصا. حتى إذا مصتموه - تريد غسلتموه - موص الثوب بالصابون عددتم عليه الفقر الثلاث، حرمة البلد، وحرمة الخلافة، وحرمة الشهر الحرام، وإن كان عثمان لأحصنهم فرجاً وأوصلهم للرحم»[1].

وقد أوضح محمد بن سيرين (٣٣ - ١١٠ هـ) أن عثمان بعث إلى المعارضين علي بن أبي طالب ورجلاً معه، فاصطلحوا على خمس: أن المنفي يقلب، والمحروم يُعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويُستعمل ذو الأمانة والقوة. كتبوا ذلك في كتاب، وأن يرد ابن عامر على البصرة، وأبو موسى الأشعري على الكوفة[2].

وهذه الروايات تكشف عن شعارات المعارضة المعلنة، وترجع الدراسات الحديثة الفتنة إلى عوامل اقتصادية واجتماعية، فيشيرون إلى تدفق الأموال في المجتمع الإسلامي نتيجة الفتوح، وظهور بوادر الترف في المجتمع، وحدوث تفاوت كبير في مستوى المعيشة نتيجة التباين في توزيع الثروة، وإلى توقف الفتوح في النصف الثاني من خلافة

(مسلم: الكنى ١٢١، وابن حجر: الإصابة ٤: ٩٩).

(١) أحمد: فضائل الصحابة ١: ٤٥٢ من زيادات ابنه عبدالله، بإسناد فيه عبدالملك بن عمير، ربما دلس وكلامه في التقريب متأخر عن كلامه في «تعريف أهل التقديس» فينسخه، وقد عُمر فمات عن ثلاث ومئة، فوهنت ذاكرته دون أن يبلغ حد الاختلاط (الذهبي ميزان الاعتدال)، ومسعر بن كدام الراوي عنه كوفي قديم الطلب، والأغلب أنه روى عنه قبل اختلاطه، وقد تابعه هشيم عن عبدالملك وهو مدلس وقد عنعن (أحمد: فضائل الصحابة ١: ٤٥٥). والرواية تأريخية - ولو رددناها و أمثالها يضيع التأريخ...

(٢) خليفة: التأريخ ١٦٩ - ١٧٠ بإسناد إلى ابن سيرين صحيح، ولكنه منقطع ضعيف لأن ابن سيرين لم يدرك الأحداث، ويعتضد برواية أبي سعيد مولى أبي أسيد (ابن عساكر: تأريخ دمشق - ترجمة عثمان - ٣٢٨ وهو أيضا مرسل ابن سيرين).

عثمان رضي الله عنه، مما جعل الناس في الأمصار يحسون بالفراغ، وينغمسون في الفتن والشغب على الحكام.

وأما كتب الأخبار والتأريخ فتعطي ابن سبأ دوراً كبيراً في الأحداث، وخلاصة الصورة التي يقدمها سيف بن عمر وآخرون نقلت عنهم كتب التأريخ، وخاصة تأريخ الطبري: أن ابن سبأ يهودي من صنعاء أسلم في خلافة عثمان، وقام ببث الدعاية ضده في الحجاز والعراق والشام ومصر، وأن الولاة كانوا إذا أحسوا به طردوه إلى بلد آخر...

وأنه أثار أبا ذر ضد معاوية، زاعماً أن معاوية يقول: إن المال مال الله، وأقنعه أنه يريد بذلك احتجاز المال ومنعه عن الرعية، لذلك طلب أبو ذر من معاوية أن يقول: إن المال مال المسلمين، فوافقه معاوية ترضية له، ولكن أبا ذر استمر يعلن آراءه في سياسة المال والإنفاق، وأن فضول أموال الأغنياء يجب أن تُرد على الفقراء، وإلا فإنها كنز حرام، فشكاه معاوية إلى عثمان فطلبه عثمان. وتذكر الروايات التأريخية أن ابن سبأ أثار تذمر عمار بن ياسر في مصر ضد عثمان، وأنه كان ذا عقلية ذكية، فاستطاع أن ينظم دعاية واسعة ضد الخليفة عثمان وعمال الأمصار، فتبادل أشياعه الرسائل التي يوضحون فيها تذمرهم وشكاواهم من عمال عثمان، وقد كانت هذه الرسائل تقرأ في الأمصار المختلفة، فتثير الفتن، وينشأ عند العامة تصور للسوء والفوضى والظلم الذي انحدرت إليه الدولة، وأن ابن سبأ كان وراء الوفود المصرية والعراقية التي قدمت المدينة وحاصرت دار عثمان وقتلته.

ويرى البعض أن ما أورده الطبري عن أثر ابن سبأ في الفتنة لا يصمد للنقد التأريخي، لتفرد سيف بن عمر بمعظم الأخبار، وهو متروك عند المحدِّثين. ولكن ينبغي الانتباه إلى أن سيف بن عمر عمدة في التأريخ، وإن كان متروكاً

إذا روى أحاديث نبوية، وأن رواياته ينبغي أن تحظى بالنقد التأريخي مثل بقية الإخباريين، ويمكن أن نقبل فكرة وقوع المبالغة في أثر ابن سبأ في أحداث الفتنة، مما يجعلنا نتلمس عواملها في الأوضاع العامة مع ملاحظة التطور الذي أصاب المجتمع الإسلامي نتيجة الانسياح في الهلال الخصيب.

خبر الراكب الذي تعرض للوفد المصري:

كان الوفد المصري قد ناقش عثمان رضي الله عنه في الأمور التي أخذوها عليه، ثم «أخذوا ميثاقه، وكتبوا عليه شرطاً، وأخذ عليهم ألا يشقُّوا عصا، ولا يفارقوا جماعة ما أقام لهم شرطهم، ثم رجعوا راضين. فبينا هم بالطريق إذا راكب يتعرض لهم ويفارقهم، ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم».

قالوا: ما لك؟

قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر.

ففتشوه، فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه، إلى عامل مصر: أن يُصلّبهم، أو يقتلهم، أو يقطع أيديهم وأرجلهم. فأقبلوا حتى قدموا المدينة، فأتوا عليّاً فقالوا: ألم تر إلى عدوِّ الله، كتب فينا بكذا وكذا، وإن الله قد أحل دمه فقم معنا إليه.

قال: والله لا أقوم معكم.

قالوا: فلم كتبت إلينا؟

قال: والله ما كتبت إليكم كتاباً.

فنظر بعضهم إلى بعض، وخرج علي من المدينة.

فانطلقوا إلى عثمان، فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا.

فقال: إنهما اثنتان، أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو: ما كتبتُ ولا أمليتُ ولا علمتُ. وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل، ويُنقش الخاتم على الخاتم.

قالوا: قد أحلَّ الله دمك، ونقضت العهد والميثاق، وحصروه في القصر[١].

كان عثمان رضي الله عنه يترقب وقوع الفتنة، حيث أخبره النبي ﷺ بفتنة تقع له، وأنه يستشهد فيها[٢]، وكان يخرج على المعارضين يحاججهم بالقرآن والسنة، ويذكرهم بمواقفه في خدمة الإسلام والمسلمين: «إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في قيود فضعوهما»[٣].

«لما حصر عثمان أشرف عليهم فوق داره، ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن حراء حين انتفض قال رسول الله ﷺ: «اثبت حراء، فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد؟ قالوا: نعم. قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: من ينفق نفقة متقبلة؟» والناس مجهدون معسرون، فجهزت ذلك الجيش؟ قالوا: نعم. ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن بئر رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن، فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل؟ قالوا:

(١) خليفة: التأريخ ١٦٨ - ١٦٩ بإسناد حسن، ورواه البزار وصحح إسناده الهيثمي: مجمع الزوائد ٧: ٢٢٨ - ٢٢٩، وانظر رواته الآخرين عن معتمر عند محمد عبدالله الغبان: فتنة مقتل عثمان بن عفان، الملحق ص ١٠٦ - ١٠٧ وأحال على الهيثمي: كشف الأستار عن زوائد البزار ٤: ٩٠ - ٩١، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢١٥ - ٢٢٠، والطبري: تأريخ ٤: ٣٥٤ - ٣٥٦، وابن عساكر: تأريخ دمشق - ترجمة عثمان - ٣٢٧، و أبي نعيم الأصبهاني: الإمامة ٣٤٧، وابن حجر: المطالب العالية ٤: ٢٨٣ - ٢٨٦ نقلاً عن إسحاق بن راهويه في مسنده، والمحب الطبري: الرياض النضرة ٣: ٦٠ وعزاه إلى أبي حاتم الرازي.

(٢) أحمد: المسند ١: ٣٣٤، ٣٧٧، والترمذي: السنن (تحفة الأحوذي ٥: ٦٣١، ١٠: ٢٠٩) وابن ماجة: السنن ١: ٤٢، وابن سعد: الطبقات الكبرى ٣: ٦٦ - ٦٧، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٠٢، والحميدي: المسند ١: ١٣٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٣: ٦٩ - ٧٠ بإسناد صحيح، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٢٤ بإسناد صحيح.

نعم. وأشياء عددها[١]. فانتشد له رجال[٢] وكان يخص بمناشدته الصحابة[٣]، ويلاحظ أن مخاطبته للثائرين كانت تُحدث أثراً مؤقتاً حتى انتشر النهيُ عنه بينهم مرة، «وجعل الناس يقولون: مهلاً عن أمير المؤمنين»[٤]. «وقام الأشتر فقال: لعله لقد مكر به وبكم. قال - يعني أبا أسيد وهو شاهد عيان - : فوطئه الناس حتى لقد لقي كذا وكذا - يعنى من الأذى والشدة - . قال: فرأيته أشرف عليهم مرة أخرى، فوعظهم وذكرهم، فلم تأخذ فيهم الموعظة، وكان الناس تأخذ فيهم الموعظة أول مايسمعونها فإذا أعيدت عليهم لم تأخذ فيهم، ثم إنه فتح الباب ووضع المصحف بين يديه»[٥].

وفي إحدى خطبه وهو يشير إلى صحبته ومكانته اعترضه أعين ابن امرأة الفرزدق بقوله: «يانعثل إنك قد بدلت». وقال عثمان بعد أن عُرِّف به: «بل أنت أيها العبد» و «وثب الناس على أعين» و «جعل رجل من بني ليث يزعهم عنه حتى أدخله الدار»[٦].

وكان حريصاً على إقامة المسلمين صلاتهم بالمسجد النبوي، مع أنه حُرِم من الخروج للصلاة فيه، قال له عبيد الله بن عدي بن الخيار: إنك إمام عامة، ونزل بك ما نرى، ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرَّج؟ فقال عثمان: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسِن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم[٧].

---

(١) الترمذي: السنن ٥: ٦٢٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأحمد: المسند ١: ٣٤٠ - ٣٤١ بإسناد حسن.

(٢) أحمد: المسند ١: ٣٤٠ - ٣٤١ بإسناد حسن، ط. أحمد شاكر.

(٣) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٥: ٤٠٦ - ٤٠٧) معلقاً.

(٤) خليفة: التأريخ ١٧٢ بإسناد حسن، وأبو سعيد شاهد عيان مختلف في صحبته، والطبري: تأريخ ٤: ٣٨٣.

(٥) الطبري: تأريخ ٤: ٣٨٣ بإسناد حسن.

(٦) أحمد: المسند ١: ٣٧٨ ط. أحمد شاكر وحسنه، لكن شاهد العيان عباد بن زاهر أبا الرواع ممن يعتبر بحديثه ولا يبلغ مرتبة صدوق، ولكن الخبر تأريخي فيتساهل فيه، وسماع شعبة بن الحجاج من سماك بن حرب قديم فلا يضر اختلاط الأخير (ابن الكيال: الكواكب النيرات ٢٣٧ - ٢٤١).

(٧) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٢: ١٨٨).

ثبت أن عثمان اتخذ موقفاً واضحاً وحاسماً يتمثل في عدم المقاومة، وأنه ألزم به الصحابة، قال عبدالله بن عامر بن ربيعة - شاهد عيان ولد سنة ٦ هـ - : كنت مع عثمان في الدار، فقال: «أعزِمُ على كل من رأى أنَّ عليه سمعاً وطاعةً إلا كفَّ يده وسلاحه»[١]، وقد خرج من الدار على إثر أمر عثمان لهم بوضع أسلحتهم، ولزوم دورهم كل من الحسن والحسين وعبدالله بن عمر، وأصر على البقاء في الدار عبدالله بن الزبير ومروان بن الحكم[٢]. وكان عثمان رضي الله عنه قد أمَّر عبدالله بن الزبير على الدار، وأمر بطاعته، فلما طلب منه ابن الزبير أن يقاتل الخارجين «لقد أحل الله لك قتالهم «. فقال عثمان: «لا والله لا أقاتلهم أبداً»[٣]. وكان في الدار عصابة، قال ابن الزبير: «ينصر الله بأقل منهم»[٤].

«وممن أراد القتال دفاعاً عن عثمان الصحابي أبو هريرة - وكان متقلداً سيفه -[٥]، لكن عثمان لم يأذن له قائلاً: يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي؟ قال: قلت لا. قال: فإنك والله إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قُتل الناس جميعاً. قال أبو هريرة: فرجعتُ ولم أقاتل»[٦].

وحكى أبو حبيبة مولى عروة أنه دخل على عثمان في يوم صائف، وهو محصور ليبلغه رسالة الزبير بن العوام إليه، وفيها يعلن طاعته ونصرته والتزام

(١) خليفة: التأريخ ١٧٣، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٠٤، وابن سعد: الطبقات ٣: ٧٠ كلهم بأسانيد صحيحة.
(٢) خليفة: التأريخ ١٧٤ بإسناد صحيح إلى ابن سيرين، لكن ابن سيرين لم يشهد الحادثة.
(٣) ابن سعد: الطبقات ٣: ٧٥ بإسناد صحيح.
(٤) ابن سعد: الطبقات ٣: ٧٠ بإسناد صحيح، وخليفة: التأريخ ١٧٣ بإسناد صحيح.
(٥) خليفة: التأريخ ١٧٣ وإسناده صحيح، وسعيد من أثبت الناس في قتادة، ورواية كهمس عن سعيد قبل اختلاطه (البخاري - فتح الباري ٧: ٤٢).
(٦) ابن سعد: الطبقات ٣: ٧٠ بإسناد صحيح، والأعمش مدلس ولكن ثبتت روايته عن أبي صالح، كما في الصحيحين (المزي: تحفة الأشراف ٩: ٣٧٦ - ٣٨٤، وابن حجر: هدي الساري ١٢).

بني عمرو بن عوف من الأنصار بنجدته، ورأى أبو حبيبة عدداً من الصحابة في الدار، وهم الحسن بن علي وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وعبدالله بن الزبير، وأن الناس كلموا عثمان أن يأذن لهم بالجهاد، فقال: «أعزم على من كانت لي عليه طاعة ألا يقاتل»[١]. واستأذن الحسن بن علي عثمان في القتال فمنعه[٢].

وممن نصحه بالكف عن القتال الصحابي عبدالله بن سلام، وقد سأله عثمان عن رأيه في الموقف من الثائرين، فأجابه: «الكف الكف، فإنه أبلغ لك في الحجة»[٣].

وتعتضد روايتان ضعيفتان لبيان اقتراح تقدم به إلى عثمان المغيرة بن شعبة يرى فيه أن يخرج عثمان إلى مكة للخلاص من المعارضين، وأن عثمان رفض الفكرة[٤].

وهكذا كانت الاقتراحات والمداولات تتم في ظروف صعبة تضغط فيها المعارضة بشدة على الدار وأهله.

رفض عثمان رضي الله عنه التنازل عن الخلافة، ويدل حديث صحيح ترويه عائشة رضي الله عنها على أن النبي ﷺ قال لعثمان: «ياعثمان إن الله مقمصك قميصاً فإن أرادك المنافقون على أن تخلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة»[٥].

---

(١) ابن عساكر: تأريخ دمشق - ترجمة عثمان - ٢٧٤ نقلاً عن مصعب بن عبدالله الزبيري، وإسناد مصعب حسن، وأحال المحقق على حديث مصعب في الظاهرية (مجلد ١١٧ ورقة ١٥١ ب).

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ١٠: ٢٢٤ بإسناد حسن إن صحَّ سماع أبي قلابة من الحسن.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٣: ٧١ بإسناد حسن.

(٤) أحمد: المسند ١: ٣٦٩ ط. أحمد شاكر وضعفه بالانقطاع، لأن محمد بن عبدالملك بن مروان لم يسمع المغيرة (الهيثمي: مجمع الزوائد ٧: ٣٢٩)، والمسند ١: ٣٦١ بإسناد ضعيف أيضا لأن، ابن أبزى لم يدرك عثمان.

(٥) أحمد: المسند ٦: ٨٦ - ٨٧، ١٤٩، وفضائل الصحابة ١: ٥٠٠ رقم ٨١٦ بإسناد صحيح، والترمذي: السنن رقم ٣٧٨٩ وقال: حسن غريب، وابن ماجة: السنن ١: ٤١ رقم ١١٢، وابن حبان كما في الإحسان لابن بلبان ٥٣٩ رقم ٢١٩٦.

وكان المغيرة بن الأخنس قد أشار عليه بالخلع، لئلا يقتله الخارجون عليه، وقد سأل عثمانُ عبدالله بن عمر عن رأي المغيرة[١]، فنصحه بأن لا يخلع نفسه من الخلافة.

«قال له ابن عمر: إذا خلعتها أمخلد أنت في الدنيا؟

قال: لا.

قال: فان لم تخلعها هل يزيدون على أن يقتلوك ؟

قال: لا.

قال: فهل يملكون لك جنة أو نارا ؟

قال: لا.

قال: فلا أرى لك أن تخلع قميصاً قمصكه الله، فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم أو إمامهم قتلوه»[٢].

وتتضافر روايات ضعيفة للدلالة على أن عثمان - وهو محصور في الدار - بعث إلى علي يطلبه، وأن علياً استجاب لأمره، لكنه لم يتمكن من الوصول إلى الدار التي كان المعارضون يطوقونها، وأن آل علي حبسوه عن دخولها خشية عليه من القتل، فحل عمامته السوداء التي كان يرتديها، ورمى بها إلى رسول عثمان، ثم خرج حتى انتهى إلى أحجار الزيت في سوق المدينة، فأتاه خبر قتل عثمان، فأعلن براءته ممن قتله أو مالأ عليه[٣].

(١) ابن سعد: الطبقات ٣: ٦٦ بإسناد صحيح رجاله رجال الشيخين.

(٢) خليفة: التأريخ ١٧٠ بإسناد حسن، كهمس صدوق، وروايته عن سعيد بن أبي عروبة قديمة قبل اختلاط سعيد (الكلاباذي: رجال البخاري ٢: ٤٨٥، ٨٧٥، وابن منجويه: رجال مسلم ١: ٢٤٥، وابن حجر: تعريف أهل التقديس ٦٣).

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٠٩ بسند منقطع، وابن سعد: الطبقات ٣: ٦٨ - ٦٩ بسند منقطع، وسند آخر منقطع مع تدليس حبيب بن أبي ثابت. (انظر محمد عبدالله الغبان: فتنة مقتل عثمان - الملحق - ١٤٦).

لم يالُ الخليفة جهداً في محاورة الثوار لإقناعهم بخطأ موقفهم، سواء بذكر مكانته وخدماته في الإسلام، أو ببيان خطورة قتله على وحدة الأمة: «يا أيها الناس لا تقتلوني واستتيبوني، فو الله لئن قتلتموني لاتصلون جميعا أبداً، ولاتجاهدون عدوّاً جميعاً أبداً، ولتختلفنَّ حتى تصيروا هكذا - وشبَّك بين أصابعه -»، وكان يخاطبهم من كوة في الجدار[١]، إذ لم يكن يأمن الخروج إليهم.

وكان عثمان رضي الله عنه يتابع تحركات المعارضين، ويسمع مايقولون، قال أبو أمامة بن سهل بن حُنَيْف الأنصاري: «كنت مع عثمان في الدار - وهو محصور - وكنا ندخل مدخلا إذا دخلناه سمعنا كلام من على البلاط - وهو موضع أمام الباب الشرقي للمسجد النبوي بينه وبين دار عثمان -[٢]، فدخل عثمان يوماً لحاجة، فخرج منتقعاً لونه، فقال: إنهم ليتوعدونني بالقتل آنفا. فقلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين. قال: ولِم يقتلونني، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: لايحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث، رجل كفر بعد إيمانه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس، فوالله مازنيت في جاهلية ولا في إسلام قط. ولا تمنيت أن لي بديني بدلاً منذ هداني الله. ولا قتلتُ نفساً. ففيم يقتلونني؟»[٣].

وبين عبدالله بن عمر أن عثمان أشرف على المعارضين، وحدَّثهم بهذا المعنى[٤].

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٣: ٧١ بإسناد حسن، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٠٣ بإسناد حسن، وابن الأعرابي: المعجم ق ١٢٥ أ، وخليفة: التأريخ ١٧١ مختصراً وسقط منه (أبو ليلى).

(٢) راجع عن البلاط السمهودي: وفاء الوفا ٣: ٧٣٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٣: ٦٧ بإسناد صحيح، و أحمد: المسند ١: ٣٤٨، ٣٦٣، ٣٧٩ - ٣٨٠ ط. أحمد شاكر وصحح إسناده.

(٤) أحمد: المسند ١: ٣٥٥ بإسناد صحيح.

وتتضافر روايات ضعيفة لتؤكد أن عثمان أصبح صائماً يوم استشهاده، وأنه أخبر برؤيته النبي ﷺ في المنام يدعوه للإفطار عنده[١].

قال أبو سعيد مولى أبي أسيد - وهو شاهد عيان - : «ففتح عثمان الباب، ووضع المصحف بين يديه، فدخل عليه رجل، فقال: بيني وبينك كتاب الله. فخرج وتركه. ثم دخل عليه آخر، فقال: بيني وبينك كتاب الله. فأهوى إليه بالسيف فاتقاه بيده، فقطعها، فلا أدري أبانها أم قطعها ولم يبنها. فقال - يعني عثمان -: أما والله إنها لأولُ كفٍّ خطَّت المصحف»[٢].

وقد انتضح دمه على المصحف الذي كان يقرأ فيه فوق الآية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٣].

وتتضافر الروايات المتعددة في إثبات موقف محمد بن أبي بكر الصديق مع المعارضين لعثمان، وأنه دخل على عثمان يوم مقتله، فأخذ بلحيته، وأن عثمان ذكَّره بمكانه من أبيه، فخرج دون أن يشترك في قتله[٤].

وقد دافع بعض الشباب عن عثمان، قال كنانة مولى صفية - وهو شاهد عيان - : «شهدت مقتل عثمان، فأخرج من الدار أمامي أربعة من شبان قريش ملطخين بالدم، محمولين، كانوا يدرأون عن عثمان رضي الله عنه، الحسن بن علي وعبدالله ابن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم»[٥].

(١) الهيثمي: المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي ق ١٦٣ أ، وفي إسناده أبو جعفر الرازي صدوق سيء الحفظ، وابن سعد: الطبقات ٣: ٧٤ - ٧٥ بإسناد منقطع، لأن نافعاً لم يرو عن عثمان، وأحمد: المسند ١: ٣٨٨ - ٣٨٩ تحقيق أحمد شاكر، وصحح إسناده، لكنه ضعيف، لأن مسلماً أبا سعيد انفرد ابن حبان بتوثيقه.

(٢) خليفة: التأريخ ١٧٤ بإسناد حسن، وقارن بالطبري: تأريخ ٤: ٣٣٣ - ٣٣٤ من مرسل الحسن البصري.

(٣) أحمد: فضائل الصحابة ١: ٤٧٠ - ٤٧٣ بإسناد صحيح.

(٤) خليفة: التأريخ ١٧٤ من مرسل الحسن البصري نقلاً عن أسد بن موسى بإسناد حسن، وابن عبدالبر: الاستيعاب ٣: ٣٤٩.

(٥) ابن عبدالبر: الاستيعاب (مع الإصابة) ٣: ٧٨ بإسناد حسن.

ولكن المقاومة لم تكن عنيفة، فقد انصرف الكثير من المدافعين عن الدار بسبب أوامر عثمان، التي تقضي بالكف عن القتال، بل وتأمرهم بالخروج من الدار ولزوم بيوتهم... لقد اختار حقن دمائهم وفداء أرواحهم بدمه وروحه.

تثبت الروايات الصحيحة أن الذي باشر قتل عثمان رضي الله عنه رجل من بني سدوس، خنقه قبل أن يضرب بالسيف[١]، والرواية تنتهي إلى شاهد عيان مختلف في صحبته، لكنه شهد الحادثة[٢]، قال كنانة مولى صفية: «رأيتُ قاتل عثمان، رجلاً أسود من أهل مصر، وهو في الدار رافعاً يديه، يقول: أنا قاتل نعثل»[٣]. «يقال له جبلة: أي الرجل الأسود»[٤].

قال عبدالله بن شقيق - معاصر للأحداث - يروي عن عثمان: «أول من ضرب عثمان رومان اليماني بصولجان»[٥].

موقف الأنصار:

حدثت الفتنة في المدينة، وهي دار المهاجرين والأنصار، فكان لا بد أن يظهر للأنصار موقف مما يدور في مدينتهم من أحداث خطيرة تهدد الخليفة، وتتضافر روايات عدة لتقوي ماعرضه زيد بن ثابت على عثمان: «هؤلاء الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين. فقال: لا حاجة لي في ذلك، كُفُّوا»[٦].

---

(١) خليفة: التأريخ ١٧٤ - ١٧٥ بإسناد صحيح، وقارن الطبري: تأريخ ٤: ٣٨٣ - ٣٨٤.
(٢) الذهبي: التجريد ٢: ١٧٣، وابن حجر: الإصابة ٤: ٩٩.
(٣) علي بن الجعد: المسند ٢: ٩٥٨ - ٩٥٩ بإسناد حسن.
(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣: ٨٣ - ٨٤ بإسناد حسن، والمحب الطبري: الرياض النضرة ٣: ٧١.
(٥) خليفة: التأريخ ١٧٥ بإسناد صحيح، وانظر رواته عن عثمان في ابن منجويه: رجال صحيح مسلم ١: ٣٦. والصولجان: المحجن.
(٦) خليفة: التأريخ ١٧٣ عن قتادة، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٠٥، وابن سعد: الطبقات ٣: ٧٠ والأخيران عن ابن سيرين وفيه انقطاع بين ابن سيرين وزيد، ويعتضد الطريقان إلى الحسن.

وقد ذكر محمد بن سيرين أن عدد الأنصار الذين كانوا مع زيد بن ثابت هو ثلاث مئة[١]. كما ذكر أن عدد من كان مع عثمان يومئذ في الدار سبع مئة[٢]. «لو يدعهم لضربوهم - إن شاء الله - حتى يخرجوهم من أقطارها». ولكن هذه الأرقام لم تثبت من طرق صحيحة، ولكنها محتملة، وتدل على موقف الأنصار في ذلك الوقت العصيب.

وتظهر الروايات المعتمدة أن بني عمرو بن عوف من الأنصار واعدوا الزبير بن العوام أن يأتمروا بأمره في نجدة الخليفة عثمان[٣].

وقد عرض حارثة بن النعمان على عثمان وهو محصور استعداد الأنصار للقتال ذوداً عنه[٤]، ودخل الدار معه أبو أمامة بن سهل بن حُنَيْف الأنصاري[٥].

مواقف الصحابة في الفتنة

صفية أم المؤمنين:

قال كنانة مولى صفية: «كنت أقودُ بصفية، لترد عن عثمان، فلقيها الأشتر فضرب وجه بغلتها حتى (مالت)، فقالت: ردّوني، ولا يفضحني هذا

(١) ابن عساكر: تأريخ دمشق - ترجمة عثمان - ٤٠٠، وهو مرسل محمد بن سيرين ولم يدرك زيد ابن ثابت.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٣: ٧١ بإسناد صحيح إلى ابن سيرين، لكن ابن سيرين ولد سنة ٣٣ هـ لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، ويبدو أن ابن سيرين نقل الخبر عن سليط بن سليط دون الرقم سبع مئة، وذلك في رواية خليفة ١٧٣ وفي إسناد خليفة سعيد بن عبدالرحمن لم يترجموا له، فهو مجهول.

(٣) ابن عساكر: تأريخ دمشق - ترجمة عثمان - ٣٧٤ نقلاً عن مصعب بن عبدالله الزبيري، وإسناد مصعب حسن لذاته.

(٤) البخاري: التأريخ الصغير ١: ١٠١ بإسناد صحيح.

(٥) ابن سعد: الطبقات ٣: ٦٧ بإسناد صحيح.

الكلب»[١]. ولما أخفقت في الوصول إلى دار عثمان، وضعت خشباً بين سطح منزلها وسطح منزل عثمان - وكانت جاره - لنقل الطعام والشراب[٢].

الزبير بن العوام:

بعث أبو حبيبة مولى عروة إلى عثمان وهو محصور يقرئه السلام ويقول: «إني على طاعتي لم أبدل ولم أنكث، فإن شئت دخلت الدار معك، وكنتُ رجلاً من القوم، وإن شئت أقمتُ، فإن بني عمرو بن عوف وعدوني أن يصبحوا على بابي، ثم يمضون على ما آمرهم به» فطلب منه عثمان البقاء في مكانه «عسى الله أن يدفع بك عني»[٣].

أبو ذر الغفاري:

توحي الدراسات الحديثة أن لأبي ذر رضي الله عنه وآرائه في سياسة المال والإنفاق أثراً كبيراً في أحداث الفتنة، وتعتمد على روايات واهية تفيد وقوع العداوة والبغضاء بينه وبين عثمان رضي الله عنهما، وأن معاوية بن أبي سفيان اشتكى أبا ذر إلى عثمان، فأمر بإنفاذه إلى المدينة، ثم نفاه إلى الربذة، فماذا تقول الروايات الصحيحة؟

حكى أبو ذر رضي الله عنه اختلافه في الشام مع معاوية في تفسير الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب. فقلت: نزلت فينا وفيهم. فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إليَّ عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتها. فكثُر عليَّ الناس،

(١) البخاري: التأريخ الكبير ٧: ٢٣٧، و أحمد: المسند ٢: ٩٥٩، وابن سعد: الطبقات ٨: ١٢٨ بإسناد صحيح إلى كنانة، وهو شاهد عيان وثقه ابن حبان (الثقات ٥: ٣٣٩ والعجلي: الثقات ٢: ٢٢٩)، ويرى ابن حجر أنه مقبول (التقريب).

(٢) علي بن الجعد: المسند ٢: ٩٥٩ بإسناد صحيح.

(٣) ابن عساكر: تأريخ دمشق - ترجمة عثمان - ٣٧٤ نقلاً عن مصعب بن عبدالله الزبيري، وإسناد مصعب حسن.

حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرتُ ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريباً. فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمَّروا عليَّ حبشيّاً لسمعتُ وأطعتُ[١].

وقابل أبو ذر عثمان بعد عودته من الشام في رهط من غفار، منهم عبدالله ابن الصامت الغفاري، وبيَّن له التزامه بطاعته «أخفتني، فوالله لو أمرتني أن أتعلق بعروة قتب حتى أموت لفعلتُ»[٢]. واستأذنه في الإقامة بالربذة، واعتذر عن عدم قبول أخذ إبل الصدقة التي عرضها عليه، ليصيب من لبنها «دونكم معاشر قريش دنياكم، فاعذموها، لا حاجة لنا فيها»[٣].

ويوضح عبدالله بن الصامت الغفاري ظروف ذلك اللقاء:

قال أبو ذر لعثمان وهو يرفع عمامته عن رأسه: إني والله يا أمير المؤمنين ما أنا منهم - يعني من الخوارج - ولو أمرتني أن أعضَّ على عرقوبي قتب لعضضت عليهما، حتى يأتيني الموت وأنا عاض عليهما.

قال عثمان: صدقت يا أبا ذر، إنما أرسلنا إليك لخير، لتجاورنا بالمدينة.

قال أبو ذر: لاحاجة لي في ذاك، ائذن لي في الربذة.

قال: نعم[٤].

لذلك كان محمد بن سيرين والحسن البصري ينكرون أن يكون عثمان قد أخرج أبا ذر إلى الربذة[٥].

(١) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٣: ٢٧١)، وابن سعد: الطبقات ٤: ٢٢٦ بإسناد صحيح، لأن سماع هشيم من حصين في اختلاط الأخير (ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١: ٦١) وقد صرح هشيم بالتحديث.

(٢) عبدالرزاق: المصنف ١١: ٣٣٢ بإسناد صحيح.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٤: ٢٣٢ بإسناد صحيح، وعمر بن شبَّة: تأريخ المدينة ١٠٣٥ - ١٠٣٦.

(٤) عمر بن شبَّة: تأريخ المدينة ١٠٣٦ - ١٠٣٧ بإسناد حسن.

(٥) المصدر السابق ١٠٣٧.

وقالت أم ذر - زوجه -: والله ما سيَّر عثمان أبا ذر، ولكن رسول الله ﷺ قال: «إذا بلغ البنيان سلعاً فاخرج منها» فلما بلغ البنيان سلعا وجاوز خرج أبو ذر إلى الشام[١].

وأما بالنسبة لرأي أبي ذر في سياسة المال وفهمه لآية الإنفاق، فلم يتغير بعد قدومه المدينة على عثمان، فقد دخل عليه وهو يقسم مال عبدالرحمن بن عوف بين ورثته وعنده كعب الأحبار، فسأله عثمان أمام أبي ذر: يا أبا إسحاق، ماتقول في رجل جمع هذا المال فكان يتصدق منه، ويحمل في السبيل، ويصل الرحم؟ فقال كعب الأحبار: إني لأرجو له خيراً فغضب أبو ذر، ورفع عليه العصا وقال: ما يدريك يا ابن اليهودية ليودَّن صاحب هذا المال يوم القيامة أن لو كان عقارب تلسع السويداء من قلبه[٢].

وكان أبو ذر رضي الله عنه يعلن أن فضول أموال الأغنياء ينبغي أن توزع على الفقراء، وإلا فإنها كنز حرام، وهو اجتهاد خاص لم يتابعه عليه الخليفة عثمان ولا بقية الصحابة.

أسامة بن زيد:

لما قيل لأسامة بن زيد أن يكلم عثمان رضي الله عنه في أحداث الفتنة، أجاب بأنه يكلمه في السر دون أن يفتح باب الفتنة[٣].

الحسن بن علي بن أبي طالب:

لم يزل مع عثمان - وهو محصور - حتى عزم عليه ليخرجن[٤]، وكان قد خرج خلال المناوشات، فحُمل من الدار[٥].

(١) الحاكم: المستدرك ٣: ٣٤٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وانظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٦٣.
(٢) عمر بن شبَّة: تأريخ المدينة ١٠٣٦ - ١٠٣٧ بإسناد حسن.
(٣) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٦: ٣٣١، ١٣: ٤٨).
(٤) ابن عساكر: تأريخ دمشق - ترجمة عثمان - ٣٩٥، ٣٩٦.
(٥) البخاري: التأريخ الكبير ٧: ٢٣٧.

عبدالرحمن بن عوف:

قال سعد بن إبراهيم الزهري: «رأيت عبدالرحمن بن عوف بمنى محلوقاً رأسه يبكي، يقول: ماكنت أخشى أن أبقى حتى يقتل عثمان»[١].

زيد بن ثابت:

«وكان يبكي على عثمان يوم الدار»[٢].

عبدالله بن عمر:

دخل دار عثمان رضي الله عنه للدفاع عنه، فأمره عثمان بعدم القتال، وبالإجارة بين الناس، وكان معه رجال من قومه بني عدي (ابن سراقة وابن مطيع) فغادروا الدار قبل مقتل الخليفة[٣]. وقد لبس ابن عمر درعه مرتين يوم الدار[٤]، وتقلد سيفه حتى عزم عليه عثمان أن يخرج مخافة أن يُقتل[٥].

تعليقات على مقتل الخليفة

آراء الصحابة وتوقعاتهم لنتائج مقتل عثمان رضي الله عنه

علي بن أبي طالب:

«والله ماقتلتُ عثمان، ولا أمرتُ بقتله، ولكن غُلبتُ»[٦] «وإن كنت لقتلِهِ لكارهاً»[٧].

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٤٢ بإسناد صحيح. وفي طبعة علي شيري (٣٩/ ٢).
(٢) ابن سعد: الطبقات ٣: ٨١ بإسناد حسن.
(٣) خليفة: التأريخ ١٧٣ بإسناد صحيح.
(٤) خليفة: التأريخ ١٧٣ بإسناد حسن.
(٥) المصدر السابق بإسناد حسن. وفي طبعة علي شيري (٣٩/ ٤٨٠).
(٦) مسلم: الصحيح ٣:١١٦٠.
(٧) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٠٨، وانظر أقوالاً مماثلة في ابن عساكر: تأريخ دمشق - ترجمة عثمان - ٤٦٤.

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل:

قال في مسجد الكوفة: «لو أن أحداً ارفضَّ للذي صنعتم بعثمان لكان محقوقاً أن يرفضَّ»(١).

أبو موسى الأشعري:

«إن قتل هذا - يعني عثمان - لو كان هدى لاحتلبت به العرب لبناً، ولكنه ضلال، فاحتلبوا دماً»(٢).

سمرة بن جندب:

«إن الإسلام كان في حصن حصين، وإنهم ثلموا في الإسلام ثُلمةً بقتلهم عثمان، وإنهم شرطوا شرطة، وإنهم لن يسدوا ثُلمتهم إلى يوم القيامة، وإن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد فيهم»(٣).

عائشة رضي الله عنها:

قال طلق بن خشاف: «قُتل عثمان فتفرقنا في أصحاب النبي ﷺ نسألهم عن قتله، فسمعتُ عائشة قالت: قُتل مظلوماً، لعن الله قتلته»(٤).

---

(١) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٧: ١٧٦، ١٧٨ و ١٢: ٣١٥).

(٢) البخاري: التأريخ الكبير ١: ٣٦٩، وابن عساكر: تأريخ دمشق - ترجمة عثمان - ٤٨٩ - ٤٩٠، وإسناد البخاري فيه سعيد بن أبي عروبة اختلط بأخرة، ورواية ابن أبي عدي بعد اختلاطه (ابن الكيال: الكواكب النيرات ١٩٩) وفيه إسماعيل بن عمر إن لم يوثقه إلا ابن حبان، وأما إسناد ابن عساكر ففيه انقطاع، لأن قتادة لم يسمع أبا موسى الأشعري، ويقوى الطريقان ببعضهما إلى الحسن لغيره.

(٣) ابن عساكر: تأريخ دمشق - ترجمة عثمان - ٤٩٣ بإسناد حسن، ولا تضره كثرة إرسال وتدليس الحسن البصري، فقد ثبت سماعه عن سمرة (البخاري: الصحيح - فتح الباري ٩: ٥٩٠، ومحمد عبدالله سنيور: فتنة مقتل عثمان، الملحق ص ٧٦ - ٧٧).

(٤) البخاري: التأريخ الكبير ٤: ٣٥٨ بإسناد حسن.

وحكى مسروق بن الأجدع (ت ٦٣ هـ) عن عائشة قالت حين قتل عثمان: «تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش. فقال لها مسروق: هذا عملُكِ أنتِ كتبتِ إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه. فقالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون، وكفر به الكافرون، ماكتبت إليهم بسوداء في بيضاء حتى جلستُ مجلسي هذا». قال الأعمش: فكان يرون أنه كتب على لسانها[١].

وقد أوضحت عائشة ﵂ موقفها من إرهاصات الفتنة، فقالت: «كان القوم يختلفون إليَّ في عيب عثمان، ولا أرى إلا أنها معاتبة، فأما دمه فأعوذ بالله من دمه، والله لوددت أني أعيش برصاء سالخ - أي مسلوخة الجلد - وإني لم أذكر عثمان قط» فذكرت كلاماً فضَّلت عثمان على علي[٢].

وكانت كلما ذكرت عثمان بكت حتى ليبتل خمارها، وتقول: ماتمنيتُ لعثمان شيئاً إلا أصابني، حتى إني لو تمنيتُ أن يُقتل قُتلتُ[٣].

وأما عن تقويمها للمعارضين لعثمان، فيظهر من قولها لعبيد الله بن عدي ابن الخيار القرشي - من أبطال المسلمين - : «ياعبيد الله بن عدي لايغرنك أحد بعد الذي تعلم، فوالله ما احتقرتُ أعمال أصحاب النبي ﷺ حتى نجم النفر الذين طعنوا على عثمان، فقالوا له قولاً لايحسن مثله، وقرأوا قراءةً لايحسن مثلها، وصلوا صلاة لايصلى مثلها، فلما تدبرتُ الصنيع إذا هم والله مايقاربون

(١) خليفة: التأريخ ١٧٦ بإسناد صححه ابن كثير (البداية والنهاية ٧: ٢٠٤)، وعنعنة الأعمش هنا لا تضر، وابن سعد: الطبقات ٣: ٨٢، وابن شبَّة: تأريخ المدينة ١٢٢٥، وابن عساكر: تأريخ دمشق - ترجمة عثمان - ٤٩٦. وقارن برواية ابن شبَّة: تأريخ المدينة ١٢٢٤ - ١٢٢٥ وفي سنده أم الحجاج العوفية مجهولة.

(٢) أحمد: مسائل الإمام أحمد، برواية إسحاق بن إبراهيم بن هانئ ٢: ١٧١ رقم ١٩٤٢، والخلال: كتاب السنة ٣٨٥ عن الإمام أحمد وإسناده صحيح.

(٣) أبو نعيم: الإمامة والرد على الرافضة ٣٣٠ بإسناد صحيح، وقارن مع البخاري: خلق أفعال العباد ٢٥ بإسناد صحيح.

أصحاب رسول الله ﷺ فإذا أعجبك حسن قول امرءٍ فقل: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾»[١].

وهكذا أوضحت أن المعارضين برغم عباداتهم التي دونها عبادة الصحابة مما يجعل الناس ينغشون بهم، ويتهاونون في التعامل معهم.

بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة:

أصاب المسلمون بلاء عظيم بسبب مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، إذ كان المسلمون قد مروا بانتقال السلطة سلماً بعد وفاة النبي ﷺ وبعد وفاة الصديق رضي الله عنه، لكنهم الآن أمام تجربة جديدة تمثلت باستخدام العنف في تغيير السلطة، ونجم عن ذلك مقتل الخليفة، وبقاء المنصب شاغراً، وسعى المعارضون إلى بيعة واحد من كبار الصحابة لملأ الفراغ في السلطة، فعرضوها على طلحة بن عبيد الله[٢]، وعبدالله ابن عمر حتى هددوه بالقتل[٣]، لكن أحداً لم يكن ليقبل منهم السلطة في ظروف الفتنة، لأنهم لايمثلون الأمة، بل يمثلها كبار الصحابة في المدينة، وهم الذين يقبل الناس في أنحاء الدولة اختيارهم، وقد أدرك المعارضون ذلك[٤] بعد فشل محاولاتهم. واشتد ذهول الناس، وتعدى الذهول عامتهم إلى قادتهم، يقول علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: «ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ: ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة، وإني لأستحي من الله أن أبايع

(١) البخاري: خلق أفعال العباد ٢٥ بإسناد صحيح، وعبدالرزاق: المصنف ١١: ٤٤٧.
(٢) أحمد: فضائل الصحابة ٢: ٥٧٣ - ٥٧٤.
(٣) أحمد: فضائل الصحابة ٢: ٨٩٥ رقم ١٧٠٢، وابن سعد: الطبقات ٤: ١٥١ بإسناد صحيح، والحسن البصري شهد أحداث الفتنة بالمدينة وعمره أربع عشرة سنة (ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢: ٢٦٦ - ٢٦٧).
(٤) البخاري: الصحيح (فتح الباري ١٢: ١٤٤ - ١٤٥)، و أحمد: المسند ١: ٣٢٣، والبلاذري: أنساب الأشراف ٢: ٣٥ ب.

وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا. فلما دُفِن رجع الناس فسألوني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعتُ. فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين. فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى»[١].

بهذه الروح المرهفة الحزينة المليئة بالصفاء والوفاء لمعاني الأخوة وذكريات الرفقة استقبل علي بيعته بالخلافة، وقد استجاب لطلب الناس الملح، لينهي مرحلة مضطربة بسبب الفراغ في السلطة، وقد اشترط أن لاتكون بيعته سرّاً «فأخرجُ إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني»، فخرج إلى المسجد وبايعه الناس[٢].

وقد بين كل من طلحة بن عبيد الله التيمي، والزبير بن العوام – وهما من العشرة المبشرة بالجنة – أنهما بايعا مكرهين تحت التهديد من قتلة عثمان[٣]، ولم يكونا راضيين عن الطريقة التي تمت بها بعيداً عن أهل الشورى، وفي ظروف يسود فيها العنف والاختلاف.

وجنح عبدالله بن عمر[٤] إلى اعتزال الأحداث، وكذلك أسامة ابن زيد، وقال لعلي: «لو كنت في شقِّ الأسد لأحببتُ أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره»[٥] ، ومحمد بن مسلمة[٦]، وسعد

(١) الحاكم: المستدرك ٣: ٩٥ وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي. وله متابعة ضعيفة لدى الحاكم ٣: ١٠٣ بسند فيه الكديمي وهو ضعيف.
(٢) أحمد: فضائل الصحابة ٢: ٥٧٣ بإسناد حسن، والحاكم: المستدرك ٣: ٩٥ بإسناد حسن، و أبو نعيم: الإمامة ٣٢٩.
(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ١١: ١٠٧ و ١٥: ٢٦١ بإسناد صحيح، والبلاذري: أنساب الأشراف ٢: ٥٣٧ ب.
(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ١١: ١٣٣ و ١٥: ٨١ بإسناد صحيح.
(٥) البخاري: الصحيح (فتح الباري ١٣: ٦١)، وابن سعد: الطبقات ٤: ٧١.
(٦) أحمد: المسند ٤: ٢٢٥ من زوائد عبدالله و ٣: ٤٩٣، والبخاري: التأريخ الصغير ١: ١٠٥، وابن ماجة: السنن ٢: ١٣١٠ رقم ٣٩٦٢ وتعتضد طرقه إلى الصحيح (الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣: ٣٦٩ رقم ١٣٨٠).

ابن أبي وقاص[١]، وأهبان بن صيفي وقال لعلي: «إن خليلي وابن عمك ﷺ أمرني إذا كان قتال بين المسلمين أن أتخذ سيفاً من خشب»[٢]، وعبدالله ابن سعد بن أبي سرح[٣] وآخرون[٤] فلم يبايعوا لأحد بالخلافة. لكن جمهور الصحابة من المهاجرين والأنصار بايعوا عليّاً، وتبعهم الناس.

وكانت بيعة علي بعد سبعة أيام من مقتل عثمان. وقد ثبَّت أبا موسى الأشعري على ولاية الكوفة، فأخذ له البيعة من معظم أهلها[٥].

وعزل علي والي مكة خالد بن العاص المخزومي، وعيَّن بدله أبا قتادة الأنصاري مدة شهرين ثم عزله، وعيَّن قثم بن العباس[٦]، ويبدو أن الرأي العام بمكة كان غاضباً لعثمان، وتصاعد الغضب لكثرة النازحين من المدينة إلى مكة على إثر سيطرة الثوار على المدينة[٧].

وأرسل عثمان بن حنيف الأنصاري إلى البصرة والياً عليها بدلاً من عبدالله ابن عامر بن كريز واليها لعثمان، وكان قد ترك البصرة متجهاً إلى مكة. وقد انقسمت البصرة على الوالي الجديد، فمنهم من بايع، ومنهم من اعتزل، ومنهم من رفض البيعة حتى يُقتل قتلة عثمان، وهؤلاء الأخيرون التفوا حول طلحة والزبير وعائشة حين قدم الثلاثة إلى البصرة[٨].

---

(١) الحاكم: المستدرك ٣: ١١٥ دون إسناد.
(٢) أحمد: المسند ٥: ٦٩ و ٦: ٣٩٣، والطبراني: المعجم الكبير ١: ٢٧١ بإسناد حسن.
(٣) البخاري: التأريخ الكبير ٥: ٢٩.
(٤) عبدالرزاق: المصنف ١١: ٣٥٧، وأحمد: المسند (كما في الفتح الرباني للساعاتي ٢٣: ١٣٩)، وابن عبدالبر: الاستيعاب ١: ٧٧، ١١٦.
(٥) البلاذري: أنساب الأشراف ٢: ٣٦ ب.
(٦) خليفة بن خياط: التأريخ ١٧٨، ٢٠١.
(٧) عبدالحميد علي ناصر: خلافة علي ١١٥ - ١١٧.
(٨) ابن سعد: الطبقات ٦: ٣٣٣.

وأما الشام فلم يبايع واليها معاوية بن أبي سفيان مطالباً بالقصاص من القتلة، لكنه لم يمد المعارضين بالبصرة.

وأما مصر فكان واليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح قد تركها متجهاً إلى عسقلان، فاستولى عليها محمد بن أبي حذيفة مدة عام كامل، وواجه معارضة عثمانية تطالب بالقصاص من قتلة عثمان، فلما قتل بعد العام ولَّى عليٌّ عليها قيس ابن سعد بن عبادة الأنصاري، حيث تمكن من أخذ البيعة لعلي وهادن العثمانية[١].

وأرسل علي عبيد الله بن العباس والياً على اليمن، فأخذ له البيعة من أكثر أهلها، وبقيت جماعات تطالب بالقصاص من قتلة عثمان، وعقب الصحابي ثمامة بن عدي والي صنعاء لعثمان على الأحداث بقوله، وهو يبكي بكاءً شديداً: «اليوم انتزعت خلافة النبوة من أمة محمد ﷺ، وصارت ملكاً وجبرية، من أخذ شيئاً غلب عليه»[٢].

وكانت أخطر قضية تواجه الخليفة الجديد، هي مقاضاة قتلة عثمان، وإنفاذ القصاص فيهم، وكان ابن عباس قد نبَّه عليّاً إلى خطورة الموقف قبل توليه الخلافة: «إن الناس سيلزموك دم عثمان»[٣]. فقد كانت المأساة الدامية تملأ النفوس بالحزن والندم على عدم بذل الوسع في الذود عن الخليفة، وإن كان ذلك يعني عدم التقيد بأوامر عثمان بالكف عن القتال.

وكان طلحة والزبير وعائشة ﭫ قادة المطالبين بإنفاذ القصاص بقتلة عثمان، مشترطين ذلك للدخول في طاعة علي الخليفة الجديد..

---

(١) عبدالرزاق: المصنف ٢: ٤٥٨ بسند صحيح إلى الزهري، ثم هو من مراسيله، ويعقوب بن سفيان: المعرفة والتأريخ ١: ٢٥٤، والبخاري: التأريخ الكبير ٥: ٢٩، والكندي: ولاة مصر ٢١.

(٢) عبدالرزاق: المصنف ١١: ٤٤٧، وابن سعد: الطبقات ٣: ٨٠ بسند صحيح، والبخاري: التأريخ الكبير ٢: ١٧٦.

(٣) عبدالرزاق: المصنف ١١: ٤٤٨ بإسناد صحيح، والذهبي: تأريخ الإسلام (٦١ - ٨٠ هـ) ص ٥٩.

وكان طلحة بن عبيد الله التيمي يحس بالتفريط وبالتهاون مع الثوار ومجاملتهم فيندم ويرغب في التكفير عن ذلك كله «كان في أمر عثمان ما لا أرى كفارته، إلا أن يُسفك دمي في طلب دمه»[١] «كنا قد داهنَّا في أمر عثمان، فلا نجد بدّاً من المبالغة»[٢] - يعني بالمداهنة: اللين مع الثوار. وبالمبالغة: التشدد في المطالبة بالقصاص - . ويبدو أن هذا الشعور كان يتملك الكثيرين، بحيث شكلوا تياراً معارضاً قويّاً يعادل في كثرة أتباعه وقوة دوافعه وعزمه على تحقيق أهدافه التيار المؤيد لخلافة علي، وهذا ما تكشف عنه الملاحم العظيمة في الجمل وصفين.

وكان علي بين تيارين قويين، فالمشاركون والمحرضون على قتل عثمان منهم حكيم بن جبلة العبدي زعيم الثوار البصريين، ومنهم عبدالرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر من زعماء الثوار المصريين، ومنهم مالك الأشتر النخعي من زعماء الثوار الكوفيين، ومنهم محمد بن أبي حذيفة الذي غلب على مصر، ومحمد بن أبي بكر، وكلهم لهم اختلاط بجيشه وتأثير على قبائلهم، وبعضهم ترك المدينة إلى الأمصار عقب بيعة علي، فلم يكن قادراً على إنفاذ القصاص مع اختلاف الناس عليه[٣].

وكان التيار الآخر ممثلاً بطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة أم المؤمنين، وكانوا يضغطون بقوة لإنفاذ القصاص بقتلة عثمان، ويرون أن عليّاً قد تخلى عن القصاص[٤]. ولم يعذروه في سياسته التي تميل إلى إماتة الفتنة وتخطيها بعدم إيقاع القصاص، حتى يستتب له الأمر، ويدخل في بيعته الناس جميعاً، كما

(١) الحاكم: المستدرك ٣: ٣٧١ - ٣٧٢ وقال الذهبي: سنده جيد.
(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ١١: ١٤٢ بسند صحيح.
(٣) ابن تيمية: منهاج السنة ٤: ٤٠٧.
(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ١١: ١١٨ بسند صحيح (ابن حجر: فتح الباري ١٣: ٣٤، ٥٧).

أنه صرح بأنه لايعلم القتلة بأعيانهم: «والله لوددتُ أن بني أمية رضوا لنفلناهم خمسين رجلا من بني هاشم يحلفون: ماقتلنا عثمان، ولا نعلم له قاتلاً»[١]. ولما مضت أربعة أشهر على بيعة علي دون أن ينفذ القصاص خرج طلحة والزبير إلى مكة[٢]، ومنها جمعوا مؤيديهم الذين بلغ عددهم سبع مئة رجل[٣]، وانطلقوا إلى البصرة مستهدفين القبض على القتلة من أهلها، وإنفاذ القصاص فيها، وقد بلغ عددهم عند وصولهم البصرة ثلاثة آلاف رجل، وذلك لالتحاق الناس بهم في الطريق إليها، وقد أنفق عبدالله بن عامر بن كريز ويعلى بن أمية أموالاً كثيرة في تجهيز هذا الجيش بمكة، حيث قدم يعلى بن أمية وحده أربع مئة بعير[٤]. وكان معظم أهل البصرة يؤيدون إيقاع القصاص بالقتلة، فكانوا مهيئين نفسيّاً للانضمام إلى طلحة والزبير وعائشة عند قدومهم إليهم.

وكان الحزن يخيم على قلوب قادة المعارضة، فبرغم أن مطالبتهم بإنفاذ الحكم الشرعي يقوي موقفهم ويشعل حماسهم، إلا أن غموض المستقبل وما قد ينطوي عليه من ضياع الوحدة بين المسلمين وسفك دمائهم يبعث فيهم إحساساً أليماً، وأحيانا تردداً واضحاً.. لكنهم مضوا إلى أقدارهم بنفوس مثقلة بالهموم.

قال علقمة بن وقاص - شاهد عيان ثقة ثبت - : «ورأيته - يريد طلحة ابن عبيد الله - وأحب المجالس إليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته على زوره، فقلت له: يا أبا محمد، إني أراك وأحب المجالس إليك أخلاها، وأنت ضارب

(١) سعيد بن منصور: السنن ٢: ٣٣٥ - ٣٣٦ رقم ٢٩٤٢ بإسناد صحيح.

(٢) الطبري: تأريخ ٤: ٤٣٩ بسند صحيح إلى الزهري، ثم هو مرسل لأن الزهري (ت ١١٤ هـ) لم يشهد الأحداث.

(٣) حدد الزهري عدد الجيش قبل خروجه من مكة بسبع مئة رجل، وقبل دخوله البصرة بثلاثة آلاف رجل (عبدالرزاق: المصنف ٥: ٤٥٦، والطبري: تأريخ ٤: ٤٥٢ من مرسل الزهري، والبلاذري: أنساب الأشراف ٢: ٣٨ ب من مرسل صالح بن كيسان) ويعتضد الخبران المرسلان.

(٤) عبدالرزاق: المصنف ٥: ٤٥٦ من مرسل الزهري.

بلحيتك على زورك، إن تكره هذا اليوم فدعه، فليس يكرهك عليه أحد. قال: يا علقمة بن وقاص لاتلمني، كنا يداً واحدةً على من سوانا، فأصبحنا اليوم جبلين يزحف أحدنا إلى صاحبه[١].

وماذا عن القائد الآخر الزبير بن العوام؟

قال مطرف بن عبدالله بن الشخير – شاهد عيان ثقة فاضل –: «قلنا للزبير: يا أبا عبدالله، ماجاء بكم؟ ضيعتم الخليفة حتى قُتل، ثم جئتم تطلبون بدمه!. قال الزبير: إنا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾[٢] لم نكن نحسب أنا أهلها، حتى وقعت منا حيث وقعت»[٣].

وماذا عن عائشة رضي الله عنها؟

قال قيس بن أبي حازم البجلي – شاهد عيان ثقة –: «لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب. قالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب. قالت: ما أظنني إلا أني راجعة. إن رسول الله ﷺ قال لنا: «كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب؟!). فقال لها الزبير: ترجعين !! عسى الله ﷻ أن يصلح بك بين الناس»[٤].

---

(١) الحاكم: المستدرك ٣: ٣٧١ - ٣٧٢ وقال الذهبي: سنده جيد. والطبري: تأريخ ٤: ٤٥٣، ٤٧٦.

(٢) الأنفال: ٢٥.

(٣) أحمد: المسند ٣: ٩ (ط. أحمد شاكر) بإسناد حسن، وابن أبي خيثمة: التأريخ الكبير ٥٠: ٧٧أ بمثل إسناد أحمد، وانظر البزار: كشف الأستار ٤: ٩١ رقم ٣٢٦٦ من طريق مطرف أيضاً، وابن أبي شيبة: المصنف ١١: ١١٥ عن الحسن البصري و ١٥: ٢٧٧، والطبري: تأريخ ٩: ٢١٨ ويعتضد الخبر إلى مرتبة الصحيح.

(٤) أحمد: المسند ٦: ٥٢، ٩٧ بإسناد صحيح، وقد جمعت بين المتنين والحاكم: المستدرك ٣: ١٢٠ وقال الألباني: إسناده صحيح جدا، صححه خمسة من كبار أئمة الحديث هم: ابن حبان، والحاكم، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١: ٧٦٧ رقم ٤٧٤).

وهذا النص يكشف عن أمور مهمة، منها ما هو من أعلام النبوة، حيث أخبر الرسول ﷺ بأمر غيبي فوقع كما أخبر، ومنها تردد عائشة رضي الله عنها في المضي إلى البصرة، ومنها أن المعارضين كانوا يرغبون في الإصلاح بين الناس مع تصميمهم على إنفاذ القصاص بقتلة عثمان. وقد دخلوا البصرة فانضم إليهم معظم سكانها، لكن البعض منهم اختاروا اعتزال الجميع، فقد حيَّرهم الأمر وهالهم الموقف، فلنستمع إلى أحدهم وهو الأحنف بن قيس التميمي من زعماء تميم وحكماء العرب - وقد طلب منه الزبير بن العوام الانضمام إليهم -: «فأتاني أفظع أمرٍ أتاني قط، فقلت: إن خذلاني هؤلاء، ومعهم أم المؤمنين، وحواري رسول الله ﷺ لشديد، وإن قتالي رجلاً ابن عم رسول الله ﷺ، وقد أمروني ببيعته لشديد»[1]. وهكذا اعتزل مع ستة آلاف من قومه الذين أطاعوه، وانخرط بقيتهم - وهم كثير - مع طلحة والزبير وعائشة[2].

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١١: ١١٨، والطبري: تأريخ ٤: ٤٩٧ - ٤٩٩، وابن حجر: فتح الباري ١٣: ٣٤ من طريق الطبري وقال: سند صحيح.
(٢) ابن سعد: الطبقات ٣: ١١٠ - ١١١.

الفصل الثالث

موقعة الجمل

موقعة الجمل

وصل المعارضون إلى البصرة، ففوجئ الناس بهم وارتاعوا وتعجبوا، قال كليب بن شهاب - شاهد عيان تابعي صدوق - : «لما قُتل عثمان رضي الله عنه أتانا الخبر ونحن راجعون من غزاتنا.. فانتهينا إلى البصرة، فلم نلبث إلا قليلا حتى قيل: هذا طلحة والزبير، معهما أم المؤمنين، فراع ذلك الناس وتعجبوا، فإذا هم يزعمون للناس أنهم إنما خرجوا غضباً لعثمان وتوبة مما صنعوا من خذلانه، وإن أم المؤمنين تقول: غضبنا لكم على عثمان في ثلاث: إمارة الفتى، وموقع الغمامة، وضربة السوط والعصا. فما أنصفنا إن لم نغضب له عليكم في ثلاث جررتموها إليه: حرمة الشهر، والبلد، والدم. فقال الناس: أفلم تبايعوا عليّاً، وتدخلوا في أمره؟ فقالوا: دخلنا والله - السيف - في أعناقنا»[1].

وقد غلب المعارضون على البصرة دون أن يتمكن عثمان بن حنيف واليها لعلي من مقاومتهم، لأن قبائل البصرة انضم معظمها إليهم، وقد ألقي القبض على الوالي، ثم أطلق سراحه ليلتحق بعلي.. واتجه المعارضون إلى بيت المال ودار الرزق، فاعترضهم حكيم بن جبلة العبدي أحد الثوار المشاركين في حصار الدار بالمدينة، ومعه سبع مئة من قومه، وجرت معركة قُتل فيها حكيم بن جبلة، وسبعون من قومه كانوا قد شاركوا في حصار دار عثمان رضي الله عنه بالمدينة[2].

وسيطر المعارضون بقيادة الزبير بن العوام على البصرة[3]، وقوي موقفهم باستيلائهم على بيت المال، وفيه الذهب والفضة[4].

---

(١) الطبري: تأريخ ٤: ٤٩٠ بإسناد حسن.
(٢) الطبري: تأريخ ٤: ٤٦٩ من مرسل الزهري بسند صحيح إليه.
(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ٢: ٣٩ ب بسند حسن.
(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٨٠ بإسناد صحيح.

أدرك علي رضي الله عنه خطورة الموقف، ومايمكن أن يجر إليه الخلاف من تمزيق الدولة الإسلامية، فعزم على إعادة المعارضين إلى الطاعة، واستنفر أهل المدينة للخروج معه، فاجتمع معه نحو سبع مئة رجل[١]، وتثاقل عنه عدد من كبار الصحابة منهم، سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر وأبو مسعود الأنصاري ومحمد بن مسلمة الأنصاري وعبدالله بن سلام وأسامة بن زيد وأهبان بن صيفيّ.. إذ رأوا أنها أحداث فتنة ينبغي عدم الخوض فيها. وقد اختص النبي ﷺ بعضهم بالتحذير من المشاركة في الفتن الداخلية، فاعتذروا لعلي بذلك.

وقد حاول عبدالله بن سلام أن يثني عليّاً عن عزمه على الخروج من المدينة إلى العراق «لا تأت العراق، وعليك بمنبر رسول الله ﷺ فالزمه.. فوالله لئن تركته لا تراه أبداً». فقال رجال من حول علي: دعنا فلنقتله. فأجابهم: إن عبدالله ابن سلام منا رجل صالح[٢].

وقد خرج علي من المدينة متجهاً إلى العراق، وقد عسكر في الربذة[٣]، حيث أضيف إلى جنده مئتا رجل[٤]، فبلغوا تسع مئة رجل.

وقد حاول الحسن بن علي ثني أبيه عن الذهاب إلى العراق وهو يبكي، لما أصاب المسلمين من الفرقة والاختلاف، لكن عليّاً رفض ذلك، وأصر على إعادة المعارضين له إلى الطاعة محتجّاً ببيعتهم له بالمدينة[٥].

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٢: ٤٥ ب بسند حسن.

(٢) ابن حجر: المطالب العالية (المسندة) ق ٦٣٠ - ٦٣١ نقلًا عن ابن إسحاق بن راهويه.

(٣) الربذة: قرية تقع شرق المدينة على بعد ٢٠٤ كيلومتر عنها، وعلى الإبل مسافة ثلاثة أيام ونصف اليوم للإبل السريعة (علي ثائب العمري: النبذة في ترجمة أبي ذر وتأريخ الربذة ص ٢٦٩).

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف ٢: ٤٥ ب.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٩٩ - ١٠٠ بإسناد حسن و ٢٧٤، والبخاري: التأريخ الكبير ١: ٦٧، والحاكم: المستدرك ٣: ١١٥، والذهبي: تأريخ الإسلام (الخلفاء الر اشدون) ٤٨٧.

وقد أرسل علي من الربذة رسولين لاستنفار الكوفيين، وهما محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن جعفر، فأخفقا في مهمتهما، لأن أبا موسى الأشعري والي الكوفة لعلي التزم موقف اعتزال الفتنة، وحذر الناس من المشاركة فيها[١]، فأرسل علي رسولاً ثالثا هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فأخفق في التأثير فيهم[٢]. فاتجه علي إلى ذي قار - قرب الكوفة - وعسكر بها[٣]، ومنها أرسل عبدالله بن عباس، وأتبعه ابنه الحسن وعمار بن ياسر لاستنفار الكوفيين، كما عزل أبا موسى الأشعري عن الكوفة وولى عليها قرظة بن كعب[٤].

ولم يتأثر عمار بن ياسر بملامة أبي موسى الأشعري وأبي مسعود الأنصاري له لتسرعه في الأمر، بل صعد يوم الجمعة إلى المنبر وخاطب الناس قائلا: «أما والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي»[٥].

وهكذا شهد لعائشة ﷺ بالجنة، وبصَّر الناس بأن هذا امتحان لهم من الله، ليعلم إن كانوا يتبعون عواطفهم، أم ينقادون للحق فيتبعون عليّاً، وهو الخليفة الشرعي الواجب الطاعة...

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ١٢ بإسناد حسن، و أبو داود: السنن (مع شرح الخطابي) ٤: ٤٥٧ بإسناد حسن، والترمذي: السنن - نسخة تحفة الأحوذي - ٦: ٤٤٦ حديث رقم ٢٣٠٠ وقال: حسن غريب. والألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤: ١٥٢٤ وقال: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات رجال البخاري.

(٢) الطبري: تأريخ ٤: ٤٧٧ وفيه محمد بن أبي ليلى سيء الحفظ، وابن حجر: فتح الباري ١٣: ٥٨.

(٣) الطبري: تأريخ ٤: ٤٥٢ بسند صحيح إلى الزهري مرسلاً.

(٤) البخاري: الصحيح (فتح الباري ١٣: ٥٣ و ١٣: ٥٨) نقلاً عن ابن أبي شيبة وصحح الحافظ سنده.

(٥) البخاري: الصحيح (فتح الباري ١٣: ٥٣ - ٥٤)، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٨٧، وخليفة: التأريخ ١٨٤، والطبراني: المعجم الأوسط ١: ٣٢٢، والذهبي: تأريخ الإسلام ٢: ١٤٩ (ط. القدسي)، وابن حجر: فتح الباري ١٣: ٥٨ - ٥٩.

وبعد هذا الاستنفار التحق ما بين الستة آلاف إلى السبعة آلاف رجل بجيش علي بذي قار، كما التحق به ألفان من أهل البصرة من عبدالقيس قبيلة حكيم بن جبلة، كما التحقت به قبائل أخرى، حتى بلغ جيشه نحو اثني عشر ألف رجل منهم ثمان مئة من الأنصار، وأربع مئة ممن شهد بيعة الرضوان[١].

عسكر علي بالزاوية أياماً، وطلب من الأحنف بن قيس أن يكف الناس عن الالتحاق بالزبير - وكان الأحنف ممن بايع عليّاً بالمدينة - ، وأن يفي بوعده لطلحة بأن يعتزل القتال[٢].

كانت المواجهة بين علي من ناحية والزبير وأصحابه من ناحية أخرى قرب قصر عبيد الله، وجرت محاولات لمنع القتال، قام بها المعتزلون للقتال «خرج كعب ابن سور ناشراً مصحفه، يُذكّر هؤلاء، ويذكّر هؤلاء، حتى أتاه سهم فقتله»[٣].

وكذلك فإن الصحابي عمران بن الحصين أرسل إلى بني عدي رسولاً ينصحهم باعتزال الفريقين: «إني لكم ناصح، ويحلف بالله لئن يكون عبداً حبشيّاً مجدعاً، يرعى أعنزاً في رأس جبل حتى يدركه الموت، أحب إليه من أن يرمي في أحد من الفريقين بسهم أخطأ أو أصاب فأمسكوا». فأجابوا رسوله: «دعنا منك أيها الغلام، فإنا والله لاندع ثقل رسول الله ﷺ لشيء أبداً»[٤].

وكان الناس يحددون موقفهم من الصراع بسؤال كبار الصحابة أحياناً، وقد تأتي الفتوى ضد مصلحة المفتي، فقد سأل مماليك بقبيلة ربيعة الزبير عن

---

(١) عبدالرزاق: المصنف ٥: ٤٥٦ - ٤٥٧، والطبري: تأريخ ٤: ٥٠٨ كلاهما بإسناد صحيح إلى الزهري. وخليفة بن خياط: التأريخ ١٨٤ من مرسل سعيد بن جبير، والبلا ذري: أنساب الأشراف ٢: ٤٥ ب بسند حسن وتعتضد الطرق.

(٢) الداني: الفتن ١٩٤ ب - ١٩٥أ، والطبري: تأريخ ٤: ٥٠٠ - ٥٠١.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٧: ٩٢ وصححه ابن حجر (فتح الباري ١٣: ٣٤).

(٤) ابن سعد: الطبقات ٤: ٢٨٧ - ٢٨٨ بإسناد حسن، والطبراني: المعجم الكبير ١٨: ١٠٥، والطبري: تأريخ ٤: ٥٢ وتعتضد هذه الطرق إلى الصحيح لغيره.

موقفهم: «مع من تكون العبيد؟ قال: مع مواليهم. قلنا: فإن موالينا مع علي. قال: فكأنما ألقمناه حجراً»[١].

وقبل نشوب القتال بثلاثة أيام نصبت خيمة بين المعسكرين، التقى فيها علي وطلحة والزبير في محاولة لإيجاد حل سلمي للموقف[٢]، كما أرسل علي عبدالله بن عباس إلى طلحة والزبير يسألهما: «هل أحدث مايوجد السخط على خلافته، كحيفٍ في حكم، أو استئثار بفيء؟ أو في كذا؟ فقال الزبير: ولا في واحدة منها»[٣].

وقد أخفق الطرفان في التوصل إلى حل خلال الأيام الثلاثة، وعرض رجل على الزبير أن يغتال عليّاً بعد التظاهر بالالتحاق به، فرفض الزبير ذاكراً حديث: «لايفتك مؤمن».

وفي اليوم الرابع حدث الالتحام بين الجيشين، وتؤكد رواية صحيحة أن جيش الزبير وطلحة هو الذي بدأ القتال، وأن عليّاً أصدر أمره بالقتال بعد صلاة الظهر، واستمر القتال ساعات «فما غربت الشمس وحول الجمل عين تطرف ممن كان يذب عنه»[٤]. ويتضح الموقف المأساوي أكثر فأكثر، فيشك الزبير وهو القائد الأول بشرعية الموقف، ويلاحظ عظم المصاب واختلاف الناس، فينصرف عن الميدان دون أن يقاتل[٥]، ولحق به عمير بن جرموز وآخران إلى سفوان فاغتالوه[٦]. وهكذا انتهت حياة القائد الأول، وتبعه القائد الثاني طلحة

(١) الداني: الفتن ١٦ ب وفي إسناده أبو كنانة شاهد عيان مجهول الحال (البخاري: التأريخ الكبير ٨: ٦٥).
(٢) أحمد: فضائل الصحابة ٢: ٥٩٦ بسند حسن، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٦٧.
(٣) المصدرين السابقين.
(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٨٦ - ٢٨٧ بإسناد صحيح (ابن حجر: فتح الباري ١٣: ٥٧).
(٥) الحاكم: المستدرك ٣: ٣٦٦ بإسناد حسن، وانظر الذهبي: تأريخ الإسلام (الخلفاء الراشدون) ٥٠٥.
(٦) ابن سعد: الطبقات ٣: ١١٠ بإسناد صحيح (ابن حجر: الإصابة ١: ٥٢٦)، وخليفة: التأريخ ١٨٦، وابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني ١: ١٦٠.

ابن عبيد الله فقد رماه مروان بن الحكم بسهم فقتله، فدفن على شط الكلأ[١]. وأثخنت الجراح عبدالله بن الزبير فأخذ من وسط القتلى، وبه بضع وأربعون طعنة وضربة[٢].

«وقد قتل بشر كثير حول عائشة يومئذ، سبعون كلهم قد جمع القرآن، ومن لم يجمع القرآن أكثر»[٣].

قال أبو رجاء عمران بن ملحان العطاردي - شاهد عيان - : «لقد رأيت الجمل يومئذ كأنه قنفذ من النبل، ورجل آخذ بالخطام وهو يقول:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل

ننازل الموت إذا الموت نزل

والموت أحلى عندنا من العسل

نبغي ابن عفان بأطراف الأسل [٤]

وكانت عائشة على جمل أحمر في هودج أحمر[٥]، وقد تكلمت في المربد لاعنةً قتلة عثمان، فلما سمع علي ذلك لعن قتلة عثمان[٦]. وكان مؤيدوها «يهتفون بقتلة عثمان» فلما نقل ذلك لعلي قال: «اللهم أحلل بقتلة عثمان خزياً»[٧].

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٣: ٢٢٣ بإسناد صحيح، وخليفة: التأريخ ١٨٦، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٥٩، والحاكم: المستدرك ٣: ٣٧٠.

(٢) ابن عساكر: تأريخ دمشق - ترجمة عبدالله بن الزبير - ص ٤٢٧ نقلاً عن يحيى بن معين بإسناد صحيح.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤: ٢٨٧ - ٢٨٨ بإسناد صحيح لغيره، وأبو نعامة توبع (الطبراني: المعجم الكبير ١٨: ١٠٥)، وروايته عن حميد بن هلال في صحيح مسلم (بشرح النووي) ٢: ٨ فلا يضر اختلاطه.

(٤) خليفة: التأريخ ١٩٠ بإسناد حسن.

(٥) الطبري: تأريخ ٤: ٥٣٢ - ٥٣٣ بإسناد فيه مقبول، فيحتاج إلى متابعة، لكن الرواية مما يتساهل فيه.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٦٨ بإسناد صحيح.

(٧) المصدر السابق ١٥: ٢٧٧ بإسناد صحيح.

وارتفعت أصوات الدعاء في المعسكرين.. يقول الحارث بن سويد الكوفي - شاهد عيان ثقة ثبت - : «لقد رأيتُنا يوم الجمل، وإن رماحنا ورماحهم لمتشاجرة، ولو شاءت الرجال لمشت عليه، يقولون: الله أكبر، سبحان الله، الله أكبر. وترتفع أصوات تؤكد سلامة موقف المقاتلين دينيّاً «ليس فيها شك» - أي لايشكون في شرعية قتالهم للطائفة الأخرى - و«ليتني لم أشهد» - موقف الندم للشعور بأنها فتنة والشك في شرعية القتال - و«ما سرني أني لم أشهد» - مؤكداً على وضوح الرؤية الشرعية في القتال إلى جانب علي - »[١]. ويتساقط القتلى من الجانبين «قتل يوم الجمل عشرون ألفاً»[٢] - والرقم لا يخلو من مبالغة، ولكنه يعبر عن عمق الشعور بمرارة الحادثة - ، «قتل ألفان وخمس مئة من الأزد، وثمان مئة من بني ضبة» - وبنو ضبة من تميم - والراويان من بني تميم أحدهما ثقة والآخر صدوق ناصبي[٣]، لكن رواية الطبري عن أحدهما تذكر «قتل علي يوم الجمل ألفين وخمس مئة، ألف وثلاث مئة وخمسون من الأزد، وثمان مئة من بني ضبة وثلاث مئة وخمسون من سائر الناس»[٤].

وهكذا فقد جيش المعارضين قادته.. واشتد القتال حول جمل عائشة ﵂، فأمر عبدالله بن بديل بعقر الجمل لينتهي القتال، ثم نزل مع أخيها محمد بن أبي بكر الصديق فاحتملا الهودج، حتى وضعاه بين يدي علي، فأمر به فأدخل في منزل - خباء - عبدالله بن بديل[٥].

---

(١) خليفة: التأريخ ١٩٨ بإسناد صحيح.
(٢) خليفة: التأريخ ١٨٦ بإسنادين ضعيفين: أحدهما فيه انقطاع، والآخر فيه مجاهيل.
(٣) خليفة: التأريخ ١٨٦ مرسلا، والطبري: تأريخ ٤: ٥٤٥ بإسناد حسن.
(٤) البلاذري: أنساب الأشراف ٢: ق ١٤٥، والطبري: تأريخ ٤: ٥٤٥.
(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٨٤ - ٢٨٥ بإسناد صحيح (ابن حجر: فتح الباري ١٣: ٥٧).

«فلم ينشب أهل البصرة أن انهزموا، فصرخ صارخ لعلي: لا يقتل مُدبر، ولا يدفف على جريح، ومن أغلق باب داره فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن»[١].

أدرك الطرفان خسارتهم، وحلت مراجعة النفس محل الغضب، وفتت الندم قلوبهم.. وذابت نفوسهم حسرة على ماحدث، حيث التقى المسلمان بسيفيهما في فتنة داخلية اتضحت معالمها، ولم يتمكنوا من تجنبها، فمضوا لا يغالبون أقدارهم حتى انجلت عن صرعى من خيرة المسلمين من الطرفين، دون إنجاز لصالح دنياهم أو دينهم... بل إن الألم والندم تملكا القادة خلال القتال، قال الحسن ابن علي يصور الحالة النفسية لعلي رضي الله عنه: «لقد رأيته حين اشتد القتال يلوذُ بي، ويقول: يا حسن لوددتُ أني مت قبل هذا بعشرين حجة - أو سنة»[٢].

ولما رأى علي محمد بن طلحة بن عبيد الله قتيلا قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شابّاً صالحاً» ثم قعد كئيباً حزيناً[٣].

وقد زاره عمران بن طلحة بن عبيد الله بعد سنين، فرحب به علي قائلاً: «إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[٤]. وأعاد إليه أراضيه قائلا: «أما إنا لم نقبض أرضكم هذه السنين ونحن نريد أن

(١) سعيد بن منصور: السنن ٢: ٣٣٧ - ٣٣٨ بإسناد حسن، وأحمد: المسند ١: ١٠٢، وابن أبي عاصم: السنة ٢: ٦١٠، و أحمد: فضائل الصحابة ٢: ٧٣٧، والطبراني: المعجم الكبير ١: ٨٣، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٦٧.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٨٨ بإسناد صحيح، وعبدالله بن أحمد: السنة ٢: ٥٦٦، ونعيم ابن حماد: الفتن ١: ق ١٩ ب، والطبراني: المعجم الكبير ١: ٧٢ حديث رقم ٢٠٣.

(٣) الحاكم: المستدرك ٣: ١٠٣ - ١٠٤، ٣٧٥ بإسناد حسن لغيره، ونعيم بن حماد: الفتن ١: ١٨١ بإسناد صحيح.

(٤) الحجر ٤٧.

نأخذها، إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس»[١]. وكثيراً ما ردَّد هذه الآية وأظهر محبته لطلحة والزبير برغم اختلافهما معه[٢].

وأما الابن الثالث لطلحة فقد بايع عليّاً بعد الجمل مباشرة، ورجع إلى أهله وماله، واطمأن المعارضون فدخلوا إلى علي وبايعوه[٣]. وهكذا كان علي بارّاً بأخيه الذي خاصمه وقاتله متأولاً.

وأما نظرته للزبير بن العوام فقد عقب على مقتله بقوله: «بشِّر قاتل ابن صفية بالنار»[٤].

ولم تكن الحسرة على ماحدث تختص بعلي رضي الله عنه، فهذه عائشة رضي الله عنها تقول: «وددت أني كنت غصناً رطباً ولم أسر مسيري هذا»[٥]. وتقول: «وددت أني كنت قد ثكلت عشرة مثل الحارث بن هشام، وأني لم أسر مسيري مع ابن الزبير»[٦]، وتقول: إنه كان قدراً[٧]. وكانت تترحم على قتلى الطرفين إذا ذُكروا، وقد ترحمت على طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وزيد بن صوحان، والأخير كان في صف علي، فقال خالد بن الواشمة: يرحمك الله تترحمين عليهم وقد قتل

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣: ٢٢٤، والبلاذري: أنساب الأشراف ١٣: ق ٨٥ ب - ٨٦ أ، والطبري: تفسير ١٤: ٣٧، والحاكم: المستدرك ٣: ٣٧٦ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أحمد: فضائل الصحابة ٢: ٦١٨ بإسناد صحيح.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٧٦، وأبو العرب: المحن ٣٥٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات ٣: ١٠٥، والطيالسي: المسند ٢٤، و أحمد: المسند ١: ١٠٢، وفضائل الصحابة ٢: ٧٣٧، وابن أبي عاصم: السنة ٢: ٧٣٧ بإسناد حسن مداره على أبي عاصم ابن بهدلة صدوق له أوهام.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٨١ بإسناد صحيح.

(٦) الحاكم: المستدرك ٣: ١١٩ بإسناد حسن، والهيثمي: مجمع الزوائد ٧: ٢٣٨ وفي سنده أبو معشر نجيح ضعيف.

(٧) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٨١، والبلاذري: أنساب الأشراف ٢: ١٤٦ وإسناده حسن، لأن رواية أحمد بن يونس عن أبي بكر بن عياش في صحيح البخاري (فتح الباري ١٣: ٤٧٣).

بعضهم بعضاً، والله لا يجمعهم الله في الجنة أبداً !! قالت: أو لا تدري أن رحمة الله واسعة، وهو على كل شيء قدير. فقال خالد: فكانت أفضل مني[١].

ولا تقدم الفتن حتى غنائم الحرب، قسم علي يوم الجمل في العسكر ما أجلب عليه المعارضون من سلاح أو كراع[٢]، ودفع لكل مقاتل خمس مئة درهم[٣] وليس ثمة شيء آخر.. إذ «إن عليّاً لم يسبِ يوم الجمل ولم يُخمِّس، قالوا: يا أمير المؤمنين ألا تُخمِّس أموالهم؟ فقال: هذه عائشة تستأمرونها!! قالوا: ما هو إلا هذا ما هو إلا هذا»[٤].

وتعتضد روايات عدة لبيان رأي علي في حكم الشرع فيما حدث من فتنة وقتال: «سئل علي رضي الله عنه عن أهل الجمل فقال: إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم، وقد فاءوا وقد قبلنا منهم»[٥].

وكانت أحكام البغاة التفصيلية بحاجة إلى تجلية، وقد جلاها علي بعقليته الفقهية العميقة، وروحه المتشبعة بفهم مقاصد الإسلام وأهدافه العليا. «قال عمار لعلي يوم الجمل: ما ترى في سبي الذرية؟ فقال: إنما قاتلنا من قاتلنا - أيِ أنه استجاز القتال دفاعاً عن النفس، لأن خصومه شرعوا في قتاله - قال عمار: لو قلت غير هذا لخالفناك»[٦].

---

(١) البيهقي: السنن الكبرى ٨: ١٧٤ بإسناد حسن وساق له طرقًا أخرى.
(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٦٣ بإسناد ضعيف، ٢٨١ بإسناد حسن.
(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٦٣ بإسناد حسن.
(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٥٧ بإسناد صحيح، والبيهقي: السنن الكبرى ٨: ١٨٢.
(٥) البيهقي: السنن الكبرى ٨: ١٨٢ بسند فيه العطاردي ضعيف في غير سماعه لسيرة ابن إسحاق، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٥٦ - ٢٥٧ مرسل أبي البختري و ١٥: ٢٥٨، ٢٧٧ مرسل محمد الباقر.
(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٦٩ - ٢٧٠ بإسناد حسن، والبيهقي: السنن الكبرى ٨: ١٨١ - ١٨٢.

ويحكي الحافظ الزهري إجماع الصحابة على حصانة أموال وأعراض الخارجين على الحاكم بتأويل.. «أما بعد، فإن الفتنة الأولى ثارت وأصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدراً كثير. فاجتمع رأيهم على أن لا يقيموا على أحد حدّا في فرج استحلوه بتأويل القرآن، ولا قصاص في قتل أصابوه على تأويل القرآن، ولايُرد ما أصابوه على تأويل القرآن، إلا أن يوجد بعينه فيرد على صاحبه» [١].

وتتضافر روايات تؤكد أن النبي ﷺ أخبر عليّاً بما سيكون بينه وبين عائشة، وأوصاه بها خيراً، فكانت أحداث الفتنة من أعلام النبوة التي تحققت في جيل الصحابة رضوان الله عليهم[٢].

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٠: ١٢٠ - ١٢١ بإسناد صحيح إلى الزهري.

(٢) الهيثمي: كشف الأستار ٤: ٩٣ - ٩٤ نقلاً عن البزار، و أحمد: المسند ٦: ٣٩٣ من زوائد ابنه عبدالله، والطبراني: المعجم الكبير ١: ٣١٤ رقم ٩٩٥ ومداره على الفضيل بن سليمان وهو صدوق له خطأ كثير (التقريب ٢٩١٢) ولكن ابن حجر حسَّن سند عبدالله والبزار (فتح الباري ١٣: ٥٥) وله شاهد حسنه ابن عساكر (مناقب أمهات المؤمنين ٧١ رقم ١١).

الفصل الرابع

معركة صفين

معركة صفين

لم يمكث علي بعد موقعة الجمل بالبصرة طويلاً، فما إن أعطى أهلها بيعتهم واستقام له الأمر فيها، حتى اتجه بجيشه نحو الكوفة، حيث يلقى تأييداً قويّاً من أهلها في مواجهة معاوية بن أبي سفيان بالشام، الذي أصر على معاقبة قتلة عثمان قبل إعطاء البيعة لعلي، ويتضح موقفه وهو يحاور القراء من رجاله، مما توضحه الرواية الآتية: «جاء أبو مسلم الخولاني وناس معه إلى معاوية، فقالوا له: أنت تنازع عليّاً أم أنت مثله؟ فقال معاوية: لا والله إني لأعلم أن عليّاً أفضل مني، وإنه لأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، وإنما أطلب بدم عثمان، فأتوه فقولوا له فليدفع إليَّ قتلة عثمان وأسلِّمُ له[1]، فأتوا عليّاً فكلموه بذلك، فلم يدفعهم إليه»[2]. وكان معاوية يؤكد على هذا المعنى «ما قاتلت عليّاً إلا في أمر عثمان»[3].

وقد رأى معاوية أنه ولي دم عثمان، لأنه صار رأس بني أمية مكانةً، والأحاديث النبوية تدل على أن عثمان يُقتل مظلوماً، بل تذكر أن النبي ﷺ أوصاه بأن لايخلع نفسه من الخلافة، ووصف الثائرين عليه بالمنافقين[4]. وشهد الصحابي كعب بن مرة البهزي أمام معسكر معاوية أن النبي ﷺ قال عن عثمان ابن عفان: «لتخرجن فتنة من تحت قدمي هذا - أو من بين رجلي هذا - ، هذا

---

(١) يعني أنه يبايعه بالخلافة.

(٢) ابن عساكر: تأريخ دمشق ١٦: ق ٣٥٦ ب، والذهبي: سير أعلام النبلاء٣: ١٤٠، وابن حجر: (فتح الباري ١٣: ٨٦ وحسَّن ابن حجر إسناد يحيى بن سليمان الجعفي - أحد شيوخ البخاري - في كتاب صفين، والكتاب مفقود شأن العديد من المصنفات عن صفين مثل كتاب صفين لعبدالله بن أحمد بن حنبل، وكتاب صفين لابن ديزيل (أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين ابن ديزيل وثقه الذهبي في تذكرة الحفاظ ٢: ٦٠٨).

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ١١: ٩٢ بإسناد حسن.

(٤)أحمد: المسند ٦: ٧٥، ٨٦ - ٨٧، ١٤٩، والترمذي: السنن تحفة الأحوذي ١٠: ٢٠٠، وابن ماجة: السنن ١: ٤١، ١١٢، ١١٣. وصححه الألباني (صحيح ابن ماجة ١: ٢٥).

ومـن اتبعه يومئذ عـلى الهـدى»، وإذا كان المدافعون عن عثـمان كانوا على الهدى خلافـاً للثائريـن عليـه الذين سـيكونون أصحاب ضلالـة، فإن الموقـف في نظر معسـكر معاوية ينسـحب عليهم ليصبحوا أصحاب الهـدى، ويصبح خصمهم على ضلالة، وهكذا استحلوا القتال متأولين، ولم يتبين خطأهم إلا فيما بعد مقتل عمار بن ياسر في صفين، ومقتل المخدَّج في النهروان.. فالذين استندوا إلى نصوص شرعيـة في تحديد مواقفهم كانوا يواجهون تحديات التفسـير والتأويل للنصوص، وكانت أحداث الفتن تؤثر في نضوج الرأي الشرعي، وتمنع استنارة البصيرة.

وقد وقف عدد من فقهاء الصحابة خارج الصراع، مثل سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة الأنصاري وعبد الله بن عمر وآخرين رضي الله عنهم جميعاً.

وجهـز عـلي رضي الله عنه جيشـاً كبـيراً قدّرتـه الروايـات مابين خمسـين ألفـاً ومئة وخمسـين ألفـاً[1]، في حـين قـدرت جيش معاوية بسـتين ألفـاً أو سـبعين ألفاً أو مئـة وعشرين ألفـاً[2]، وإذا كان ديـوان الجند في أول خلافة عـلي يضم مئة ألف مقاتل من البصريين والكوفيين[3]، فإن جيش علي ينبغي أن يبلغ أكثر من خمسين ألف مقاتل، ولكن الإخباريين يشـيرون إلى تخلف أزد البصرة[4]، كما أن الأشتر ضعف حماسه للقتال، بل ثبط قومه عندما نصحهم بالتبصر في الأمر، قال عمير

(١) خليفة: التأريخ ١٩٣ بسند حسن.

(٢) قـدرت الروايات الضعيفة عدد الجيش بسـبعين ألفاً، وتسـعين ألفاً، ومئـة ألف، ومئة وعشرة آلاف، ومئـة وعشريـن ألفـاً، ومئة وخمسـين ألفاً (الذهبي: دول الإسـلام ١: ٢٨ دون سـند، وخليفـة: التأريخ ١٩٣ بسـند فيه مجاهيل، وابن كثير: البداية والنهايـة ٧: ٢٦٠، وابن دحية: أعلام النصر ق ١٤ دون سـند، ويعقوب بن سـفيان: المعرفة والتأريخ ٣: ١١٣ بسند منقطع، وابـن كثـير: البدايـة والنهايـة ٧: ٢٦٠ وراجع عن دراسـة الروايات عبدالحميـد علي ناصر: خلافة علي، الملحق رقم ١٧٢).

(٣) صالح العلي: امتداد العرب في صدر الإسلام ٢٥، ٢٦.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف ٢: ق ٥١ أ عن أبي مخنف وغيره، و أبو مخنف أزدي متعاطف بقوة مع علي، فلا يمكن أن يتعمد التقليل من مشاركة قبيلته في صفين دون حق.

ابن سعيد النخعي الكوفي (ت ١٠٧ هـ): «لما رجع علي من الجمل وتهيأ لصفين، اجتمعت النخع حتى دخلوا على الأشتر، فقال: هل في البيت إلا نخعي؟ فقالوا: لا. فقال: إن هذه الأمة عمدت إلى خيرها فقتلته، وسرنا إلى أهل البصرة، قوم لنا عليهم بيعة، فنُصرنا عليهم بنكثهم، وإنكم تسيرون غداً إلى أهل الشام، قوم ليس لكم عليهم بيعة، فلينظر كل امرئ منكم أين يضع سيفه»[١]. وهذه النصيحة المثقلة بالورع تدل على غضب الأشتر لعدم حصوله على ما كان يتوقعه من إمارة البصرة التي تولاها ابن عباس[٢]، ولا تعبر عن تغير دائم في موقفه من مواجهة معاوية والشاميين، فقد كان من مثيري الفتنة ضد عثمان. وإنما يطالب معاوية برأسه ورؤوس أمثاله من الذين تمالؤوا على قتل عثمان.

وبالمقابل فقد اشترك الأحنف بن قيس التميمي وعشيرته في جيش علي، وكان معتزلاً لحرب الجمل بإذن من علي رضي الله عنه[٣].

وقد تجمع جيش علي بالنخيلة غرب الكوفة، وقد ضم عدداً من الصحابة البدريين وأصحاب بيعة الرضوان[٤]، ويذكر الإخباري عوانة بن الحكم أن علياً بعث من النخيلة اثني عشر ألف مقاتل باتجاه الموصل، ثم اجتاز إلى المدائن فأرسل منها ثلاثة آلاف مقاتل[٥]، ثم مضى علي بجيشه من المدائن إلى محاذاة الموصل نينوى[٦]، ثم عبر الفرات قرب الرقة، حيث نزل على صفين، وكانت

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١١: ١١٢ و ١٥: ٢٦٥، والحاكم: المستدرك ٣: ١٠٧ بسند حسن.
(٢) الطبري: تأريخ ٤: ٤٩٠ بسند حسن.
(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ٢: ق ٥١ أ عن أبي مخنف وغيره.
(٤) بالغ ابن دحية في تقدير أعدادهم حتى ذكر أنهم سبع مئة من أصحاب الشجرة، وذلك لبيان أن الحق مع علي، ولكن ترجيح موقف علي واضح لا يحتاج إلى هذه المبالغات (عبدالحميد علي ناصر: خلافة علي ١٨٨ - ١٨٩).
(٥) الطبري: تأريخ ٤: ٥٦٥ بإسناد منقطع.
(٦) أحمد: المسند ١: ٨٥، و أبو يعلى الموصلي: المسند ١: ٢٩٨.

مدن الجزيرة مثل الرقة وقرقيسياء وعانات وهيت موالية لمعاوية، ومعظمهم من بني الأرقم، وهو حي عظيم من كندة، وقد شهدوا صفين مع معاوية[١].

وكان الجيش الشامي قد عسكر في صفين واستولى على المياه، ومنع جيش العراق منها، فقام الأشعث بن قيس - بأمر علي - بتخليص المياه من أيدي الشاميين[٢] وكان ذلك في بداية شهر ذي الحجة سنة ٣٦ هـ، ثم استمر القتال بشكل كتائب محدودة العدد طيلة الشهر والأسبوع الأول من محرم ٣٧ هـ دون أن يلتحم الجيشان، وكان الأمل في الصلح يحدو الجميع، ويرى الإخباريون أن عدد الوقعات بين الطرفين تزيد على السبعين[٣].

ثم في يوم الأربعاء اللاحق بدأ الالتحام بين الجيشين، وكان قادة جيش علي رضي الله عنه هم: علي بن أبي طالب، وعبدالله بن عباس، وعمار بن ياسر، ومحمد ابن الحنفية، وهاشم بن عتبة، والمرقال، والأشعث بن قيس. أما قادة جيش معاوية رضي الله عنه فهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وذو الكلاع الحميري، وحبيب بن مسلمة الفهري، والمخارق بن الصباح الكلاعي[٤]، وعبدالله بن عمرو بن العاص[٥].

وقد وصف أبو العالية الرياحي - شاهد عيان ثقة (ت ٩٠ هـ) - المعركة بقوله: «لما كان زمن علي عليه السلام ومعاوية، وإني لشاب القتال أحب إليَّ من الطعام

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق عبدالعزيز السلومي (أطروحة دكتوراه بجامعة أم القرى، وهي قطعة ساقطة من المطبوع) ٢: ٦٣٨ - ٦٤٠ دون سند. والبلاذري: أنساب الأشراف ق ٥١ أ، وابن حجر: الإصابة ١: ٢٥٩ - ٢٦٠، وصالح العلي: امتداد العرب في صدر الإسلام ٩٨ - ٩٩، وعبدالحميد علي ناصر: خلافة علي ١٨٩ - ١٩٠.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٩٤، وخليفة: التأريخ ١٩٣ بسند حسن.

(٣) ابن حجر: فتح الباري ٣: ٨٦ نقلاً عن تأريخ ابن أبي خيثمة، وأما المصدر المتقدم في ذكر الخبر فهو نصر بن مزاحم(صفين ٢٠٢).

(٤) خليفة: التأريخ ١٩٣ بسند حسن إلى شاهد عيان.

(٥) ابن سعد: الطبقات ٤: ٢٦٦ بسند صحيح.

الطيب، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم، فإذا صفان لا يُرى طرفاهما، إذا كبّر هؤلاء كبّر هؤلاء، وإذا هلّل هؤلاء هلّل هؤلاء. قال: فراجعتُ نفسي، فقلت: أي الفريقين أنزلُهُ كافراً، وأي الفريقين أنزله مؤمنا؟ فما أمسيتُ حتى رجعت وتركتهم»[١].

ولم ينفرد أبو العالية الرياحي بالتردد والشك ثم التوقف عن القتال، فهذا عبدالله بن عمرو بن العاص يُصرح بحقيقة مشاعره، وهو يقف إلى جوار أبيه بيده الراية، ويتقدم في الجيش الشامي منزلة أو منزلتين: «مالي ولصفين!! مالي وقتال المسلمين !! لوددتُ أني متُّ قبله بعشر سنين أما والله على ذلك ما ضربتُ بسيف، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم»[٢]. وعبدالله بن عمرو بن العاص عالم محدث، وتعتوره الشكوك - في صحة موقفه من الفتنة دون أن يحسم الأمر مع نفسه أولاً ثم في الميدان، فقد أرغمه أبوه على الاشتراك مع الجيش الشامي، مذكراً إياه بحديث: «أطع أباك مادام حيّاً» فاشترط أن يقف معهم ولا يقاتل[٣]، فهل نسي أن الطاعة بالمعروف؟[٤]... يالله كيف كانت حالة عامة الجند الإسلامي!! قاتل الله الفتن، تدع الحليم حيراناً.

لم يكن الطرفان يكفران بعضهما، لكن بعض الجند المتحمس في جيش علي رضي الله عنه كان يلعن ويكفر الشاميين، فلا يلقى من قادته إلا النهر والتوضيح، «قال رجل يوم صفين: اللهم العن أهل الشام. فقال علي رضي الله عنه: لا تسب أهل الشام جمعاً غفيراً، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال»[٥].

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٧: ١١٤ بإسناد فيه يحيى بن خليف السعدي، حديثه عن الثوري منكر وليس هذا عنه (ابن عدي: الكامل ٧: ٢٧٠٠ - ٢٧٠١).
(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤: ٢٦٦ - ٢٦٧ بإسناد صحيح.
(٣) أحمد: المسند - بتحقيق أحمد شاكر - ١١: ١٣٨ - ١٣٩ بسند صحيح.
(٤) مسلم: الصحيح - بشرح النووي - ١٢: ٢٢٧.
(٥) عبدالرزاق: المصنف ١١: ٢٤٩ بإسناد صحيح.

وقال زياد بن الحارث الصدائي - صحابي شاهد عيان - : «كنت إلى جنب عمار بن ياسر بصفين، وركبتي تمسُ ركبته. فقال رجل: كفر أهل الشام. فقال عمار: لا تقولوا ذلك، نبينا ونبيهم واحد، وقبلتنا وقبلتهم واحدة، ولكنهم قوم مفتونون جاروا عن الحق، فحقَّ علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا إليه»[١].

ولم تكن بين الجيشين أحقاد، بل كان كل طرف ينافح عما يعتقده حقّاً، فلا غرابة إذا قال شاهد عيان هو عبدالرحمن السلمي: «شهدنا صفين مع علي... فكنا إذا توادعنا[٢] دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في عسكر هؤلاء»[٣]. ولاغرابة إذا ما صرح عبدالله بن عمرو بن العاص أمام معاوية، ورجلان يختصمان في قتل عمار بن ياسر، كل واحد يزعم أنه قتله: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية» ويستغرب معاوية من هذا التصريح، فيقول: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: أطع أباك مادام حيّاً ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل»[٤].

وهكذا تتجلى الصراحة في الحق وتتخطى المعوقات من المجاملات والمواربات. فقد كان الحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو بن العاص من أقوى الحجج على أن الحق مع علي، وأن معاوية بغى عليه لكن معاوية تأول الحديث: «لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال: قُتل عمار، وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية. فقام عمرو يرجِّع فزعاً حتى دخل على معاوية. فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قُتل عمار. فقال

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٩٠ وله شواهد في المصنف ١٥: ٢٩٠ أيضاً، وابن عساكر: تأريخ دمشق (تحقيق المنجد) ١: ٣٣٢، ٣٣٣ ويعتضد بشواهده إلى الحسن لغيره.

(٢) الموادعة بين الجيشين تقتضي وقف القتال لمدة محدودة لدفن القتلى أو لسبب يقتنع به الطرفان.

(٣) الهيثمي: مجمع الزوائد ٧: ٢٤٠ - ٢٤١ وقال: رواه الطبراني و أحمد باختصار، و أبو يعلى بنحو الطبراني، ورجال أحمد و أبي يعلى ثقات.

(٤) أحمد: المسند ١١: ١٣٨ - ١٣٩ وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

له معاوية: قُتل عمار فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية. فقال له معاوية: دحضت في قولك أنحن قتلناه؟ إنما قتله عليٌّ وأصحابه، جاءوا به حتى ألقوه تحت رماحنا»[١].

وقد أنقذ معاوية بتأويله للنص معنويات الجند الشامي، كما أنقذ معنويات قائده عمرو بن العاص الذي تبنى هذا التأويل بعد أن كان قد تملكته الرهبة، بل مضى يتأول حديثاً آخر كان يرويه: «إن قاتله وسالبه في النار. فقيل له: هو ذا أنت تقاتله؟ فقال: إنما قال قاتله وسالبه»[٢]. أي إن النص مخصص بالقاتل الفعلي وحده.

وإذا نفع التأويل في إقناع الشاميين، فإن مقتل عمار أذكى حماسة العراقيين فقد بان لهم بمقتله أن عليّاً محق، وأن معاوية باغ، وما في ذلك من دلائل النبوة[٣]. ويبدو أن النصر لاح لهم بعد قتال شديد دام ثلاثة أيام بلياليها[٤]. وقد التزم كل من الطرفين بأحكام قتال البغاة، قال أبو أمامة – وهو صحابي شاهد عيان – : «شهدت صفين، فكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يطلبون مولياً ولا يسلبون قتيلاً»[٥].

وقال أبو فاختة (ت ٩٠ هـ) – شاهد عيان ثقة – : «حدثني جار لي قال: أتيت عليّاً بأسير يوم صفين، فقال لي: أرسله، لا أقتله صبراً، إني أخاف الله رب العالمين، أفيك خير؟ بايع. وقال للذي جاء به: لك سلبه»[٦].

---

(١) عبدالرزاق: المصنف ١١: ٢٤٠ بإسناد صحيح. وحديث: «تقتله الفئة الباغية» متواتر (السيوطي: الخصائص الكبرى، ط. الهراس ٢: ٤٩٦، وانظر الحديث في صحيح البخاري – فتح الباري ١: ٥٤ و ٦: ٣٠ – وصحيح مسلم ٤: ٢٢٣٥ – ٢٢٣٦)، وراجع حول تواتر الحديث عبدالحميد علي ناصر: خلافة علي ٢١٢ – ٢١٩. وقد اشتهر بعد مقتل عمار بن ياسر.

(٢) أحمد: المسند (الفتح الرباني) ٢٣: ١٤٣ بسند صحيح. وابن سعد: الطبقات الكبرى ٣: ٢٦٠ (بسند صحيح).

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٧: ٢٦٧.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٧: ٢٧٢ – ٢٧٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات ٧: ٤١١، والحاكم: المستدرك ٢: ١٥٥ وصححه الألباني (إرواء الغليل ٨: ١١٤).

(٦) عبدالرزاق: المصنف ١٠: ١٢٤ بإسناد صحيح، وسعيد بن منصور: السنن ٢: ٣٣٩

وقدَّر محمد بن سيرين (تابعي كبير ت ١١٠ هـ) عدد القتلى في صفين «بسبعين ألفا، فما قدروا على عدهم إلا بالقصب، وضعوا على كل إنسان قصبة، ثم عدُّوا القصب»[١].

وكذلك قدرهم شاهد عيان هو عبدالرحمن بن أبزى «افترقوا على سبعين ألف قتيل، خمسة وأربعين ألفا من أهل الشام، وخمسة وعشرين ألفاً من أهل العراق، ويقال على ستين ألفاً»[٢].

وسئل علي رضي الله عنه عن قتلى يوم صفين، فقال: «قتلانا وقتلاهم في الجنة، ويصير الأمر إليَّ وإلى معاوية»[٣]. أي أنه يرى نفسه ومعاوية مسؤولين عما حدث، وهما يحاسبان على ذلك[٤].

ويصف شاهد عيان هو الصحابي سالم بن عبيد الأشجعي موقف علي رضي الله عنه فيقول: «رأيت عليّاً بعد صفين، وهو آخذ بيدي، ونحن نمشي في القتلى، فجعل عليٌّ يستغفر لهم حتى بلغ أهل الشام، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إنا في أصحاب معاوية !؟ فقال علي: إنما الحساب علي وعلى معاوية»[٥].

وقد طحنت المعركة ألوفاً من الجانبين، وكلَّ الباقون من القتال، وهنا تفتق ذهن عمرو بن العاص عن فكرة التحكيم، التي أنقذت الجيش الشامي من

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٩٥ بإسناد حسن لكنه من مرسل ابن سيرين. وخليفة: التأريخ ١٩٤ مختصرًا.

(٢) خليفة: التأريخ ١٩٤ بإسناد ضعيف بسبب تدليس يزيد بن عبدالرحمن، وضعف عبدالله بن عبدالرحمن بن أبزى فهو مقبول، ويحتاج إلى متابع. ولبعض الرواية شاهد عند خليفة: التأريخ ١٩٤ وهو تقديرهم بسبعين ألفًا.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣٠٣ بإسناد حسن، والطبراني: المعجم الكبير ١٩: ٣٠٧، وسعيد ابن منصور: السنن ٢: ٣٤٤ - ٣٤٥ من طريق آخر فهو شاهد له.

(٤) ابن عساكر: تأريخ دمشق نقلاً عن كتاب صفين لابن ديزيل، وإسناد ابن ديزيل حسن، وابن العديم: بنية الطلب في تأريخ حلب ١: ق وفي المطبوع (١/ ٧٥).

(٥) المصادر السابقة.

الهزيمة، فأرسل معاوية رجلاً يحمل المصحف إلى عليٍّ ويقول له: بيننا وبينكم كتاب الله، فقال علي: أنا أولى بذلك بيننا كتاب الله. ويبدو أن معظم الجند العراقي جنحوا إلى التحكيم، لكن كثيراً من القراء أنكروا عليه قبوله بالتحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله. فقال علي: كلمة حق أريد بها باطل[١].

وقد انشق المحتجون من القراء واعتزلوا جيش علي، محتجين بأنه محا اسمه من إمرة المؤمنين[٢]. وقد مثل أبو موسى الأشعرى عليّاً، ومثل عمرو ابن العاص معاوية في اجتماع الحكمين بدومة الجندل، وحضر الاجتماع جمع من الصحابة، فيهم عبدالله بن عمر، وحاول عمرو بن العاص استمالته إلى صف معاوية، قائلا: «إنا قد رأينا أن نبايعك، فهل لك أن نعطيك مالاً وتدعها لمن هو أحرص عليها منك؟ فوثب ابن عمر مغضباً، فاخذ ابن الزبير بثوبه فجلس، وقال: ويحك يا عمرو!! بعت آخرتك بدنياك، إني والله لا أعطي عليها مالاً، ولا أقبل عليها مالاً، ولا أقبلها إلا عن رضى جميع الناس[٣]. فقال عمرو: إنما قلت أجربك»[٤]. وكان ابن عمر قد صرح مراراً أنه لا يقبل الخلافة إلا عن إجماع المسلمين[٥]، ومعنى ذلك عمليّاً أنه لا يريد أن يتولاها.

وقد اختبره عمرو بن العاص مرة، فقال له: «يا أبا عبدالرحمن، ما يمنعك أن تخرج فنبايعك، وأنت صاحب رسول الله ﷺ، وابن أمير المؤمنين، وأنت أحق الناس بهذا الأمر؟ فأجابه ابن عمر: لو لم يبق إلا ثلاثة أعلاج بهجر لم يكن لي فيها حاجة». وهنا يعرض عليه عمرو بن العاص البيعة لمعاوية: «هل لك أن

(١) ابن حجر: فتح الباري ٨: ٥٨٧.
(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٢: ق ٦٠ أ بإسناد حسن، و أبو نعيم: حلية الأولياء ١: ٢٩٣ - ٢٩٤ بإسناد صحيح، والذهبي: سير أعلام النبلاء٣: ٢٢٦ - ٢٢٧.
(٣) المصادر السابقة.
(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء١: ٢٩٣ - ٢٩٤ بإسناد صحيح.
(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤: ١٥١ بإسناد حسن.

تبايع لمن قد كاد الناس أن يجتمعوا عليه، ويكتب لك من الأرضين والأموال ما لا تحتاج أنت ولا ولدك إلى ما بعده؟ فقال ابن عمر: ويحك، إن ديني ليس بديناركم ولا درهمكم، وإني أرجو أن أخرج من الدنيا ويدي بيضاء نقية»[١].

وبرغم اعتزال ابن عمر الفتنة، إلا أنه كان يصرح بأن الحق مع عليٍّ، فيقول: «ما آسى على شيء، كما آسى أني لم أقاتل مع علي رضي الله عنه»[٢].

أما الشخصية الأخرى التي عُجم عودها في أحداث التحكيم، فهو الصحابي أبو موسى الأشعري، يقول شاهد عيان هو مسروق بن الأجدع (ت ٦٢ هـ): «كنتُ مع أبي موسى أيام الحكمين، وفسطاطي إلى جانب فسطاطه، فأصبح الناس ذات يوم قد لحقوا بمعاوية من الليل، فلما أصبح أبو موسى رفع رفرف فسطاطه، فقال: يا مسروق بن الأجدع • قلت: لبيك أبا موسى. قال: إن الإمرة ما اؤتمر فيها، وإن الملك ما غُلب عليه بالسيف»[٣].

وقد حاول معاوية استمالة أبي موسى – في ظروف التحكيم أو عقبها – إلى جانبه دون جدوى، قال أبو موسى الأشعري: «كتب إليَّ معاوية: سلام عليك، أما بعد، فإن عمرو بن العاص قد بايعني على الذي قد بايعني عليه، وأقسم بالله لئن بايعتني على ما بايعني عليه لأبعثن ابنيك: أحدهما على البصرة، والآخر على الكوفة، ولا يغلق دونك باب، ولا تقضى دونك حاجة، وإني كتبت إليك بخط يدي فاكتب إليَّ بخط يدك. فقال أبو موسى لابنه أبي بردة: يا بني إنما تعلمتُ

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤: ١٦٤، وابن عساكر: تأريخ دمشق (ترجمة عبدالله بن عمر) ق ١٤٥ – ١٤٦، والذهبي: سير أعلام النبلاء٣: ٢٢٨، ويقوى بشواهده إلى الصحيح لغيره.

(٢) ابن عبدالبر: الاستيعاب ١: ٧٧، والحاكم: المستدرك ٣: ١١٧ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. والهيثمي: مجمع الزوائد ٧: ٢٤٢ وقال: رواه الطبراني بأسانيد وأحدها رجاله رجال الصحيح.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٤: ١١٣ بإسناد صحيح.

المعجم الخط بعد وفاة رسول الله ﷺ. قال: وكتبت إليك مثل العقارب. أما بعد فإنك كتبت إليَّ في جسيم أمر أمة محمد ﷺ، لا حاجة لي فيما عرضت عليَّ»[١].

وقد حاولت الروايات الإخبارية الضعيفة أن تعطي صورة محرفة عن أبي موسى الأشعري، وأنه اختير للتحكيم من قبل الجند العراقي، وفرض على الخليفة علي رضي الله عنه، وأنه أظهر وهناً وغفلةً خلال التحكيم، وأن عمرو بن العاص استغل بمكره الموقف، ولكن الصحيح أن عليّاً كان راضياً عن اختيار أبي موسى الأشعري «قال الأحنف بن قيس لعليٍّ حين أراد أن يحكم أبا موسى: إنك تبعث رجلاً من أهل القرى رقيق... فابعثني مكانه آخذ لك بالوثيقة، وأضعك من الأمر بحيث أنت. فقال له ابن عباس: دعنا يا أحنف منك، فإنا أعلم بأمرنا منك»[٢].

ولا يخفى أن أبا موسى الأشعري أرسخ في الإسلام وأسبق، وأفقه وأورع، حتى لو سلمنا بأن الأحنف أكثر دهاء وأوسع حيلة. كما أن اعتزال أبي موسى لأحداث الفتنة أقدر على ضبط النفس والتحكم في الأقوال والأفعال من الأحنف، الذي يمثل خصماً لدوداً للشاميين. ولعل من عوامل اختيار أبي موسى للتحكيم مهارته في القضاء، وممارسته الطويلة في هذا الميدان في عهد النبوة وخلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم[٣].

(١) ابن سعد: الطبقات ٤: ١١١ - ١١٢ بإسناد صحيح • وابن عساكر: تأريخ دمشق ٥٤١ - ٥٤٢ ترجمة أبي موسى الأشعري. والذهبي: سير أعلام النبلاء٢: ٣٩٦، وتأريخ الإسلام ٤١ - ٦٠ هـ ص ١٤٥.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٢: ١٥٧ بإسناد حسن، وراويه عن الأحنف هو محمد بن أبي يعقوب سيد بني تميم ثقة، وبحكم مكانته فإنه يستطيع التحقق من صحة المعلومات

(٣) عبدالحميد علي ناصر: خلافة علي ٢٦١ - ٢٦٢.

ولا يرجع فشل التحكيم إلى شخصية أبي موسى، بل إلى صعوبة حل الخلاف وإصرار الطرفين على مواقفهما السابقة، وعدم حيازة المحكمين على قوة محايدة تنفذ القرار. ومما يوضح سلامة التحكيم وحياده نص الوثيقة التي أقرها، بما في ذلك التسامح في رفض عمرو بن العاص صيغة أول وثيقة التحكيم التي تشير إلى إمرة علي للمؤمنين، لأن الشاميين لم يبايعوه على ذلك[١]. ولا يبت نص وثيقة التحكيم في القضية، بل يوضح الإطار العام الذي يحكم المباحثات، ويوضح الهدف منها، وهو الإصلاح بين الأمة، وعدم ردها إلى الفرقة والحرب، ويحدد زمناً لانتهائها، كما يحدد مكان التحكيم، وأنه متوسط بين الكوفة والشام والحجاز، واشترطا رضا الطرفين عمن يحضر المباحثات، أما الشهود فيختار كل طرفٍ شهوده، وتلتزم الأمة بنصرة قرارات التحكيم، كما يلتزم بذلك الشهود[٢].

وقد بقيت هذه الوثيقة محفوظة، حيث اطلع عليها أبو إسحاق الشيباني (محدث ثقة ت ١٤١ هـ)، ووصفها بقوله: «صحيفة صفراء، عليها خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها، وهما ختما علي ومعاوية ونقشهما - محمد رسول الله - »[٣].

وقد اجتمع الحكمان في دومة الجندل، ولم يتوصلا إلى اتفاق، وكان معاوية حاضراً اجتماع الدومة، ولم يحضر علي، ولعل لتحركات الخوارج أثراً في ذلك، فخطب معاوية في الناس قائلاً: «من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به ومن أبيه. قال ابن عمر: فحللتُ حبوتي، وهممت أن

(١) أبو عبيد: الأموال ١٥٨ - ١٥٩ بسند حسن، وعبدالرزاق: المصنف ١٠: ١٥٧، ويعقوب بن سفيان: المعرفة والتأريخ ١: ٥٢٢، والنسائي: خصائص أمير المؤمنين علي ١٩٥.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٢: ق ٥٨ أ.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٣: ٣٠ بسند حسن. وانظر محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية ٥٣٨ - ٥٤٤ حيث يمكن ملاحظة الاختلاف بين رواية البلاذري وأبي مخنف والجاحظ وإسماعيل التيمي.

أقول: أحق بهذا الأمر من قاتلك وأباك على الإسلام. فخشيتُ أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدماء، ويُحمل عني غير ذلك، فذكرتُ ما أعد الله في الجنان»[1]. فبقيت الأوضاع على حالها، عليٌّ خليفة المسلمين، ومعاوية أمير الشام، ولم يبايع معاوية بالخلافة إلا بعد استشهاد علي على يد الخوارج، وكانت بيعته في بيت المقدس في شهر رمضان سنة ٤٠ هـ، بعد وصول خبر استشهاد علي رضي الله عنه[2].

(١) البخاري: الصحيح (فتح الباري ٧: ٤٠٣). وعبدالرزاق: المصنف ٥: ٤٦٥، وابن سعد: الطبقات ٧: ٤٠٣.
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٨: ١٣١.

الفصل الخامس

موقعة النهروان

موقعة النهروان

كان عدد القراء الذين اعترضوا على التحكيم في صفين أربعة آلاف، فهم أقلية في جيش علي، الذي كان يزيد على خمسين ألف مقاتل قبل اشتباك الجيشين. وقد ضرب عروة بن حدير التميمي (وهو عروة بن أدية) عجز دابة الأشعث ابن قيس بالسيف، عندما كان الأشعث يقرأ وثيقة الهدنة، التي تم وقف القتال بموجبها، وقد اعتذر بنو تميم للأشعث وقومه اليمانية عن فعل عروة، وكان عروة يقول: «أتحكمون في أمر الله الرجال، لا حكم إلا لله»[1]. وهذه المقولة صارت شعار الحركة الخارجية، ولذلك سموا بالمحكّمة كما سموا بالخوارج لخروجهم على الخليفة الشرعي علي رضي الله عنه، كما سموا بالحرورية نسبة إلى قرية حروراء قرب الكوفة، حيث انشقوا عن جيش علي العائد إلى الكوفة.

ويبدو أنهم واصلوا نشاطهم الدعوي في جيش علي بعد حادثة التحكيم، حيث بلغ عددهم حين إعلان الانشقاق ثمانية آلاف[2] ثم بضعة عشر ألفاً[3]. بل أوصلتهم بعض الروايات إلى أربعة وعشرين ألفاً[4]. ويبدو أن الرقم الأخير متأخر عن مرحلة الانشقاق، ويدل على سريان الدعوة الخارجية وحيازتها لأعداد جديدة... كما نظموا أنفسهم بزعامة عبدالله بن الكواء وشبث بن ربعي[5]، وعينوا أميراً للصلاة وآخر للقتال. وهذا التطور الأخير جعل ابن

---

(١) الطبري: التأريخ ٥: ٥٥، والمبرد: الكامل (أخبار الخوارج) ١٦.

(٢) أحمد: المسند - بتحقيق أحمد شاكر - ٢: ٦٥٦ وصححه، ١: ٨٦ - ٨٧ وصححه ابن كثير (البداية والنهاية ٧: ٢٨٠ - ٢٨١)، وأبو يعلى: المسند ١: ٣٦٧ - ٣٧٠ قال الهيثمي: إن رجال أبي يعلى ثقات (مجمع الزوائد) ٦: ٢٣٥ - ٢٣٧، والحاكم: المستدرك ٢: ١٥٢ - ١٥٤ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٣) المصادر نفسها.

(٤) عبدالرزاق: المصنف ١٠: ١٥٧ - ١٦٠ بإسناد حسن، والطبراني: المعجم الكبير ١٠: ٣١٢ - ٣١٤.

(٥) خليفة: التأريخ ١٩٢ بسند صحيح، وابن عساكر: تأريخ دمشق (ترجمة عبدالله بن أبي أوفى) ٣٩٥، ٣٩٨ من مرسل الزهري.

عباس يستأذن عليّاً في محاورتهم في إحدى اجتماعاتهم الضخمة في حروراء، وقد وصلهم في نصف النهار ووصفهم بقوله: «دخلت على قوم لم أر قوما قط أشد اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود»، وكان رجلاً جميلاً جهيراً، فرحبوا به، ثم حاججهم في الشبهات التي علقت بأذهانهم، نتيجة تفسيرهم للقرآن دون بصيرة، موضحاً لهم أن التحكيم نص عليه القرآن[١] وأن محو لقب أمير المؤمنين من نص وثيقة الهدنة له سابقة من السنة في حادثة الحديبية، وأن قتال علي لمخالفيه دون أن يستحل أموالهم وأعراضهم هو الحكم الشرعي الصحيح، فرجع منهم ألفان بعد أن تبين لهم الحق[٢]. وأبرز من رجع زعيمان منهم هما عبدالله بن الكواء وشبث بن ربعى[٣]. ولم يكن فيهم أحد من الصحابة رضوان الله عليهم.

وأعقب هذا الحوار خروج علي بنفسه إلى حروراء، ومحاورته الخوارج، حيث فهموا خطأ أنه يعلن توبته ويعود عن التحكيم، وهكذا وقعوا مرة أخرى في سوء الفهم، فرجعوا إلى الكوفة على ظنهم الخاطئ، فأقاموا يومين، فلما اتضح لهم في خطبة عن يوم الجمعة أنه لم يرجع على التحكيم والكفر !! خرجوا من المسجد وعلي يعلن آسفا موقفه منهم: «لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء، ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى

---

(١) قوله تعالى في المرأة وزوجها: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ (النساء ٣٥). وقوله تعالى في جزاء المحرم اذا صاد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (المائدة ٩٥). وقد أوضح ابن عباس أن صلاح ذات البين وحقن الدماء بين المسلمين أولى بالتحكيم من هاتين الصورتين، صلح المرأة مع زوجها، وحكم صيد المحرم لأرنب أو ما يشبهه...

(٢) عبدالرزاق: المصنف ١٠: ١٥٧ - ١٦٠ بإسناد حسن، و أحمد: المسند ١: ٣٢٤، والنسائي: خصائص علي ١٩٥ - ٢٠٠.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣١٧ - ٣١٩، و أبو يعلى: المسند ١: ٣٦٤، والألباني: إرواء الغليل ٨: ١١١ وصححه.

تقاتلونا»[١]. لكنهم لم يقبلوا منه، وأخذوا يصيحون في أنحاء المسجد: «لا حكم إلا لله»[٢]. وحاول زعماؤهم أن يثنوا عليّاً عن إرسال أبي موسى الأشعري إلى التحكيم، وأن يقودهم لقتال أهل الشام، فأبى عليهم نقض العهد مع الشاميين: «فارقنا القوم فلا يجوز نقضه»[٣].

وقد جرت محاورات أخرى من قبل الصحابة والتابعين مع الخوارج، مما أدى إلى تقليص أعدادهم إلى أربعة آلاف فقط[٤]. إلا أنهم اجتمعوا في دار عبدالله بن وهب الراسبي، وأرادوا مبايعة أحد زعمائهم أميراً، فلم يقبلها أحد منهم، ثم قبلها عبدالله بن وهب الراسبي قائلاً: «والله لا آخذها رغبةً في الدنيا، ولا أتركها جزعاً من الموت». وبذلك نكثوا بيعتهم لعلي، وذلك في العاشر من شوال[٥] سنة ٣٧ هـ، ونقضوا مبدأ «الخلافة في قريش»، فصار من مقولاتهم جواز خلافة غير القرشي.

وقد خرج عبدالله بن وهب الراسبى الأزدي بأتباعه إلى النهروان خفية، لئلا يصدهم أحد واجتمعوا هناك، وبرغم هذا التحدي فلم يقرر علي رضي الله عنه مناجزتهم وإعادتهم إلى الطاعة بالقوة، بل اكتفى بتوضيح خطئهم وتفنيد آرائهم. ولما فشل الحكمان وافترقا دون اتفاق لم يرجع الخوارج إلى صف علي، برغم أنه أعد جيشه لمواجهة أهل الشام وعسكر بالنخيلة قرب

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣٢٧ - ٣٢٨، والطبراني: الأوسط (مجمع الزوائد ٦: ٢٤٢ - ٢٤٣)، والطبري: تأريخ ٥: ٧٤، والبيهقي: السنن الكبرى ٨: ١٨٤ ويتقوى بمجموع طرقه إلى الحسن.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣١٢ - ٣١٣ وصحح الألباني سنده (إرواء الغليل ٨: ١١٨ - ١١٩) وقارن برواية الطبري: ا لتأريخ ٥: ٧٣ - ٧٤.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ٢: ق ١٦٣ أ - ١٦٤ أ، مدار الرواية على مجالد بن سعيد ليس بالقوي لكنه يصلح للمتابعات.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٩١ - ٩٣ بإسناد حسن، والطبري: التأريخ ٥: ٩١ - ٩٣، والبيهقي: السنن الكبرى ٨: ١٧٩.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف ٢: ق ١٦٣ أ - ١٦٤ أ بإسناد فيه مجالد بن سعيد ليس بالقوي.

الكوفة، وقدرت روايات ضعيفة عدد هذا الجيش بثمانية وستين ألفا ومئتي رجل (٦٨,٢٠٠ رجل)، وفي هذه المدة قتل الخوارج عبدالله بن خباب بن الأرت ومعه أم ولده[١]، كما قتلوا آخرين[٢]، فقد صاروا يكفرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله[٣]. فسار إليهم علي رضي الله عنه بجيشه في محرم عام ٣٨ هـ، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، والخوارج شرقيه[٤]، وقد التحق بهم خوارج البصرة، وهم ثلاث مئة أو خمس مئة رجل عليهم مسعر بن فدكي التميمي[٥].

ونظرا لأن مناطق نشاط الخوارج التي تعرضت لضياع الأمن وقطع الطرق ضمن مسؤولية علي رضي الله عنه، فقد طلب من الخوارج تسليم القتلة لإقامة الحد عليهم، فأجابوه: كلنا قتلناه[٦]. وبذلك استحل علي قتالهم، وبين لجنده أجر مقاتلتهم، معتمداً على حديث: «يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». ثم قال علي معقباً: «لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قُضِيَ لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتكلوا عن العمل»، ثم ذكر لهم العلامات التي تَنطبق على الخوارج مثل وجود المخدج فيهم «له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعيرات بيض. فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣١٠ - ٣١١ بسند صحيح وفي طبعة الحوت (٧/ ٥٥٥). والطبراني. المعجم الكبير ٤: ٦٨، والطبري: التأريخ ٥: ٨١.
(٢) الطبري: التأريخ ٥: ٨٢.
(٣) ابن حجر: فتح الباري ١٢: ٢٨٤.
(٤) الخطيب: تأريخ بغداد ١: ٢٠٥ - ٢٠٦.
(٥) البلاذري: أنساب الأشراف ٦٣ ب بسند فيه مجهول، الطبري: تأريخ ٥: ٨٠ عن أبي مخنف.
(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣٠٨ - ٣٠٩ بسند صحيح.

ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله»[١].

وقد أرسل علي إليهم الرسل يدعونهم، فقتلوا رسوله، وعبروا إليه النهر[٢]، فأمر بقتالهم. يقول شاهد عيان ثقة هو زيد بن وهب الجهني: «لما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبدالله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا السيوف من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء»[٣]. واشتبك الجيشان في معركة خاطفة وغير متكافئة، انتهت بالإجهاز على الخوارج برغم ما أبدوه من جلد وشجاعة.. فقد أفناهم جيش علي الكبير دون أن يصيبوا منه إلا بضعة عشر رجلاً[٤]. ولم يعش من جيش الخوارج إلا الجرحى ومن فر، وهم عدد يسير[٥].

واهتم على التفتيش عن المخدج ذي الثدية حتى وقف عليه[٦]، فكان شاهداً على صحة موقف علي، وآية على ضلال الخوارج.

وقد عامل علي رضي الله عنه الخوارج معاملة البغاة، فلم يكفرهم، ومنع جنده من تعقيب فاريهم، والإجهاز على جريحهم، ولم يسبهم[٧] ولم يغنم أموالهم[٨].

(١) مسلم: الصحيح ٢: ٧٤٨ - ٧٤٩، وعبدالرزاق: المصنف ١٠: ١٤٧ - ١٤٩.
(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣٢٥ - ٣٢٧ بسند حسن.
(٣) مسلم: الصحيح ٢: ٧٤٨، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣١٧ بإسناد صحيح، وأحمد: المسند ٣: ٤٨٥ بإسناد صحيح، و أبو داود: السنن ٤: ٢٤٤.
(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣١١، وخليفة: التأريخ ١٩٧ بسند حسن، والنسائي: خصائص علي ١٩٠ بسند حسن، ويعقوب بن سفيان: المعرفة والتأريخ ٣: ٣١٥.
(٥) عبدالحميد علي ناصر: خلافة علي ٣٢٩.
(٦) ابن أبي عاصم: السنة ٢: ٤٤٢ - ٤٤٣ بإسناد صحيح، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣٢٥ - ٣٢٧، والطبري: التأريخ ٥: ١ ٩ - ٩٢، والطحاوي: تهذيب الآثار ٤: ٢٣٦ - ٢٣٨.
(٧) البيهقي: السنن ٨: ١٨٢ بسند صحيح.
(٨) عبدالرزاق: المصنف ١٠: ١٢٢ - ١٢٣، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣٣٢، وسعيد بن منصور: السنن ٢: ٣٣٩، والبيهقي: السنن الكبرى ٨: ١٨٣.

وسئل عنهم: أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا. فقيل: منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل: فمن هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم. وفي رواية: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم. وفي رواية: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا[١]. وهكذا صرح بأنهم مؤمنون ليسوا كفاراً ولا منافقين[٢]. ونصح الأمة في التعامل معهم بقوله: «إن خالفوا إماما عادلاً فقاتلوهم، وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تقاتلوهم، فإن لهم مقالاً»[٣].

ومما يلقي الضوء على صفات الخوارج ومستوى جدلهم وحفظهم للقرآن وقدرتهم على استحضار الشواهد منه، أنه لما رجع ابن عباس إلى البصرة بعد فشل التحكيم جادله خوارج البصرة - وهم العباد أصحاب البرانس والسواري - بشدة واتهموه بالكفر «كفرت وأشركت ونددت»، فقال لهم: «انظروا أخصمَكم وأجدلَكم وأعلمَكم بحجتكم فليتكلم»، فاختاروا عباد التغلبي، «فقام فقال: قال الله كذا، وقال الله كذا، كأنما ينزع بحاجته من القرآن في سورة واحدة»، وتتضح قدرة الرجل على استحضار الأدلة المفرقة في القرآن، وكأنها في موضع واحد شهادة ابن عباس له: «إني أراك قارئاً للقرآن عالماً بما قد فصلت ووصلت». ثم واجه ابن عباس الخوارج بأخطائهم: «هل علمتم أن أهل الشام سألوا القضية - أي وقف القتال برفع المصاحف والدعوة إلى التحكيم - فكرهناها وأبيناها، فلما أصابتكم الجروح وعضكم الأمل ومُنعتم ماء الفرات أنشأتم تطلبونها !؟ ولقد أخبرني معاوية أنه أتى بفرس.. ليهرب عليه، ثم أتاه منكم آتٍ، فقال: إني تركتُ أهل العراق يموجون مثل الناس ليلة

(١) عبدالرزاق: المصنف ١٠: ١٥٠، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣٣٢ بسند صحيح، والبيهقي: السنن الكبرى ٨: ١٧٤.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة ٥: ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣٢٠، وابن حجر: فتح الباري ١٢: ٣٠١.

النفر بمكة»، وهكذا أشار إلى أن اختلافهم وشقاقهم أضعف موقف علي، وكان سبباً في قبول التحكيم. وقد فند ابن عباس مقولاتهم[١].

ولا شك أن وقعة النهروان تركت جراحاً أليمة في الكوفة العلوية الاتجاه والبصرة العثمانية معاً، حيث ينتمي معظم الخوارج إلى قبائل المدينتين، وقد نعى البعض على علي رضي الله عنه دماء أهل النهر، ووقعت بينهم وبين علي معارك صغيرة[٢].

وتعدى الوهن أقارب الخوارج إلى جملة الجيش الذي يحمل ذكريات صفين الأليمة، وقد تجددت الذكريات في حرب الخوارج بالنهروان.. فلم يجد علي فيهم النشاط لقتال معاوية. بينما أفاد معاوية من هذه الظروف التي أحاطت بخصمه، فمد نفوذه إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص وبالتعاون مع العثمانية فيها مما أضاف إليه قوة بشرية واقتصادية، كما راسل وجوه القادة في العراق محاولاً استمالتهم.

وأمام الوهن والشقاق وضعف الطاعة في جيش علي لم يتمكن من القيام بأي حملة ضد القوات الشامية، وتبين خطبه الأخيرة مدى ما عاناه من الملل والألم، إذ كان يقول: «اللهم إني قد سئمتهم وسئمونى، ومللتهم وملُوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم. ووضع يده على لحيته»[٣]. فكانت هذه الإشارة بأن ثمة من يسعى لقتله أول إعلان عما بلغه من محاولة عبدالرحمن بن ملجم المرادي قتله[٤]، وكان قد حذِّر من التآمر لقتله «جاء

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٢٩٩ - ٣٠١ بإسناد حسن.
(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥: ٣٣١، وابن عساكر: تأريخ دمشق ٩: ق ١٦٧.
(٣) عبدالرزاق: المصنف ١٠: ١٥٤ بإسناد صحيح، وله متابعات عند ابن عباس: الطبقات الكبرى ٣: ٣٤، وشواهد عند ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني ١: ١٣٧ بإسناد حسن.
(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣: ٣٣.

رجل من مراد إلى علي - وهو يصلي في المسجد - فقال: احترس، فإن ناساً من مراد يريدون قتلك»[١].

ولما طعنه ابن ملجم في صلاة الفجر صبيحة إحدى وعشرين من رمضان[٢]، لم يمت حتى أوصى بقاتله خيراً: «إنه أسير، فأحسنوا نُزُله، وأكرموا مثواه، فإن بقيتُ قتلتُ أو عفوتُ، وان متُّ فاقتلوه قتلتي، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين»[٣].

وبعد اغتيال الخوارج له، تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية، لينهي مرحلة الصراع، وعودة الأمة إلى الجماعة بعد أن مرت بتجارب جديدة قاسية، تركت آثاراً عميقة في المخيلة الجماعة لأجيالها المتلاحقة حتى الوقت الحاضر.

(١) المصدر السابق ٣: ٣٤ بإسناد صحيح.
(٢) البخاري: التأريخ الصغير ١: ٩٩ - ١٠٠ بإسناد فيه حريث بن مخش، انفرد ابن حبان بتوثيقه.
(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣: ٣٥، وأحمد: فضائل الصحابة ٢: ٥٦٠، والحاكم: المستدرك ٣: ١٤٤، ويقوى بطرقه إلى الحسن لغيره.

المصادر والمراجع

المصادر

• القرآن الكريم.

• ابن الأثير: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ).

– النهاية في غريب الحديث، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، نشر دار الفكر، بيروت.

• ابن الأثير: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ).

– الكامل في التأريخ، دار صادر، بيروت – ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م).

– أسد الغابة في معرفة الصحابة، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

• أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).

– المسند، ط. بيروت بالأوفيست عن الطبعة الميمنية، مصر – ١٣١٣هـ). وكذلك ط. أحمد محمد شاكر في القسم الذي حققه.

– والمسند، وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط. المكتب الإسلامي

– فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط ١، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى – ١٤٠٣هـ). وطبعة بدار العلم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية.

– الزهد، دار الريان للتراث، ط ١، القاهرة – ١٤٠٨هـ.

– العلل ومعرفة الرجال، تحقيق طلعت قوج بيكيت، وإسماعيل جراح أوغلي، أنقرة – ١٩٦٣ م.

- مسائل الإمام أحمد، برواية إسحاق بن إبراهيم بن هانئ.
• الأزدي: محمد بن عبدالله البصري (ق ٢).
- فتوح الشام، بعناية عبدالمنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة - ١٩٧٠ م.
• الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبدالله.
- تأريخ مكة، تحقيق رشدي الصالح ملمس، ط ٣، ط. دار الأندلس، بيروت - ١٣٨٩هـ.
• إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ).
- المسند، ط ١، تحقيق عبدالغفور البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة - ١٤١٠ هـ.
• ابن إسحاق: محمد (ت ١٥١هـ).
- السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، نشر دار الفكر - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م).
- السيرة، تحقيق محمد حميد الله، نشر معهد الدراسات والأبحاث للتعريب - ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م).
• ابن أعثم الكوفي: أبو محمد أحمد بن أعثم الأزدي (ت ٣١٤هـ). - الفتوح، نشر دار الفكر العلمية، بيروت - ١٤٠٦هـ.
• ابن الأعرابي: أحمد بن محمد بن زياد بن بشر الأعرابي (ت ٣٤٠هـ).
- المعجم مخطوط، وقد حقق أحمد ميرين قطعة منه نال بها درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
• البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ).
- الصحيح الجامع المسند من أقوال وأفعال الرسول ﷺ، حاشية السندي، ط. دار إحياء الكتب العربية، مصر.
- والصحيح (نسخة فتح الباري)، نشر المكتبة السلفية بالقاهرة. وأحياناً ط. محمد علي صبيح، مصر (دون تأريخ).
- التأريخ الكبير، تحقيق المعلمي اليماني، نشر حيدر آباد الدكن، الهند. وأحياناً ط. دار الكتب العلمية، بيروت.
- التأريخ الصغير، تحقيق محمد إبراهيم زايد، ط. دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦ هـ.

- الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت وط ٣، ط. دار البشائر الإسلامية - ١٤٠٩هـ.
- خلق أفعال العباد، تحقيق عبدالرحمن عميرة، ط ٢، نشر دار عكاظ، جدة.
• ابن بدران: عبدالقادر (ت ١٣٤٦هـ).
- تهذيب تأريخ دمشق الكبير لابن عساكر، نشر دار المسيرة، بيروت - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).
• البزار: أحمد بن عمرو (ت ٢٩٢هـ).
- المسند، وهو البحر الزخار، تحقيق محفوظ الرحمن الأعظمي، ط ١، مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م).
• بقي بن مخلد:
- عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث، تحقيق أكرم العمري، بيروت - ١٤٠٥ هـ.
• البكري (ت ٤٨٧ هـ).
- معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، نشر عالم الكتب بيروت (دون تأريخ).
• البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).
- أنساب الأشراف، القسم الثاني، جزء١ و ٢ تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت - ١٩٧٤ م و ١٩٧٧ م. والقسم الرابع، ج ١، تحقيق إحسان عباس، بيروت - ١٩٧٩م.
القسم الرابع، ج ٢، تحقيق م. شلوسنغار، القدس - ١٩٣٨م.
والقسم الخامس، تحقيق س. غويتاين، القدس - ١٩٣٦م.
والجزء الأول، ط ١، مطبعة دار المعارف، مصر - ١٩٥٩م.
وقسم الشيخين (أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما)، تحقيق إحسان صدقي العمد، مؤسسة الشراع الغربي، الكويت - ١٩٨٩ م.
- فتوح البلدان، ط. القاهرة - ١٩٣٢ م. و أحيانا نشر مكتبة النهضة العربية (دون تأريخ) وأحيانا ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان - ١٤٠٣هـ.
• البوصيري: الحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن عمر الكناني (ت ٨٤٠هـ).
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، مخطوطة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

• البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ).
- السنن الكبرى، ١٠ مجلدات، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند - ١٣٤٤هـ.
- والسنن الكبرى، وبذيله الجوهر النقي، دار المعرفة، بيروت.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت. ودار الريان للتراث، ط ١، القاهرة - ١٤٠٨هـ.
• الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ).
- السنن، تحقيق أحمد شاكر وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر - ١٣٩٨هـ. وأحيانا نسخة تحفة الأحوذي للمباركفوري، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، ط ٢، المكتبة السلفية، المدينة المنورة - ١٣٦٨ هـ (١٩٦٣ م).
- الجامع الصحيح، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي وإبراهيم عطوة عوض، القاهرة - ١٩٦٢ م (١٣٨١ هـ) وط ٣، دار الفكر - ١٣٩٨هـ.
- مختصر الشمائل المحمدية، المكتبة الإسلامية، عمان - ١٤٠٥هـ).
• ابن تيمية الحراني: أحمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨هـ).
- منهاج السنة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - ١٤٠٦هـ).
- الفتاوى، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه، نشر دار الإفتاء، الرياض.
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق أبو عبدالله علي بن محمد المغربي، دار الأرقم، الكويت - ١٤٠٦هـ).
• الجاحظ: أبو عمرو عثمان بن بحر (ت ٢٥٥هـ).
- كتاب الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، مصر - ١٣٦٤هـ).
• ابن الجارود: أبو محمد عبدالله (ت ٣٠٧هـ).
- المنتقى من السنن المسندة عن الرسول ﷺ، علق عليه عبدالله عمر البارودي، ط ١، دار الجنات ومؤسسة الكتب الثقافية - ١٤٠٨هـ).

• ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ).
- غاية النهاية في طبقات القراء، بعناية برجستراسر، مطبعة السعادة، مصر - ١٣٥١ - ١٣٦٤ هـ) ١٩٣٨ - ١٩٤٥ م.
• الجهشياري: أبو عبدالله محمد بن أسيد بن عبدالله (ت ٣٣١هـ).
- الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، مصر - ١٩٣٨ م. وط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م).
• ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ):
- نواسخ القرآن، تحقيق محمد أشرف علي المليباري، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٤٠٤هـ.
- مناقب عمر بن الخطاب
• الحاكم: محمد بن عبدالله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ).
- المستدرك على الصحيحين في الحديث، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند - ١٣٤١هـ).
- والمستدرك، وفي ذيله تلخيص المستدرك للحافظ الذهبي، ط. دار الفكر، بيروت - ١٣٩٨هـ.
• ابن حبان البستي: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي (ت ٣٥٤هـ).
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت -
- الثقات، ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند - ١٤٠٠ هـ.
• ابن حبيب: محمد بن حبيب السكري البغدادي (ت ٢٤٥هـ).
- المحبَّر، ط. حيدر آباد الدكن - الهند.
• ابن حبيش: أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت ٥٨٤هـ).
- الغزوات الضامنة الكافلة (مخطوطة)، وقد حقق طلال بن سعود الدعجاني قطعة من أولها نال بها الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٤١٢هـ.

• ابن الجعد: أبو الحسن علي الجوهري (ت ٢٣٠ هـ)
- المسند تحقيق عبدالمهدي عبدالقادر، مجلدان، ط ١، نشر مكتبة الفلاح، الكويت - ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م).
• ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي البجاوي، نشر دار النهضة، مصر.
- والإصابة في تمييز الصحابة، وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ط ١، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، نشر دار صادر - ١٣٢٨هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط. المكتبة السلفية، القاهرة.
- تهذيب التهذيب، ط ١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٨٧ - ١٣٩٦هـ.
- تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، نشر دار الرشيد، حلب - ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).
- لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- المطالب العالية، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المطبعة العصرية، ط ١، الكويت - ١٣٩٣هـ. ودار المعرفة، بيروت، لبنان.
- النكت على ابن الصلاح، تحقيق د. ربيع بن هادي المدخلي، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٤٠٣هـ.
- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، نشر بعناية عبدالله هاشم اليماني، نشر دار المعرفة، بيروت.
- هدي الساري مقدمة فتح الباري، المطبعة السلفية، القاهرة.
- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ط ١، تحقيق عاصم القريوتي مكتبة المنار، الأردن.
• ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ).
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط ٢، دار المعرفة، بيروت - ١٣٩٥هـ.

- المحلى، نشر مكتبة الجمهورية العربية، مصر - ١٣٨٧هـ.
- جمهرة أنساب العرب، ط ١، تحقيق عبدالسلام هارون، نشر دار المعارف بمصر.
• حماد بن إسحاق (ت ٢٦٧هـ).
- تركة النبي ﷺ، ط ١، تحقيق أكرم العمري، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٤٠٤هـ.
• ابن خرداذبة: أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت ٣٠٠هـ).
- المسالك والممالك، ط. مكتبة المثنى، بغداد.
• الخزاعي: أبو الحسن علي بن محمد التلمساني (ت ٧٨٩هـ).
- تخريج الدلالات السمعية، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة - ١٤٠١ هـ.
• ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ).
- الصحيح، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ومراجعة محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
• الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد البستي (ت ٣٨٨هـ).
- معالم السنن شرح سنن أبي داود، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.
• الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ). - تأريخ بغداد، ط ١، مطبعة السعادة، مصر - ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م). كذلك ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تقييد العلم، تحقيق د. يوسف العش، دمشق - ١٩٤٩ م.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق د. محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف الرياض - ١٤٠٣هـ.
- الرحلة في طلب الحديث، ضمن مجموعة رسائل في علوم الحديث، تحقيق صبحي البدري السامرائي، ط ١، مطابع المجد، القاهرة - ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م).
- الكفاية في علم الرواية، ط. دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند ١٣٥٧ هـ.

• الخلال: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون (ت ٣١١هـ).
- السنة، تحقيق عطية الزهراني، نشر دار الراية، الرياض - ١٤١٠ هـ(١٩٨٩ م).
• ابن خلدون: عبدالرحمن (ت ٨٠٨هـ).
- المقدمة، نشر دار الفكر، بيروت - ١٩٨١ م.
• خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري (ت ٢٤٠ هـ):
- التأريخ، تحقيق أكرم العمري، النجف - ١٩٦٨ م. وكذلك ط ٢، ط. دار طيبة للنشر و التوزيع، الرياض - ١٤٠٥هـ.
- الطبقات، تحقيق أكرم العمري، مطبعة العاني، بغداد - ١٩٦٧ م.
• ابن أبي خيثمة: أحمد بن زهير (ت ٢٧٩هـ).
- التأريخ الكبير، مخطوطة مكتبة القرويين ح ل٤٠ :N٢٤٤ وهو السفر الثالث. وقطعة المكتبة المحمودية بالمدينة وهي الجزء الخمسون.
• الدارقطني: علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ).
- السنن، نشر عالم الكتب، بيروت - ١٤٠٦هـ). وكذلك دار المحاسن للطباعة، القاهرة.
• الدارمي: أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن (ت ٢٥٥ هـ).
- السنن، ط ١، تحقيق مصطفى البغا، دار القلم، دمشق - ١٤١٢ هـ(١٩٩١ م). وأحيانا بعناية محمد أحمد دهمان، نشر دار إحياء السنة النبوية ١٣٤٦ هـ (١٩٣٠ م). وأحيانا دار الكتب العلمية.
• الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ).
- الفتن، أطروحة دكتوراه مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
• أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ).
- السنن، تحقيق الدعاس، دار الحديث، حمص. وأحيانا مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر - ١٣٧١هـ. وكذلك دار إحياء التراث العربي، بيروت. وأحيانا مع شرح الخطابي، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة.
• ابن أبي داود: أبو بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦هـ).

- كتاب المصاحف، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م).
• ابن دحية: أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي (ت ٦٣٣هـ).
- علم النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين مخطوطة.
• ابن أبي الدنيا: عبدالله بن محمد بن عبيد القرشي (ت ٢٨٢هـ).
- الإشراف في منازل الأشراف، تحقيق نجم عبدالرحمن خلف، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض - ١٤١١هـ.
• الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ).
- تأريخ خميس، نشر مؤسسة شعبان، بيروت.
• الدينوري: أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ).
- الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، القاهرة - ١٣٨٠هـ.
• الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ).
- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٨١ - ١٩٨٥ م).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- تأريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين - ، تحقيق عبدالسلام تدمري، نشر دار الكتاب الحديث، بيروت - ١٤٠٧هـ.
- تذكرة الحفاظ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند - ١٩٥٥م.
- دول الإسلام، نشر دائرة المعارف العثمانية، ط ٢، حيدر آباد الدكن، الهند - ١٣٦٤ هـ.
- تجريد أسماء الصحابة، مجلدان، نشر دار المعرفة، بيروت.
• الرامهرمزي: الحسن بن عبدالرحمن (ت ٣٦٠هـ).
- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، نشر دار الفكر، ط ١، بيروت.

• ابن رجب الحنبلي: أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ).
- الاستخراج لأحكام الخراج، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٥هـ.
• ابن رشد: محمد بن أحمد (ت ٥٩٥هـ).
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جزءان، مطبعة محمد صبيح، القاهرة.
• أبو زرعة النصري الدمشقي: عبدالرحمن بن عمرو (ت ٢٨١هـ).
- التأريخ، جزءان، تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٨٠ م.
• الزركشي: محمد بن عبدالله (ت ٧٩٤هـ).
- البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق عبدالقادر عبدالله العاني، ط ٢، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الكويت - ١٤١٣ هـ (١٩٩٢ م).
• الزركلي: خير الدين.
الأعلام، ط ٥، نشر دار العلم للملايين، بيروت - ١٩٨٠ م .
• ابن زنجويه: حميد بن زنجويه (ت ٢٥١ هـ).
- الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، ط ١، نشر مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض - ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م).
• ابن سحنون: محمد
- آداب المعلمين، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب، ومراجعة وتعليق محمد العروسي المطوي، (دون تأريخ ومحل طبع).
• السرخسي: شمس الدين.
- المبسوط، ط ٢، نشر دار المعرفة، بيروت.
• ابن سعد: محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ).
- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت - ١٩٧٤ - ١٩٧٧ م.
- والطبقات تحقيق السلومي قطعة ساقطة من المطبوع، أطروحة قدمت إلى جامعة أم القرى بمكة لنيل درجة الدكتوراه.

• سعيد بن منصور (ت ٢٢٧هـ).
- السنن، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ.
• السمناني: علي بن محمد بن أحمد الحنفي (ت ٤٩٩هـ).
- روضة القضاة وطريق النجاة، مطبعة أسعد، بغداد - ١٣٨٩ هـ (١٩٧٠ م).
• السمهودي: علي بن أحمد (ت ٩١١هـ).
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مجلدان، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط ٣، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م).
• السهيلي: عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).
- الروض الأنف، تحقيق عبدالرحمن الوكيل، نشر دار الكتب الحديثة، القاهرة.
• السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).
- تأريخ الخلفاء، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر - ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م).
- الإتقان في علوم القرآن، نشر مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، مطبعة المعاهد، القاهرة - ١٣٥١هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، نشر محمد أمين دمج، بيروت.
• الشافعي: محمد بن إدريس.
- الأم، ط. بولاق، القاهرة - ١٣٢٥هـ.
• الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ).
- نيل الأوطار، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد ومصطفى محمد الهواري، نشر مكتبة الكليات الأزهرية - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م).
• ابن أبي شيبة: أبو بكر عبدالله بن محمد (ت ٢٣٥هـ).
- المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق عبدالخالق الأفغاني، نشر الدار السلفية - ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م). وكذلك دار التاج، بيروت - ١٤٠٩هـ.
• أبو الشيخ الأنصاري: عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان (ت ٣٦٩هـ).

- طبقات المحدِّثين بأصبهان، تحقيق عبدالغفور عبدالحق حسين البلوشي، نشر مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت - ١٤١٢ هـ (١٩٩٢ م).
• الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف.
- المهذب في فقه الإمام الشافعي، جزءان، القاهرة - ١٣٤٣هـ.
• الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٦هـ).
- أدب الكتاب، تحقيق محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة - ١٣٤١هـ.
• ابن طباطبا: محمد بن علي.
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت.
• الطبراني: سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ).
- المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، ط ١، نشر وزارة الأوقاف العراقية، بغداد. وأحياناً ط٢.
• الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).
- تأريخ الأمم والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٠ - ١٩٦٩م. وأحياناً ط ليدن، وقد ميزت ذلك بالحاشية. وكذلك ط. دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٧هـ.
- جامع البيان في تفسير آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري، مصطفى البابي الحلبي، مصر - ١٣٨٨هـ.
• الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحنفي (ت ٣٢١هـ).
- شرح معاني الآثار، مطبعة الأنوار المحمدية، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة - ١٣٨٧ هـ (١٩٦٨ م).
- تهذيب الآثار
• ابن أبي عاصم: أحمد بن عمرو بن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ).
- الآحاد والمثاني، تحقيق باسم الجوابرة، ط ١، دار الراية، الرياض - ١٤١١ هـ (١٩٩١م).
- السنة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، بيروت - ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م).

• ابن عبدالبر القرطبي: أبو عمر يوسف (ت ٤٦٣هـ).
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة دون تأريخ.
- جامع بيان العلم وفضله، المطبعة المنيرية، مصر (دون تأريخ).
• ابن عبدالحكم المصري: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت ٢٥٧هـ).
- فتوح مصر وأخبارها، ط. ليدن. وكذلك ط. بريل، لندن - ١٩٣٠ م.
• عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ)
- المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ١، دار القلم، بيروت - ١٣٩٠هـ). و ط ٢، ط. المجلس العلمي - ١٤٠٣هـ).
- التفسير، تحقيق مصطفى مسلم محمد، نشر مكتبة الرشد، ط ١، الرياض - ١٤١٠ هـ(١٩٨٩ م).
• عبدالله بن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ).
- كتاب السنة، تحقيق محمد سعيد القحطاني، ط ١، نشر دار ابن القيم، الدمام - ١٤٠٦ هـ.
• أبو عبيد: القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).
- الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط ١، مصر - ١٣٨٨ هـ(١٩٦٨م). ودار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٦هـ.
• العجلي: أحمد بن عبدالله بن صالح (ت ٢٦١هـ).
- الثقات، ترتيب علي بن أبي بكر الهيثمي، بعناية عبدالمعطي قلعجي، ط ١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٥ هـ (١٩٨٤ م).
• ابن عدي: أبو أحمد عبدالله (ت ٣٦٥هـ).
- الكامل في ضعفاء الرجال، ط ١، نشر دار الفكر، بيروت - ١٤٠٥هـ.
• ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة.
- بغية الطلب في تأريخ حلب (مخطوطة) وقد صدر أخيراً بعناية سهيل زكار، نشر دار الفكر، بيروت.

• أبو العرب التميمي: محمد بن أحمد بن تميم.
- المحن، تحقيق يحيى الجبوري، ط ٢، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣م).
• ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ).
- تأريخ دمشق (مخطوطة الظاهرية).
- تأريخ مدينة دمشق، طبع المجمع العلمي العربي بدمشق.
- مناقب أمهات المؤمنين (مخطوطة).
• العلائي: خليل بن كيكلدي ٧٦١ هـ.
- إجمال الإصابة في أقوال الصحابة، تحقيق محمد سليمان الأشقر، ط ١، نشر مركز المخطوطات و التراث، الكويت - ١٤٠٧هـ.
• ابن العماد: عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، نشر المكتبة التجارية، بيروت.
• عمر بن شبَّة (ت ٢٦٢ هـ):
- تأريخ المدينة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، نشر السيد حبيب محمود أحمد، المدينة المنورة، بدون تأريخ.
• أبو عوانة الإسفراييني: يعقوب بن إسحاق (ت ٣١٦).
- المسند، ط. دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
• العيني: بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ)
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ط ١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
• الفاكهي: أبو عبدالله محمد بن إسحاق.
- تأريخ مكة، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط ١، مكتبة النهضة، مكة المكرمة - ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م).
• ابن الفراء الحنبلي: أبو يعلى محمد بن حسين (ت ٤٥٨هـ).

- الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٣ هـ.
• أبو الفرج الأصفهاني: -
الأغاني، ط ١، مطبعة دار الكتب المصرية.
• ابن فرحون المالكي ٧٩٩ هـ:
- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الحكام، جزءان، القاهرة - ١٣٠٢هـ.
• ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ).
- تأويل مختلف الحديث، ط ١، مطبعة كردستان العلمية، مصر - ١٣٢٦هـ).
- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، نشر دار المعرفة - بيروت.
- عيون الأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
• قدامة بن جعفر:
- الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الحرية، بغداد - ١٩٨١ م.
• ابن قدامة المقدسي: عبدالرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد (ت ٦٢٠هـ).
- الشرح الكبير على المغني، حاشية المغني، بعناية جماعة من العلماء، دار الكتاب العربي ١٤٠٣ هـ.
- المغني، نشر المكتبة الحديثة، الرياض.
• القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ).
- الجامع لأحكام القرآن، ط ٣، دار إحياء التراث العربي - ١٣٨٧هـ.
• القلقشندي:
- صبح الأعشى، مصر ١٣٣١ - ١٣٣٨هـ).
• ابن القيم: محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١ هـ)
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٤ مجلدات، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة - ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م).

- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، القاهرة - ١٣١٧هـ.
• الكتاني: عبدالحي بن عبدالكبير بن محمد الحسني
- التراتيب الإدارية، ط ١، مجلدان نشر دار الكتب العلمية، بيروت دون تأريخ
• ابن كثير: إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)
- البداية والنهاية، ١٤ جزءاً، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة - ١٣٥١ هـ (١٩٣٢م).
- مسند الفاروق أطروحة دكتوراه، تحقيق مطر أحمد الزهراني جامعة أم القرى - ١٤٠٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.
• الكلاباذي: أبو نصر أحمد بن محمد (ت ٣٩٨ هـ)
- رجال صحيح البخاري، تحقيق عبدالله الليثي، ط ١، نشر دار المعرفة، بيروت - ١٤٠٧
• الكلاعي: أبو الربيع سليمان بن موسى (ت ٦٣٤ هـ)
- الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا (حروب الردة) نشر أحمد غنيم، ط٢، نشر دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م).
• الكندي: محمد بن يوسف
- الولاة و القضاة، بيروت - ١٩٠٨ م.
• ابن الكيال: أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٩هـ).
- الكواكب النيرات، تحقيق عبدالقيوم عبد رب النبي، مركز البحث العلمي للتراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة. ودار المأمون للتراث، دمشق، وبيروت - ١٤٠١هـ.
• ابن ماجة: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ).
- السنن، ط. محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر - ١٩٥٣ م.
• مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ).
- الموطأ برواية يحيى الليثي، بعناية محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- الموطأ برواية الشيباني، تحقيق سيد أحمد صقر، القاهرة.

- الموطأ بشرح السيوطي
- المدونة الكبرى، مطبعة السعادة، القاهرة - ١٣٢٣هـ.
• الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ).
- الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت.
• ابن المبارك المروزي: عبدالله (ت ١٨١هـ).
- الزهد، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
• المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد النحوي (ت ٢٨٥هـ).
- الكامل في اللغة والأدب، نشر مؤسسة المعارف، بيروت.
• المتقي الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥هـ).
- كنز العمال، ١٦ مجلداً، تحقيق بكري حياني وصفوت السقا، نشر مؤسسة الرسالة. وأحياناً نشر دار اللواء، الرياض - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م).
• ابن المحب الطبري: أبو جعفر أحمد (ت ٦٩٤هـ).
- الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط ١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٥هـ.
• محمد بن يحيى الأشعري المالكي (ت ٧٤١هـ).
- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان،
• المزي: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن (ت ٧٤٢هـ).
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، نشر دار القيمة، بومباي - ١٣٨٤هـ.
• المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسن بن علي (ت ٣٤٦هـ).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ٤، القاهرة - ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م).
• مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ).

- الصحيح، ٥ مجلدات، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط ١، نشر دار إحياء الكتب العربية، مصر (١٣٧٤ - ١٣٧٥ هـ)، ونشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
وأحياناً بشرح النووي
- التمييز، ملحق بكتاب منهج النقد عند المحدِّثين، تأليف محمد مصطفى الأعظمي، ط ٣، مكتبة الكوثر، المملكة العربية السعودية - ١٤١٠ هـ).
• مصعب الزبيري: مصعب بن عبدالله بن مصعب (ت ٢٣٦هـ).
- نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، نشر دار المعارف، مصر.
• المقريزي: تقي الدين أحمد (ت ٨٤٥هـ).
- إمتاع الأسماع، تحقيق محمود شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - ١٩٤١ م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي، مصر - ١٣٢٧هـ.
• ابن منجويه: أحمد بن علي الأصبهاني (ت ٤٢٨هـ).
- رجال صحيح مسلم، تحقيق عبدالله الليثي، ط ١، نشر دار الباز، مكة المكرمة ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م).
• موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ).
- المغازي، جمع وتحقيق محمد الباقشيش، رسالة ماجستير بإشراف أكرم العمري قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
• ابن النديم: محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥هـ).
- الفهرست، نشر مكتبة خياط، بيروت.
• النسائي: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ).
- السنن، ط ١، دار الفكر، بيروت - ١٣٤٨هـ. وكذلك بشرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

- خصائص علي، تحقيق أحمد ميرين البلوشي، نشر مكتبة المعلى، الكويت - ١٤٠٦هـ.
- كتاب الوفاة، تحقيق محمد زغلول، نشر مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
- فضائل الصحابة، نشر دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت - ١٤٠٥هـ.
• نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ).
- صفين، تحقيق عبدالسلام هارون، ط ٢، القاهرة.
• نعيم بن حماد (ت ٢٢٨هـ).
- الفتن، مخطوط بالمتحف البريطاني رقم ٢٠٧، وقد صدر أخيراً بتحقيق سمير ابن أمين الزهيري، نشر مكتبة التوحيد، القاهرة - ١٤١٢ هـ(١٩٩١ م).
• أبو نعيم: أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ).
- معرفة الصحابة، تحقيق محمد راضي حاج عثمان، ط ١، مكتبة الدار، المدينة المنورة - ١٤٠٨هـ.
- تأريخ أصبهان، مجلدان، نشر الدار العلمية، دلهي، الهند - ١٩٨٥ م.
- حلية الأولياء، ١٠ مجلدات، مطبعة السعادة، مصر - ١٣٥٧هـ.
- الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق علي محمد فقيهي، ط ١، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - ١٤٠٧هـ.
• النووي: أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦ هـ).
- تهذيب الأسماء واللغات، ٣ مجلدات، نشر إدارة المطبعة المنيرية، القاهرة.
• النويري: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ).
- نهاية الأرب في فنون الأدب، ط ٢، دار الكتب المصرية، القاهرة - ١٣٤٦هـ.
• ابن هشام: أبو محمد عبدالملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ).
- السيرة النبوية، ط. السقا ورفاقه، مصر - ١٣٧٥هـ). وأحياناً ط. محمد محيي الدين عبدالحميد.
- كتاب التيجان في ملوك حمير، حيدر آباد الدكن، الهند - ١٣٤٧هـ.

• هشام الكلبي:
- جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، ط ١، نشر عالم الكتب، بيروت - ١٤٠٧ (١٩٨٦ م).
• أبو هلال العسكري: أبو هلال بن عبدالله بن سهل (ت ٣٩٥هـ).
- الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، نشر أسعد الحسيني، مطبعة دار الأمل، طنجة.
• ابن الهمام الحنفي: كمال الدين (ت ٨٦١ هـ)
- فتح القدير شرح الهداية، بولاق - ١٣١٨هـ.
• الهيثمي: علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط ٣، دار الكتاب العربي بيروت - ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢م).
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تحقيق محمد عبدالرزاق حمزة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- بغية الباحث في زوائد مسند الحارث، تحقيق حسين الباكري، نشر مركز خدمة السنة والسيرة بالجامعة الإسلامية.
- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، مخطوطة مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد حقق قطعة منها نايف الدعيس لنيل الدكتوراه من الجامعة الإسلامية، ثم أصدرها كاملة في مجلدين سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤١٣ هـ (١٩٩٣ م).
- كشف الأستار عن زوائد البزار، ط ١، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٣٩٩ هـ.
• الواقدي: محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ).
- المغازي، ط. مارسدن جونس، بيروت.
• وكيع: محمد بن خلف.

- أخبار القضاة، القاهرة - ١٩٥٠ م.
• ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ).
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت - ١٤٠٤هـ.
• يحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣هـ).
- الخراج، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ٢، دار التراث، القاهرة.
• يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧هـ).
- المعرفة والتأريخ، ٤ مجلدات، تحقيق أكرم العمري، نشر مكتبة الدار، المدينة المنورة - ١٤١٠هـ.
• اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت ٢٨٤هـ).
- التأريخ، بير وت - ١٩٦٠ م.
• أبو يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧هـ).
- المسند، تحقيق حسين سليم أسد، ط ١، دار المأمون للتراث - ١٤٠٤هـ).
• أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ).
- الخراج، ط ٥، المطبعة السلفية، القاهرة - ١٣٩٦هـ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع الحديثة

• ادوين رايشاور:

- اليابانيون، ترجمة ليلى الجيالي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت - ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩م).

• آرنولد توينبي:

- تأريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، نشر الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت - ١٩٨١م.

- مختصر دراسة التأريخ، ط ١، ترجمة فؤاد محمد شبل، نشر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، القاهرة - ١٩٦٠ م.

• إحسان صدقي العمد: حركة مسيلمة الحنفي، حوليات كلية الآداب، الحولية العاشرة، الكويت - ١٤٠٩ هـ (١٩٨٨م).

• أكرم العمري:

- بحوث في تأريخ السنة المشرفة، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٩٧٥ م.

- دراسات تأريخية، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٤٠٣هـ.

- المجتمع المدني، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٤٠٣هـ.

- السيرة النبوية الصحيحة، مجلدان، بيروت - ١٤١٤هـ.

• الأكوع: إسماعيل بن علي:

- البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٤٠٨ هـ.

• الباز العريني:

- الدولة البيزنطية، نشر دار النهضة العربية، بيروت - ١٩٨٢ م.

• بتلر: ألفريد. ج:
– فتح العرب لمصر، عرَّبه محمد فريد أبو حديد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٥١ هـ (١٩٣٣ م).
• البلادي: عاتق بن غيث:
– معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط ١، دار مكة للنشر، مكة – ١٤٠٢هـ.
– بين مكة وحضرموت، ط ١، نشر دار مكة، مكة – ١٤٠٢هـ.
• جمال محمد صادق القاضي:
– فتوح الشام من كتاب الاكتفا، رسالة ماجستير قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
• جوزيف نسيم يوسف:
– تأريخ الدولة البيزنطية، نشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية – ١٩٨٤ م.
• أبو الحسن الندوي:
– ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، نشر الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت – ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م).
• سعدي مهدي الهاشمي:
– ابن سبأ حقيقة لا خيال، نشر مكتبة الدار، المدينة المنورة.
• سعيد عبدالفتاح عاشور:
– أوروبا العصور الوسطى، مجلدان، ط ٨، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – ١٩٨١ م.
• سليمان عبد الله السويكت:
– منهج المسعودي في كتابة التأريخ، ط ١، الرياض – ١٤٠٧ هـ (١٩٨٦ م).
• سليم النعيمي:

- ظهور الخوارج، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج ١٥، ١٩٦٧ م.
• سيد معظم حسين:
- مناشدة لإقامة جامعة إسلامية حديثة (حل الازدواجية) ضمن كتاب: التعليم الإسلامي، أهدافه ومقاصده.
• شاكر مصطفى: - التأريخ العربي و المؤرخون، ط ٢، مجلدان، نشر دار العلم للملايين، بيروت - ١٩٧٩ م.
• شكري فيصل:
- حركة الفتح الإسلامي، ط ٦، نشر دار العلم للملايين، بيروت - ١٩٨٢ م.
• شمس الله محمد صديق:
- منهج ابن كثير وموارده، أطروحة دكتوراه قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
• صالح أحمد العلي:
دراسات في تطور الحركة الفكرية، ط ١، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣م).
- خطط البصرة - دراسة أحوالها العمرانية والمالية - ، ط. المجمع العلمي العراقي - ١٤٠٦ هـ.
- الدولة في عهد الرسول ﷺ، ط ١، نشر المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٨م.
- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط ٢، دار الطليعة، بيروت - ١٩٦٩ م.
- امتداد العرب في صدر الإسلام، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م).
- تأريخ العلماء وفهارس المصنفات في المصادر العربية (بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي)، المجلد ٣٤، ج١.
• صبحي محمصاني:

- تـراث الخلفاء الراشـدين في الفقه والقضاء، ط ١، نـشر دار العلم للملايين، بيروت - ١٩٨٤ م.

• طه حسين:

- الفتنة الكبرى، القاهرة ١٩٥٣ م.

• ظافر القاسمي:

- نظام الحكم في الشريعة والتأريخ الإسـلامي (السـلطة القضائية)، ط ١، نشر دار النفائس، بيروت - ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م).

• عبدالحميد علي ناصر فقيه:

- خلافـة عـلي بـن أبي طالـب - دراسـة نقدية للروايات - ، رسـالة ماجسـتير بإشراف أكرم العمري قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٣هـ.

• عبدالسلام محسن آل عيسى:

- النواحي المالية في خلافة عمر بن الخطاب - دراسة نقدية للأسانيد بأشراف أكرم ضياء العمري، نالت درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

• عبدالعزيز إبراهيم العمري:

- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، الرياض.

• عبدالعزيز البيتي:

- ابـن أعثم الكوفي، منهجه وموارده عن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رسـالة ماجستير قدمت للجامعة الإسلامية بإشراف أكرم ضياء العمري.

• عبدالعزيز الدوري:

- مقدمة في تأريخ صدر الإسلام، بيروت - ١٩٦٠ م.

- نشأة علم التأريخ عند العرب، ط ١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت - ١٩٦٠م.

- نظام الضرائب في صدر الإسـلام، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشـق، مجلد ٤٩، ج ٢ سنة ١٩٧٤ م.

- الجزيرة العربية في عصر الخلفاء الراشدين (نظرة شاملة)، ضمن بحوث ندوة الجزيرة العربية، ج ١، نشر جامعة الملك سعود، الرياض - ١٤٠٤هـ.

• عبدالعزيز سليمان المقبل:

- خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه -دراسة نقدية للروايات باستثناء حروب الردة- رسالة ماجستير بإشراف أكرم ضياء العمري قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

• عبدالعزيز عبدالله السلومي

- ديوان الجند، نشر مكتبة الطالب الجامعي، مكة - ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م).

• عبدالعزيز محمد نور ولي:

- حركة الردة في اليمن وحضرموت وعمان، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

• عبدالقديم زلوم:

- الأموال في دولة الخلافة، ط ١، ط. دار العلم للملايين - ١٤٠٣هـ.

• عبدالكريم زيدان:

- الوجيز في أصوله الفقه، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٩٨٧ م.

• علي ثائب العمري؟

- النبذة في ترجمة أبي ذر وتأريخ الربذة، ط ١، الرياض - ١٤٠٧هـ).

• غالي محمد الأمين الشنقيطي:

- الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين، ط. دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة. وط ٣، مؤسسة علوم القرآن، دمشق - ١٤١١هـ).

• فؤاد سزكين:

- تأريخ التراث العربي، مجلدان، ترجمة د. فهمي أبو الفضل، ود. محمود فهمي حجازي، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٧ م.

• كريستنسن: آرثر
– إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت – ١٩٨٢ م.
• ماسينيون:
– خطط الكوفة وشرح خريطتها، ط ١، تعريب تقي محمد الصعبي، تحقيق كامل سلمان الجبوري، مطبعة العزى، النجف – ١٣٩٩هـ).
• محمد الأمين محمد محمود أحمد مولود الجكني الشنقيطي:
– السيرة النبوية في فتح الباري، أطروحة دكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
• محمد الأمين بن المختار الشنقيطي:
– مذكرة أصول الفقه، نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة – (دون تأريخ).
• محمد حميد الله:
– مجموعة الوثائق السياسية، ط ه، دار النفائس، بيروت – ١٤٠٥ هـ(١٩٨٥م).
• محمد سعيد رمضان البوطي:
– الشورى في عهد الخلفاء الراشدين بحث ضمن كتاب: الشورى في الإسلام نشر المجمع الملكي الأردني – ١٩٨٩ م.
• محمد صامل السلمي:
– منهج كتابة التأريخ الإسلامي، نشر دار طيبة، الرياض – ١٤٠٦ هـ(١٩٨٦ م).
• محمد ضياء الدين الريس:
– الخراج و النظم المالية للدولة الإسلامية، ط ٤، ط. دار الأنصار، القاهرة – ١٩٧٧م.
• محمد عبدالقادر خريسات:
– دور العرب المتنصرة في الفتوحات (ضمن بحوث المؤتمر الدولي الرابع لتأريخ بلاد الشام).

• محمد عبدالله الغبان:
- فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، رسالة ماجستير بإشراف أكرم العمري، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٤١٠هـ.
• محمد محمد علي العواجي:
- خلافة عثمان بن عفان، رسالة ماجستير بإشراف أكرم العمري بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
• محمد مصطفى الأعظمي:
- دراسات في الحديث النبوي، نشر جامعة الرياض، د. ت.
• محمد ناصر الدين الألباني:
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، نشر المكتب الإسلامي، بيروت - المجلدة الأولى سنة ١٩٧٢ م، والرابعة ١٩٨٣ م.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط. المكتب الإسلامي - ١٤٠٧هـ.
- صحيح سنن أبي داود، ط ١، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج - ١٤٠٩هـ.
- صحيح سنن الترمذي، ط ١، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج - ١٤٠٩هـ.
- ضعيف سنن أبي داود، ط. المكتب الإسلامي - ١٤١٢هـ.
- صحيح سنن النسائي
- صحيح سنن ابن ماجة، ط ١، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج - ١٤٠٨هـ.
• محمد النقيب العطاس:
- التعليم الإسلامي، أهدافه ومقاصده (بالانكليزية)، ترجمة د. عبدالحميد الخريبي، نشر مؤسسة عكاظ وجامعة الملك عبدالعزيز، جدة - ١٩٨٤ م.

• مصطفى محمد مسعد:
– التنظيم الإداري في الجزيرة العربية في عصر الخلفاء الراشدين، بحث ضمن ندوة دراسات تأريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، نشر جامعة الملك سعود، الرياض – ١٤٠٤ هـ (١٩٨٣ م).
• ملكة أبيض:
– التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة، نشر دار العلم للملايين، بيروت – ١٩٨٠ م.
• مناع القطان:
– النظام القضائي في العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة (ضمن وقائع ندوة النظم الإسلامية، أبو ظبي ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م).
• مهدي رزق الله أحمد:
– الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردة، بحث منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود
• ناصر الدين الأسد:
– مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التأريخية، مصر – ١٩٥٦ م.
• ناصر بن عقيل الطريفي:
– القضاء في خلافة عمر بن الخطاب، ط ١، دار المدني – ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م).
• نالليno. ك:
– علم الفلك تأريخه عند العرب في القرون الوسطى، روما – ١٩١١ م.
• هشام جعيط:
– الفتنة، دار الطليعة، بيروت – ١٩٩٢ م.
• همام سعيد:

- عرض الأحاديث النبوية المتعلقة بالشورى ودراستها (بحث ضمن - كتاب: الشورى في الإسلام ص ٨٥ - ٩٨) نشر المجمع الملكي الأردني - ١٩٨٩ م.

• هيجل: ج. ف. ف.

- محاضرات في فلسفة التأريخ، ج ١، ترجمة إمام عبدالفتاح إمام، نشر دار الثقافة، القاهرة - ١٩٨٠ م.

• ول ديورانت:

- قصة الحضارة، ٤٢ مجلدة، نشر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ١٩٧٨ - ١٩٨٦ م.

• ولز: هـ. ج (ت ١٩٤٦ م)

- موجز تأريخ الإنسانية، ٤ مجلدات، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، القاهرة - ١٩٦٧ م.

• يحيى إبراهيم اليحيى:

- الروايات التأريخية في فتح الباري - الخلافة الراشدة والدولة الأموية - جمع ودراسة، أطروحة دكتوراه قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٤١١هـ).

المؤلف

السيرة الذاتية:

- من مواليد الموصل شمال العراق سنة ١٩٤٢م.
- متخرج من كلية التربية عام ١٣٨٤ هـ (١٩٦٣م).
- حصل على الماجستير في التأريخ الإسلامي من كلية الآداب بجامعة بغداد عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦م)، وكانت رسالته (بحوث في تأريخ السنة المشرفة) مع تحقيق (طبقات خليفة بن خياط).

حصل على الدكتوراه في التأريخ الإسلامي من جامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) في أطروحته (موارد الخطيب البغدادي في تأريخ بغداد).

- بدأ التدريس بكلية الآداب بجامعة بغداد منذ سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦م) إلى سنة ١٣٩٦ هـ(١٩٧٦ م) حيث أعيرت خدماته للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- عمل بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رئيساً لقسم الدراسات العليا ما بين سنة ١٣٩٧ - ١٤٠٣هـ.
- عمل رئيساً للمجلس العلمي بالجامعة الإسلامية خلال المدة ١٣٩٨ - ١٤٠٣ هـ.
- عمل أستاذاً للتأريخ الإسلامي في قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية حيث أشرف على عشرات الرسائل للماجستير والدكتوراه، ثم عمل أستاذاً في قسم التأريخ بكلية الدعوة وأصول الدين إلى تأريخ ٢ - ٨ - ١٤١٥هـ.

• يعمل حاليا في قسم الشؤون العلمية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة، وعضواً في مجلس مركز خدمة السنة والسيرة النبوية منذ تأسيسه، وعضواً في المجلس العلمي بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة.

• أشرف على عشرات الرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراه خلال السنوات العشرين الماضية في الجامعات العربية، وخاصة الجامعات السعودية، كما ناقش عدداً كبيراً منها في تخصصات الحديث النبوي، و التأريخ الإسلامي، والتربية الإسلامية.

مؤلفاته:

١ – السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدِّثين في نقد روايات السيرة، مجلدان، ط ٢، مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة – ١٤١٤ هـ) وقد ترجم معظمه، ونشر باللغتين التركية MARYLAND و الانكليزية IS-TANBUL 1988. U.S.A 1991

٢ – بحوث في تأريخ السنة المشرفة، طبع خمس مرات في بغداد وبيروت والمدينة المنورة في سنة ١٩٦٧ م، ١٩٧٢ م، ١٩٧٥ م، ١٩٨٤ م، والطبعتان الأولى والثانية بتعضيد من جامعة بغداد. والطبعة الأخيرة مطورة، وتقع في ٥٠٠ صفحة.

٣ – موارد الخطيب في تأريخ بغداد، طبع بدمشق سنة ١٩٧٥ م وبيروت ١٩٨٤ م، والطبعة الأولى بتعضيد من جامعة بغداد.

٤ – دراسات تأريخية، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – ١٩٨٣ م.

٥ – التراث والمعاصرة، طبعتان، نشر رئاسة الشؤون الدينية، قطر ١٤٠٥ كما طبع باللغة التركية ISTANBUL 1991.

٦ - الإسلام و الوعي الحضاري، بيروت - ١٤٠٨هـ.
٧ - تراث الترمذي العلمي، نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة - ١٤١٣هـ.
٨ - مجتمع المدينة في عصر النبوة، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ١٤١٥ هـ.
٩ - مناهج البحث وتحقيق التراث، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٤١٥ هـ، ويقع في ٣٦٠ صفحة، وهو تطوير لكتابه «تعليقة في مناهج البحث وتحقيق المخطوطات»، نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة - ١٤١٤هـ.
١٠ - قيم المجتمع الإسلامي من منظور تأريخي، نشر في جزئين ضمن سلسلة كتاب الأمة - قطر - ١٤١٤هـ.
١١ - التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، نشر من قبل مركز خدمة السنة بجامعة قطر.
١٢ - عصر الخلافة الراشدة: محاولة لتطبيق قواعد النقد عند المحدِّثين على الرواية التأريخية، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - ١٤١٤هـ.
عصر السيرة النبوية، ضمن مرجع في تأريخ العرب، من إعداد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، ولم يطبع بعد (٤٠٠ صفحة).
١٣ - من فقه السيرة النبوية العطرة، نشر النادي الأدبي بمكة المكرمة تحت الطبع
١٤ - الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر السيرة النبوية! (تحت الطبع).

التحقيقات:

١٥ - تأريخ خليفة بن خياط، ٣ طبعات، العراق - ١٩٦٧ م، بتعضيد من المجمع العلمى العراقي، ودمشق - ١٩٧٧ م، و الرياض - ١٩٨٤ م.
١٦ - طبقات خليفة بن خياط، طبعتان، الأولى ببغداد - ١٩٦٧ م بتعضيد من جامعة بغداد، والثانية بالرياض - ١٩٨٣ م.

١٧ - المعرفة والتأريخ، ليعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ)، ٣ طبعات الأولى ببغداد - ١٩٧٤ م من قبل وزارة الأوقاف العراقية، والثانية نشر مؤسسة الرسالة ببيروت - ١٩٧٦ م، والثالثة نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة - ١٩٨٨ م.

١٨ - أزواج النبي، لابن زبالة، نشر المجمع العلمي بالجامعة الإسلامية ١٩٨٢ م.

١٩ - بقي بن مخلد القرطبي ومقدمة مسنده عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث، بيروت - ١٩٨٤ م.

٢٠ - مسند خليفة بن خياط، بيروت - ١٩٨٥ م.

٢١ - تركة النبي، لحماد بن إسماعيل، بيروت - ١٩٨٣م.

البحوث:

٢٢ - منهج المحدِّثين في النقد مقارنا بالميثودولوجيا الغربية، مجلة السنة، جامعة قطر - ١٤١٢هـ.

٢٣ - الخطيب البغدادى: سيرته الذاتية، بيئته الحضارية، إنتاجه الفكري واهتماماته التربوية، ضمن كتاب «من أعلام التربية العربية الإسلامية»، مجلدة ٢، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج - ١٤٠٩ هـ (١٩٨٨ م).

٢٤ - موقعة عين جالوت.، نشر مجلة الشرطة ١٩٦٨ م.

٢٥ - القراءة المجدولة وأثرها.

٢٦ - الاستشراق، نشر مجلة مركز السنة والسيرة، جامعة قطر ١٤١٥هـ.